أثر المتغيرات الدولية على التحولات في السياسة الخارجية الروسية وصعود روسيا كقوة عالمية (٢٠٠٣-٢٠٠٨)

إعداد

علي مازن عبد اللطيف الحديد

إشراف الأستاذ الدكتور

محمد حمدان المصالحة

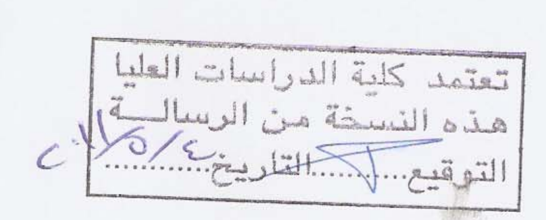
قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

في العلوم السياسية

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

آيار، ٢٠١١م



نموذج ب

نوقشت هذه الرسالة " أثر المتغيرات الدولية على التحولات في السياسة الخارجية الروسية وصعود روسيا كقوة عالمية (2003-2008)"

يوم الأحد 2011/4/17 الساعة (10) صباحا

أعضاء اللجنة

الأستاذ الدكتور محمد حمدان المصالحة (مشرفا) ____________

أستاذ - دراسات برلمانية

الأستاذ الدكتور فيصل عودة الرفوع (عضوا) ____________

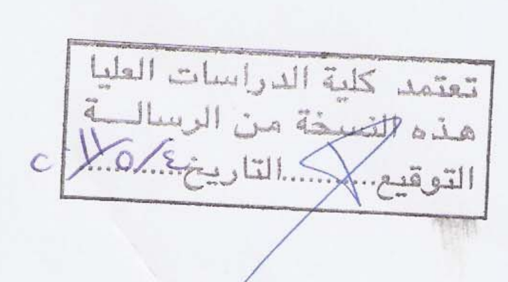
أستاذ- علاقات دولية

الأستاذ الدكتور غازي اسماعيل الربابعة (عضوا) ____________

أستاذ - علاقات دولية

الدكتور علي الشرعة (عضو خارجي) ____________

أستاذ مشارك - جامعة آل البيت



الإهداء

إلى من زرع في قلبي حب العلم والمعرفة وآبا إلا أن أكون مخلصاً شاكراً لهذا الوطن ... والدي الحبيب

إلى الأم الحنون التي أعطت وتعطي من حبها وحنانها وتضيء وتنير لي الطريق دوماً وتساندني ... لها مني كل الحب والوفاء والتقدير الذي لا يصل ولن يصل إلى مستوى ما قدمته وما تقدمه لي؛

إلى جدي وجدتي العزيزين الغاليين على قلبي

إلى جميع الأهل والأصدقاء

أهدي لهم جميعاً هذا الجهد العلمي المتواضع

الشكر والتقدير

الشكر و الحمد الذي أعانني ومنحني القدرة على إكمال هذه الرسالة المتواضعة كما و أتقدم بجزيل الشكر والعرفان للدكتور محمد حمدان المصالحة الذي تفضل وتابع معي مراحل هذه الدراسة وكانت لملاحظاته القيمة وإرشاداته الشديدة الأثر الطيب في انجازها.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع أعضاء الهيئة التدريسية لجهودهم المبذولة ويسعدني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من ساهم في مساندتي لإنجاز هذا العمل وإلى كل من قدم لي المساعدة من إرشادات وتوجيهات علمية في إغناء المعرفة العلمية.

فهرس المحتويات

أثر المتغيرات الدولية على التحولات في السياسة الخارجية الروسية وصعود روسيا كقوة عالمية (٢٠٠٣-٢٠٠٨)

إعداد

علي مازن عبد اللطيف الحديد

إشراف

محمد حمدان المصالحة

ملخص

تحاول هذه الدراسة تحليل تأثير معطيات البيئة الاقليمية والدولية على توجهات السياسة الخارجية الروسية وموقعها في النظام الدولي في المرحلة الحالية ، وتحليل تأثير معطيات البيئة الدولية على موقع روسيا كفاعل مؤثر في النظام الدولي الجديد ، ودراسة وتحليل عناصر القوة المؤثرة في السياسة الخارجية الروسية في ظل النظام الدولي الجديد، ساهمت البيئة الاقليمية في منح روسيا فرصاً للقيام بدور رئيسي في العلاقات الدولية في المرحلة الحالية، أثرت التحولات الدولية على إمكانيات لعب روسيا دور مؤثر في السياسة الدولية في المرحلة الحالية.

إن هناك درجة من الاستقلالية في صنع القرار السياسي الروسي، وإن سلاح المساعدات والمعونات له حدود في التأثير في عملية صنع القرار في روسيا وبخاصة إذا ما تعلق الأمر بمصلحة اقتصادية مباشرة أو بالأمن القومي الروسي، ولقد سبقت الإشارة بالتفصيل إلى عدد من الأمثلة الدالة على ذلك، منها الإصرار الروسي على إتمام الصفقة الخاصة ببيع محطات الطاقة النووية إلى إيران على الرغم من الضغوط الأمريكية للحيلولة دون ذلك، ومنها ايضاً موقف روسيا إزاء توسيع عضوية حلف شمال الأطلسي ليضم دول وسط وشرق أوروبا، ومنها موقف روسيا من الحرب في الشيشان، رغم المعارضة الألمانية الصريحة والمعلنة لاستمرار الحرب، بل التهديد بوقف المساعدات المقدمة لروسيا في حالة استمرارها في القتال.

إن إستعادة روسيا قوتها الاقتصادية واستخدامها سلاح النفط والغاز، بات يشكل تهديداً ويثير مخاوف الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية من عودة روسيا إلى اللعب بقوة على مسرح الصراع في منطقة الأوراسيا، وتحولها إلى لاعب جيواستراتيجي كبير على المسرح

العالمي، من هنا فإن روسيا العائدة إلى المسرح العالمي وهي تحلم بدولة لم تنس أنها تحمل إرث الاتحاد السوفياتي السابق، وتريد لنفسها أن تكون دولة عظمى، تحظى بالاحترام ولها مكانتها في العالم، وهي لا تملك طموحات السيادة العالمية أو منازعة الولايات المتحدة على ذلك، ولكنها تريد عالماً متعدد الأقطاب، متوازناً، ويعمل بعدل لحل مشاكله.

الفصل التمهيدي

الإطار العام للدراسة

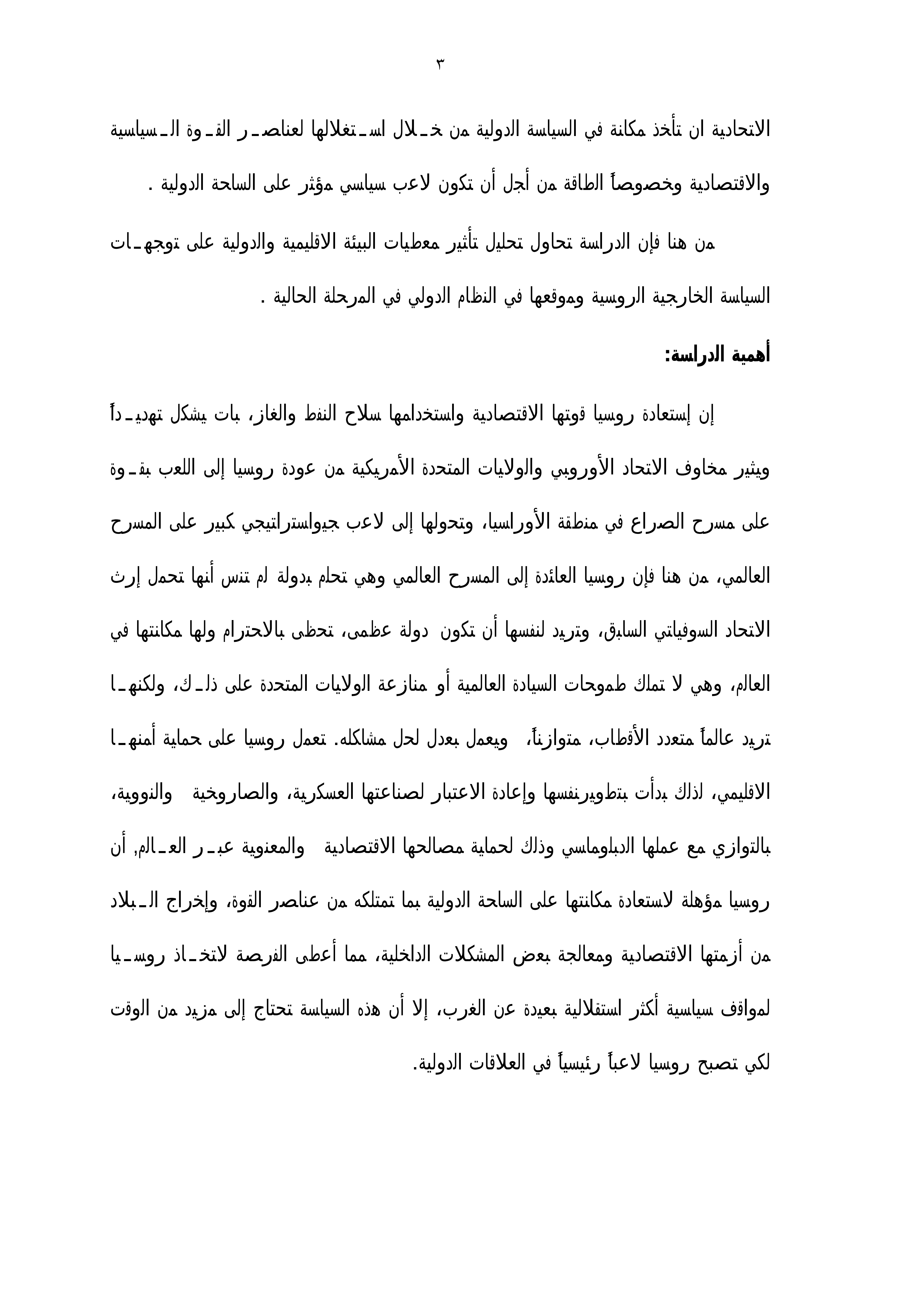
مقدمة

لعل أهم معضلة واجهت روسيا الاتحادية بعد تفكك الاتحاد السوفيتي في عـام ١٩٩١م، هي البحث عن صياغة سياسة خارجية جديدة في ظل حالة الانهيار الشامل للاتحاد من ناحيـة، وفي ظل النظام العالمي الجديد الذي هيمنت عليه الولايات المتحدة من ناحية أخرى. فقد إنهـار الاتحاد السوفيتي وتفككت مؤسساته، وأصبح من الضروري صياغة سياسة خارجية تتواكب مع المستجدات والمتغيرات التي حدثت على الساحة الدولية، فقد تراجع الأداء الاقتصادي، وظهرت قوى سياسية جديدة في المجتمع تطالب بالتحول نحو سياسات خارجية جديـدة، وحـدثت حالـة شاملة من عدم الاستقرار السياسي، وتزايدت الحركات المطالبة بالانفصال.

ومن ثم واجهت روسيا مشكلة "إعادة هيكلة السياسة الخارجية في ظروف التفكك الشامل المحيط بها، ومن ناحية ثانية، فقد ورثت روسيا التركة الدولية للاتحاد السوفيتي، بما فـي ذلـك مقعده في مجلس الأمن وسفاراته في الخارج، وورثت أيضاً ترسـانته النوويـة وأدوات نقلهـا (الصواريخ عابرة القارات). ومن هنا، جاءت المعضلة الثانية، وهي كيف يمكن صياغة مركـز دولي جديد لروسيا يتفق مع قدراتها العسكرية، و يعترف بضعف اقتصادها، وبأنها قد هزمـت في الحرب الباردة. وكيف يمكن التوفيق بين مقتضيات عظمة روسيا كقوة كبرى، والالتزامـات الضخمة لتلك الدول العظمى، التي لا تستطيع روسيا الوفاء بها من ناحية ثالثة، فقد تزامن مـع استقلال روسيا صعود قوى دولية جديدة، كالاتحاد الأوروبي، الذي تكـون بموجـب معاهـدة ماستريخت التي وقعت في عام ١٩٩١ الذي انهار فيه الاتحاد السوفيتي، والصين، التي حققـت

معدلات للنمو بلغت (١٢%) في المتوسط، إضافة إلى النمور الآسيوية. وبالتـالي أصـبح مـن المتعين على روسيا أن تصوغ سياسات خارجية للتعامل مع المتغيرات الدولية الجديـدة، وهـذا تطلب من القيادة الروسية إعادة التظر في السياسات القديمة، حيث تمكنت روسيا الاتحادية مـن تحقيق معدلات من النمو الاقتصادي مكنتها من حل مشاكلها الاقتصادية والاعتماد على الموارد الاقتصادية المحلية وتحقيق معدلات من الاستقرار الاقتصادي.

استطاع الرئيس السابق فلاديمير بوتين رئيس الوزراء الروسي خلق نوع من التـوازن المتداخل بين القدرات القومية والمتغيرات السائدة على الساحة الدولية لتبنـي سياسـة خارجيـة واقعية تقوم على التخلي عن سياسة التوسع الاستعماري للاتحاد السوفيتي السابق من ناحية ومن ناحية أخرى على لعب دور مؤثر في السياسة الدولية.وتأكيد المكانة الدولية لروسـيا، وتجـسد هدف بوتين الأساسي في حصول بلاده على مكانة دولية مؤثرة فـي قـضايا الأمـن والـسلم والترتيبات الاقتصادية والسياسية على الساحة الدولية، بحيث لا تنفرد الولايات المتحدة الأمريكية بالهيمنة على الساحة الدولية، مستحوذة على الدور الأكبر في صنع القرارات الدولية الحيوية في المجالات كافة, كما تبنى بوتين في إطار سياسته العملية الواقعيـة، توجهـاً توفيقيـاً فـي إدارة علاقات روسيا مع الغرب، يقوم على أن الشراكة الإستراتيجية مع الغرب والولايات المتحدة لا تعني التحالف، وإنما على السياسة الروسية أن تتخذ موقفاً متوازناً في علاقاتها الدولية، وألا تفقد ما تبقى لها من مواقع على الساحة الدولية، رافضاً بذلك مقولات التيـارين اليمينـي الليبرالـي المهادن -الداعي إلى توثيق علاقات روسيا مع الغرب في المجالات كافة باعتبار ذلك مـصلحة إستراتيجية وحيوية لروسيا، والمحافظ المتشدد -القائل إن سياسة المهادنة أدت إلى تآكل المكانة الدولية لروسيا، والمُطالب باستعادة روسيا لدورها كقوة عظمى في العالم. وقد استطاعت روسيا



الاتحادية ان تأخذ مكانة في السياسة الدولية من خـلال اسـتغلالها لعناصـر القـوة الـسياسية والاقتصادية وخصوصاً الطاقة من أجل أن تكون لاعب سياسي مؤثر على الساحة الدولية .

من هنا فإن الدراسة تحاول تحليل تأثير معطيات البيئة الاقليمية والدولية على توجهـات السياسة الخارجية الروسية وموقعها في النظام الدولي في المرحلة الحالية .

أهمية الدراسة:

إن إستعادة روسيا قوتها الاقتصادية واستخدامها سلاح النفط والغاز، بات يشكل تهديـداً ويثير مخاوف الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية من عودة روسيا إلى اللعب بقـوة على مسرح الصراع في منطقة الأوراسيا، وتحولها إلى لاعب جيواستراتيجي كبير على المسرح العالمي، من هنا فإن روسيا العائدة إلى المسرح العالمي وهي تحلم بدولة لم تنس أنها تحمل إرث الاتحاد السوفياتي السابق، وتريد لنفسها أن تكون دولة عظمى، تحظى بالاحترام ولها مكانتها في العالم، وهي لا تملك طموحات السيادة العالمية أو منازعة الولايات المتحدة على ذلـك، ولكنهـا تريد عالماً متعدد الأقطاب، متوازناً، ويعمل بعدل لحل مشاكله. تعمل روسيا على حماية أمنهـا الاقليمي، لذلك بدأت بتطويرنفسها وإعادة الاعتبار لصناعتها العسكرية، والصاروخية والنووية، والمعنوية عبـر العـالم, أن بالتوازي مع عملها الدبلوماسي وذلك لحماية مصالحها الاقتصادية روسيا مؤهلة لاستعادة مكانتها على الساحة الدولية بما تمتلكه من عناصر القوة، وإخراج الـبلاد من أزمتها الاقتصادية ومعالجة بعض المشكلات الداخلية، مما أعطى الفرصة لاتخـاذ روسـيا لمواقف سياسية أكثر استقلالية بعيدة عن الغرب، إلا أن هذه السياسة تحتاج إلى مزيد من الوقت لكي تصبح روسيا لاعباً رئيسياً في العلاقات الدولية.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي :

١. تحليل تأثير معطيات البيئة الدولية على موقع روسيا كفاعل مؤثر في النظـام الـدولي الجديد

٢. دراسة وتحليل عناصر القوة المؤثرة في السياسة الخارجية الروسية فـي ظـل النظـام الدولي الجديد.

٣. التعرف على مرتكزات وثوابت السياسة الخارجية الروسية في ظـل النظـام الـدولي الجديد.

مشكلة الدراسة:

تسعى روسيا باتجاه أخذ دور أكبر في السياسة الدولية في إطار التحولات على الداخلية وخروجها من الوضع الاقتصادي التي كانت تعاني منه ، ومحاولتها إستغلالها الظروف السياسية الدولية لتصبح لاعب سياسي مؤثر في العلاقات الدولية ، من هنا فأن الدراسة تحـاول الاجابـة على التساؤلات التالية :

- ما هي عناصر القوة في السياسية الخارجية الروسية التي تمكنها من لعب دور مؤثر فـي السياسية الدولية؟
- ما هي التحولات في السياسة الخارجية الروسية التي ساهمت في احـداث تحـول فـي السياسية الخارجية الروسية ؟
- ما هي احتمالات صعود روسيا الى ان تكون قوة عالمية مؤثرة في السياسة الدولية ؟

فرضيات الدراسة:

تنطلق الدراسة من الفرضيات التالية:

١. ساهمت البيئة الداخلية للاتحاد الروسي بشكل رئيسي في إحداث تحولات في السياسية الخارجية الروسية.

٢. ساهمت البيئة الاقليمية في منح روسيا فرصاً للقيام بدور رئيسي في العلاقات الدولية في المرحلة الحالية.

٣. أثرت التحولات الدولية على إمكانيات لعب روسيا دور مؤثر في السياسة الدولية في المرحلة الحالية.

منهجية الدراسة

منهج صنع القرار عملية ملازمة لجميع النظم السياسية، على الرغم من اختلاف توجهاتها، ومستوياتها، سواء كانت حديثة أو تقليدية، ديمقراطية أو مستبدة، ومهما كانت الايديولوجية التي تنطوي تحتها.

مفهوم صنع القرار السياسي:

تعرف عملية اتخاذ القرارات بأنها العملية التي ينتج عنها قرار محدد من بين بدائل عدة يجري تعريفها اجتماعياً، وذلك بهدف التوصل مستقبلاً إلى وضع معين كما يتخيله واضعو القرارات.

ويعرف القرار السياسي على أنه نوع من الإعلان السلطوي عن أسباب التخلص من حالة من حالات التوتر من جانب الطبقة الحاكمة. وهناك من وضع معايير لتمييز القرار السياسي عن غيره من القرارات، وهذه المعايير هي:

١. بنية القرار وطبيعته.

٢. المشاركون في القرار.

٣. المنظمة التي اتخذ فيها القرار.

٤. عملية صنع القرار.

٥. نتائج القرار.

وهناك من يعتبر القرار سياسياً إذا كان من صنع من يمتلكون السلطة السياسية مهما كانت خصائصهم وانتماءاتهم، وبالتالي لا يسمى القرار قراراً سياسياً إلا إذا أصدره من يمتلكون سلطة إصدار القرار، ويستخدمون أو يحق لهم استخدام وسائل الإكراه الشرعي إذا ما رغب

طرف أن ينتص مما يفرضه القرار من التزامات. ويتضمن صنع القرار مستويات عديدة للتحليل تشكل في مجموعها إطاراً واسعاً ومرناً يساعد على استيعاب الجوانب المختلفة للظاهرة السياسية، ومن خلال ذلك كله يتناول المحلل الجوانب النفسية التي من شأنها التأثير في سلوك صانع القرار، كما يتناول تحليل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والأبنية والمؤسسات وأثرها أيضاً في سلوك صانع القرار.

بيئة صناعة القرار:

تتداخل في عملية صنع القرار قيم صانع القرار مع صورته عن البيئة المادية والاجتماعية التي تحيط به بما فيها وضعية صانع القرار في المؤسسة التي تتخذ القرار والتي تحد من سلطات صناع القرار وتفرض عليهم قيوداً ويمكن تقسيم البيئة العملية إلى:

البيئة الداخلية: وتشير إلى الأوضاع الداخلية من أبنية اجتماعية، واتساق ثقافية وقيمية، وتنظيمات سياسية كالأحزاب والجماعات الضاغطة ووسائل الاتصال المختلفة، والمكونات الاقتصادية المختلفة، وطبيعة النظام السياسي السائد والأيديولوجية التي يتبناها.

البيئة الخارجية: تشمل كل عناصر البيئة الإقليمية والدولية خارج حدود الدولة.

كذلك سوف يتم استخدام المنهج التاريخي في دراسة التطور التاريخي للسياسة الخارجية.

الدراسات السابقة :

بالرجوع إلى ما كتب عن موضوع السياسة الخارجية الروسية نجد أن من أبرز الدراسات التي تناولت هذا الموضوع ، ما يلي:

- **دراسة قام بها محمد انور العتوم،** تأتي أهمية هذه الدراسة من أهمية الدور الذي يلعبه الاتحاد السوفيتي كدولة عظمى عايشت المراحل المختلفة التـي مـر بهـا الـصراع العربـي الإسرائيلي وساهمت مساهمة فعالة في إدارة هذا الصراع وتطوراته. مما يعكس بشكل واضـح تطورات الموقف السوفياتي من هذا الصراع، وتهدف هذه الدراسة إلى البحث في حقيقة الموقف السوفياتي من الصراع العربي الإسرائيلي وتطوراته وبشكل خاص بين عامي (١٩٨٠-١٩٩٠) وذلك من خلال تحليل الموقف السوفياتي من التسويات السلمية للصراع العربي الإسرائيلي ومن هجرة اليهود السوفيات إلى إسرائيل ممهدين لذلك بفعل يحلل الموقف السوفياتي مـن الحـروب العربية الإسرائيلية.

لقد شغّل الاتحاد السوفياتي بالصراع العربي الإسرائيلي بحكم مركـزه كدولـة عظمـى مصالحه في منطقة الشرق الأوسط، ومن هنا فإن الاتحاد السوفياتي يولي هذا الصراع اهتمامـاً كبيراً ينبع من الأهمية القصوى التي تحتلها منطقة الشرق الأوسط في الـسياسة والاسـتراتيجيه السوفياتيه منذ القدم، والتي تمليها جملة من الأسباب، أهمها الموقع الجغرافي القريـب لحـدود الاتحاد السوفياتي الجنوبية، والموارد الطبيعية الموجودة في المنطقة، والموقع الاستراتيجي الهام الذي تتمتع به هذه المنطقة إضافة إلى المياه الدافئة على البحر المتوسط والتي يحلم السوفيات في الوصول إليها منذ وقت طويل.

- **دراسة راكز محمود القرشي (١٩٩٥) بعنوان "التغييرات الدولية منذ البروسـتريكا وأثرها على الصراع العربي- الإسرائيلي"**، بعد أن قمنا بدراسة أثـر التغيـرات الدوليـة فـي

الصراع العربي- الإسرائيلي، من خلال عدد من الفصول والمباحث، تناول كل منها جزئية من مجموع جزيئات البحث. متناولين في ذلك القوى الدولية، والتي لها مساس مباشر فـي قـضية الصراع.

وقبل الخوض في ما خلصنا إليه، فإنه لابد من الأشارة إلى، أن الصهيونية العالمية خطر عام على العرب كلهم، وأن مكافحتها واجب على كل عربي، فقد انطلقت فيما مضى من الـ زمن من جهود عصابات مشتتة، ولكنها أضحت بعد قيام كيان مستقل لها تستند إلـى جهـود دوليـة قائمة، وتقف وراءها كل قوى الاستعمار، وتعمل على تسخير كافة القوى لتقذف بها في معركتها مع العرب.

إن هذه الدراسة جاءت مؤكدة للأهداف التي توخيناها عند الشروع والتخطيط للبحث، من هنا فقد أفضت بنا هذه الدراسة إلى مجموعة كبيرة من النتائج وهنا أشير إلى عدد من النتائج في اعتقادي أنها على أهمية بمكان، وموضوع هذه الدراسة، وهي على النحو التالي:

أن الحرب الباردة ما هي إلا اختبار عضلات من جانب موجه إلى الجانـب الآخـر، ولا ترتقي إلى مستوى التصعيد المسلح، وبسبب ذلك وجد عدد من الضوابط تضبط هذه المرحلة.

- دراسة معمر عطوي، بعنوان "طموح روسيا إلى عالم متعـدّد الأقطـاب": يبـدو أن الاتحاد الروسي قد عاد الى دائرة الاحداث العالمية بقوة في االفترة الاخيرة ليقوم بالدور الملائـم لحجمه السياسي والاقتصادي والجيوبوليتيكي في المجال الحيوي «الاوراسي»، إن لم نقل قد عاد ليحيي مجد «السوفياتيات» الضائع منذ نهاية الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفياتي.

يمثل ببراعة هذه الاتجاه الجديد الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الذي ركـزت خطاباتـه الاخيرة على ضرورة وضع حد لسيطرة القطب الواحد وإعادة تكوين التحالفات الدوليـة وفـق نسق جديد يأخذ في الحساب العامل الاقتصادي والازمات الاجتماعية أسـباباً اساسـية لحـدوث

الخلل في التوازن الاقتصادي بين الدول، وبالتالي انعكاس «اللاعدالة» في توزيع الثروة على تكوين كيانات سياسية خاضعة تسمى الاطراف، وإقطاب تمتلك القوة والاقتصاد والحق في التسلح وبالتالي الهيمنة.

أن توقع انهيار النظام الامبريالي العالمي في واشنطن لن يكون بسبب سباق التسلح ولا المنافسة في السيطرة على مواقع النفوذ، بل من خلال آليات خاطئة في التعاطي مع قضايا العالم الشائكة بدءاً بالارهاب والتدخل في شؤون الدول بطريقة مناقضة للقيم الديموقراطية التي تدعي الولايات المتحدة التمتع بها في بلادها ونشرها في دول الاطراف، وصولاً الى التحكم باقتصاديات البلدان الفقيرة واستغلال ثرواتها.

- دراسة صالح محمد، بعنوان "روسيا بدأت الخروج من موقعها وسيكون لها صوت مسموع في قضايا العالم "

بعد عشر سنوات من تفكك الاتحاد السوفيتي القديم وقيام دولة روسيا الاتحادية هل يمكن القول بأن هناك امكانية لأن يستعيد الدور الروسي مكانته من جديد سواء علي الصعيد الدولي أو الإقليمي بحيث لا تنفرد قوة دولية واحدة وهي الممثلة في الولايات المتحدة بالسيطرة علي مقدرات النظام الدولي الجديد.

عندما نتحدث عن روسيا الاتحادية عام ٢٠٠١ أي بعد عشر سنوات من تفكك الاتحاد السوفيتي لابد أن نرسم خطا بين وضع روسيا الجيوبولتيكي وموقعها في العلاقات الدولية قبل عام ١٩٩٠ ومطلع ٢٠٠١ وهذه الفجوة الزمنية أي خلال عشر سنوات فإن البعض يصف ما حدث للاتحاد السوفيتي بأنه زلزال أو انهيار وهناك من وصفه بأنه مرحلة انتقالية.

- دراسة علي حسين باكير بعنوان "العلاقات الروسية الصينية في النظام الدولي ٢٠٠٦م.

"إن العلاقات بين روسيا والصين لا تعتبر عاملا من عوامل الاستقرار الجغرافي السياسي فحسب، بل وتقدم نموذجا للشراكة الدولية المفتوحة غير الموجهة ضد بلدان أخرى، والتي تدعم تطوير نظام عالمي أكثر عدلا, وعلى الرغم من المنعطفات التاريخية الـصعبة، إلا أن شـعبي روسيا والصين حافظا على علاقات طيبة أحدهما مع الآخر، كما نـدرك اليـوم بـشكل أكبـر الأفضلية الإستراتيجية لاتصالاتنا الثنائية، ونعتزم توسيعها لما فيه فائدة شعبي البلدين".

ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة:

تتميز هذه الدراسة بكونها من أولى الدراسات التي تتناول تحليل التحولات في الـسياسة الخارجية في ظل النظام الدولي الجديد في ضوء المتغيرات الدولية والتي أثـر علـى الـسياسة الخارجية وقدرتها على لعب دور مؤثر في زيادة إمكانية روسيا للقيام بدور مؤثر فـي النظـام الدولي الجديد فالسياسة الخارجية الأمريكية التي هيمنت على النظام الدولي واتخذت سياسـيات ومواقف كانت تصب لتحقيق مصالحها الوطنية مما ادى إلى بروز بعض الدول ومنها الإتحـاد الروسي التي ترفض السياسات الأمريكية تجاه الكثير من القضايا الدولية .

الفصل الاول

نظرية النظام والنظام الدولي

يشير مفهوم النظام الدولي إلى العلاقات المنتظمة التي تربط الدول بعضها ببعض والتـي تقوم على الاعتماد المتبادل ضمن إطار سياسي واقتصادي واستراتيجي، وتعبر عن واقع فرض نفسه بفعل شروط تاريخية وعلمية وعقائدية واقتصادية، وتأخذ هذه العلاقة شكل التعاون والتفاهم والسلام، أو طابع الصراع والحروب والتنافس والمواجهة، حيث لا يشترط لإطلاق هذه الـصفة على نظام ما أن يكون متصفاً بصفات الشرعية والعدالة أو الديمقراطية، فالحديث عـن النظـام شيء والحديث عن هذه المبادئ شيء آخر. [١]

وقد أثار هذا التعريف جدلاً بوصفه بالفاشية الجديدة بقيادة الولايات المتحدة، ومـنهم مـن وصفه بأنه نموذج للمثالية كما هو الحال لدى كيسنجر [٢].

ويمكن تعريف النظام الدولي بأنه "إنجاز فني للحياة الدولية في العلاقات بين الـدول وأن التغيرات في النجاحات والإخفاقات المتتابعة للدول الجديدة والنامية توفر أدلة كثيرة على وجوده [٣] وتتعلق دراسة النظام الدولي بهيكل القوة والسلطة والتأثير وأنواع الصراعات وطرق حلهـا المستخدمة من اللاعبين الدوليين من أجل تحقيق أهدافهم [٤].

---

(١) Thomas A.metzger and ROMAN H .Myes,(٢٠٠٥),"chinees National and American Policy "Orps.p.p١٥-٢٠

(٢) مقلد، إسماعيل صبري (١٩٨٢). نظرية السياسة الدولية، الكويت: المكتبة الأكاديمية، ص٢٠.

(٣) Lyon Peter. (١٩٧٣). New States and International Order, in James Alan"The Bases of International Order' Oxford University Press, London, P.٢٧.

(٤) Dolman Antory. (١٩٨١). Resources, Regimes, World Order. Pergamon Policy Studies, U.S.A, P٩.

ويرى البعض بأن النظام الدولي " ليس فقط مجموعة من الترتيبات أو الفعاليات وإنما هو عبارة عن جانب من التقاليد، التي يمكن الحفاظ عليها وتبنيها وتحولها أو زوالها. والنظام الدولي هو عبارة عن أفكار مركبة ومتغيرة وتدابير عسكرية تضم وتتزود بالقوة من عناصر الانتظام، التي هي في الأغلب تخص العلاقات بين الدول" [١].

(١) Lyon , Peter. Op. cit., P.٢٥.

المبحث الأول

نظرية النظم في العلاقات الدولية

يتكون النظام الدولي من الدول المستقلة بالإضافة إلى المنظمات الاقليمية والعالمية والحركات الاقليمية والعالمية (كالأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية وجامعة الدول العربية وحركة التحرر والرابطة الاسلامية والكنيسة الكاثوليكية)[١].

هذا وتعتبر نظرية النظم في التحليل الدولي ، من أبرز النظريات التي استطاعت أن تحقق قبولاً عاماً وواسعاً لها في الأوساط الأكاديمية السياسية في العقود الأخيرة، وينظر إليها دعاتها على أنها بمثابة الرد المباشر على إخفاق النظريات والمفاهيم التقليدية في أن تصل إلى تصميم إطار علمي مقبول يدور في داخله تحليل السلوك الدولي في شتى تأثيراته وعلاقاته التبادلية سواء في الظروف الطبيعية أو في ظروف الأزمات.[٢]

خصائص النظم السياسية: [٣]

(١) أن النظام في حقيقته وحدة عضوية ومتحركة وقابلة للتطور والتغيير المستمر، وهو التغيير الذي قد يمتد إلى الملامح العامة للنظام أو لهيكله التنظيمي، أو لنمط أدائه الوظيفي سواء ما تعلق من ذلك بالمضمون أو بالقواعد والإجراءات، أو لسلوكياته ولنماذج العلاقات المتبادلة بين أطرافه، أو لقيمه وأفكاره ومفاهيمه، الخ...[٤]

---

(١) مقلد، إسماعيل صبري (١٩٧٩). العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات، جامعة الكويت، الطبعة الثانية، ص55.

(٢) عمر، مجدي، (١٩٩٩)، التغييرات في النظام الدولي وأثرها على الشرق الأوسط، عمان، مركز دراسات الشرق الأوسط، ص١٩.

(٣) هيكل، محمد حسنين (١٩٩٩). العرب على أعتاب القرن الواحد والعشرين. في العرب وتحديات النظام العالمي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص٣١١.

(٤) Omas A.metzger and ROMAN H .Myes,(٢٠٠٥),,"chinees National and American Policy ,"Orpsp. p٢٢-٣٨.

(٢) أن كل نظام يعمل بطريقة المؤثرات الداخلية وقد تكون مخرجات أحد النظم هـي نفسها المؤثرات الداخلة في تفاعل نظام آخر.

(٣) أن النظام قد يكون محكما في تكوينه، أي على درجة عالية نـسبياً مـن التماسـك والانضباط الذاتي كما قد يكون مفككاً ويتميز بتسيب العلاقات وعدم الانضباط. . ([1])

(٤) أن هناك حدوداً تفصل بين أي نظام وبين بيئته الخارجية التي يحتك بها ويتعامـل معها، بمعنى أن النظام يعمل عادة في بيئة أكبر منه تؤثر فيه كما تتأثر به، وهذه البيئة الخارجية المحيطة بالنظام تنتج حاجات وضغوطاً وتحديات مادية وإنسانية وفكرية، الخ...

(٥) أن كل نظام عبارة عن شبكة معقدة من الاتصالات التـي تقـوم بتبليـغ الحقـائق والمعلومات إلى أطرافه أو إلى أجهزة إتخاذ القرارات المسؤولة فيه، مما يحـدد فـي التحليـل الأخير، مقدرة النظام على التأقلم مع الظروف التي يعايشها ويعمل في ظل تحدياتها[٢].

تطبيق مفهوم تحليلات النظم على المستوى الدولي:

يرى " مورتون كابلان" أن نظام دولي يتكون من مجموعة من المتغيرات التي تتـرابط علاقاتها وتتداخل، وتؤدي تفاعلات تلك امتغيرات كلها، من داخلية وخارجية إلى إنتـاج أنمـاط متمايزة من السلوك الدولي، ومن هنا فإنه بتحليل علاقات التأثير المتبادل التي تربط بـين هـذه المتغيرات التي يعتمد عليها توازن النظام الدولي، واستقراره، يمكن التعـرف علـى جوانـب الانتظام أو عدم الانتظام في أنشطته وعملياته، ويقول أنه عندما يتسبب أحـد عوامـل التـأثير الداخل في إحداث نوع من التغيير الراديكالي في العلاقة التبادلية للمتغيرات التي يتـألف منهـا

(٥) S.k.Signgh,(١٩٩٤), “Security Enviroment of south asia “strategic analysis ,vol .xv-II,no.٢ (New Delhi ,Sabri House ,May.p.p١٢-١٨

(٢) مفاد، إسماعيل صبري، مرجع سابق، ص٥٥.

النظام الدولي، أو في الخصائص الذاتية لبعض تلك المتغيرات نفسها، فإنه لا بد وأن ينتهي ذلك بحدوث تحولات أساسية في سلوكيات هذا النظام. [١]

وبالنسبة لجورج مودلسكي فإن النظام الدولي هو في حقيقته نظام اجتماعي يستند إلـى مقومات هيكلية ووظيفية محددة، ويقول أن النظم الدولية تـشتمل علـى أنمـاط متنوعـة مـن التفاعلات السلوكية التي تحدد في التحليل الأخير الطابع المميز لأداء كل واحد منها.([٢])

هذا وينسب سكوت الكاتب المعروف إلى منهاج النظم في التحليـل الـدولي الميـزات التالية[٣]:

أولاً : أن هذا المنهاج يهيئ الأساس نحو إدماج الكثير من الأفكار والمفاهيم والنظريات التي تشعبت بسبب التباين الواضح في اتجاهات التحليل حتى أنها فقدت في حالات عديدة صلتها وارتباطها ببعضها، وأصبحت كالجزر المعزولة التي لا تصب كلها فـي النهايـة فـي مجـرى واحد.([٤])

ثانياً: أن تطبيق هذا المنهاج يمكن أن يساعد في توحيد المصطلحات المـستخدمة فـي تحليل السياسة الدولية بدلا من أن تظل هكذا على تشتتها وعدم تجانس مدلولاتها، ويقول سكوت أن هناك العديد من الاصطلاحات التي يمكن أن تشكل في مجموعها ما يمكن تسميته بلغة النظم في التحليل الدولي.

---

(٢) زهران، جمال (١٩٩١). أزمة الخليج في مواجهة النظام العالمي الجديد، السياسة الدولية، ص ص ٨٠-٨٦.

(٣)Richard Bernstein and ROSS H.Murnor(١٩٩٧), ,"The coming conflict with American ,"Foreign Affairs (March-April.p.p١٣-١٧.

(٣) عمر، مجدي، مرجع سابق، ص١٨.

(٥)Thomas A.metzger and ROMAN H .Myes,(٢٠٠٥),"chinees National and American Policy ,"Orps.p.p٣٠-٣٥

ثالثاً أن لهذه النظرية طاقة خاصة تمكنها من استيعاب مجموعة ضـخمة نـسبيا مـن الحقـائق والمعلومات وتحليلها، كما يمتد هذا أيضاً إلى مقدرتها على التعامل مع مدى واسع من ظـواهر الحياة الدولية.[١]

ويقدم (Rosokrens) مثالا للنظريات الفرعية التي يمكن للتحليل النظمي أن يجمع بينها وذلك على النحو التالي[٢]:

١- **نظريات القوة:** وهي النظريات التي تعتمد على اساس توزيع القوة بين فواعـل النظـام الدولي.

٢- **نظريات القيم والأيدلوجيات** : وعنها يقول روزكرينس أنه إذا كانت القيم والأيديولوجيات المتماثلة قد قامت دوما بدور هام في تحقيق الاندماج بين العديد من المجتمعات القوميـة وفي خلق الدافع إلى التكتل والتحالف وفي إنتاج الصراعات الدولية، وأيضاً فإنه إذا كانت الثورات الكبرى التي وقعت في العالم قد أدت إلى زرع المـشكلات الأيديولوجيـة فـي مختلف أوجه التعامل الدولي على نحو غير مسبوق.

٣- **نظريات التوازن**: يقول روزكرينس أن نقطة الضعف الأساسـية فـي مـدخلي القـوة والأيديولوجية تتمثل في أن هذين المدخلين يميلان إلى تجاهل ديناميكات التفاعل المعقـد التي تحدث في النظام الدولي، وهو ما دفع إلى الواقع بمـا اصـبح يعـرف بنظريـات التوازن[٣].

---

(١)Richard Bernstein and ROSS H.Murnor ,(١٩٩٧),"The coming conflict with American ,"Foreign Affairs (March-April) p.p٣٥-٤٠.

(٢) مقلد، إسماعيل صبري، مرجع سابق، ص٥٥.

(٣) عمر، مجدي، مرجع سابق، ص١٩.

٤- **نظريات إتخاذ القرارات** : التي يقول عنها أنها تمثل إطارا ضيقاً ومحدوداً للتحليل الدولي بحيث لا يمكن أن تكون لها سمة النظرية الشاملة، فهي تركز على الجوانب والإجراءات التنظيمية لعملية اتخاذ القرارات، وعلى بعض المشكلات الرئيسية التي تعاني منها مثل : نقص الحقائق والمعلومات، أو ضعف الاتصالات أو الافتقار إلى سوابق، أو ندرة الموارد، أو ضعف الإدراك، أو صعوبة تحديد الدوافع.

٥- **نظريات القدرة البيئية :** فيقول عنها أن المداخل النظرية السابقة تنحو بشكل واضح لكي تقلّل من أهمية الدور الذي تؤديه القدرات البيئية كعامل مؤثر في العلاقات الدولية. [١].

أهم الآراء والأفكار التي عبر عنها دعاة نظرية النظم في العلاقات الدولية:

أولاً : ماكليلاند والطبيعة المركبة للنظام السياسي الدولي: [٢].

يعتقد ماكليلاند أن النظام الدولي هو بطبيعته نظام متعدد الأبعاد فالدول ترتبط مع بعضها بمجموعة ضخمة جدا من العلاقات على مختلف المستويات الرسمية وغير الرسمية وهذه العلاقات تتفاعل في إطار ما يسمى بالحاجة والاستجابة وهو ما يعني بعبارة أخرى تداعي التفاعلات الدولية في مساق الأفعال وردود الأفعال.[٣]

كذلك يعتقد ماكليلاند أن ما يحدث من وقائع في النظام الدولي ينبع في معظمه من مصادر أساسها في الدول الأطراف في هذا النظام نفسها، كالرأي العام وجماعات الضغط

(١) نعمة، كاظم هاشم (١٩٨٧). العلاقات الدولية، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، بغداد، ص١٥..

(٢) نعمة، كاظم هاشم، مرجع سابق، ص١٩.

(٣) S.k.Signgh,(١٩٩٤) "Security Enviroment of south asia "strategic analysis ,vol .xv-II,no.٢(new Delhi ,sabri House ,May.p.p٦٣-٦٥

والأحزاب السياسية، ولهذا السبب فإن التحليل النظمي لا يركز فقط على علاقة الدولة بالنظـام الدولي، وإنما يمتد ليشمل علاقة القوى الداخلية في الدولة بالدولة بالنظام الدولي[١].

ثانياً : لدى روز كرينس مفهوم النظم الدولية [٥].

ويقوم تحليل "روز كرينس" للنظم الدولية على أساس الدراسة التي أجراها لتسعة نماذج تاريخية من النظم الدولية التي ظهرت في منطقة أوروبا الغربية فـي الفتـرة مـن (١٧٤٠ و ١٩٦٠) ويتمثل خط التقسيم الفاصل بين هذه النظم التسعة في التغييرات التي حدثت للمـضمون والأهداف والوسائل الدبلوماسية التي تبناها وأساليب تعامله معها .[٦]

تمكن روزكرينس من إقامة نموذجين تحليليين رئيسيين للنظم الدولية[٧]:

أ- النظم الدولية المستقرة.

ب- النظم الدولية غير المستقرة.

يرى روز كرينس أن عملية الاستقرار ترتبط في أساسها بالاعتبارات الجوهرية التالية:

- التأثيرات الداخلة إلى النظام الدولي وتمثل عامل ارباك لأسلوب أدائه الطبيعي.
- الضوابط المنظمة اليت تقوم بعمل رد الفعل فـي مواجهـة التـأثير الـسلبي لعوامـل الإربـ ـك الطارئة.

---

(١) عمر، مجدي، مرجع سابق، ص٢٤.

(٥) هنري كيسنجر، (١٩٩٢). القضية الروسية الجديدة، ترجمة: علياء حسين، مجلة آفاق عربية، السنة الرابعة عشرة، العدد ٥ بغداد، ص٦٢.

(٦)Thomas A.metzger and ROMAN H .Myes,(٢٠٠٥),"chinees National and American Policy ,"Orps.p.p٤٧-٥٢

(٧) عمر، مجدي، مرجع سابق، ص١٨.

- القيود البيئية التي تؤثر هي الأخرى في نمط استجابة النظام الـدوي لهـذه المـدخلات السلبية.

- الاستجابات النهائية التي تصدر عن النظام والتي يحدد بها موقفه من كل تلك المتغيرات.

ويقدم روز كرينس بعض الأمثلة لعوامل الإرباك التي تلقي بتأثيها السلبي على النظـام الـدولي فيذكر منها: تعارض الانتماءات المذهبية، وانعدام الشعور بالأمن لدى بعض الدول، والتضارب في المصالح القومية، فضلا عن التاثيرات الناتجة عن التفاوت في حجم الامكانـات والمـوارد المتاحة للدول.(١)

ثالثاً: النظام الدولي والتطور بأسلوب التفاعلات المعقدة في مفهوم دوجرتي:

يصف دوجرتي النظام الدولي بأنه كيان ذو طبيعة قابلة للتغيير المستمر، وهو إذا كـان يبدو في حالة من النمو أو التطور في مرحلة فإنه قد يظهر على وشك التقوض والانهيـار فـي مرحلة أخرى، وبين هذين البديلين المتطرفين من القابلية للتطور إلـى فقـدان المقـدرة علـى الاستمرار، يحاول النظام أن يحتفظ بأدائه الطبيعي بشكل أو آخر، ولكن في كل الأحوال يظـل هناك تغيير(٢).

ويقول عن النظام السياسي العالمي أنه يحوي في داخله كل صور التفاعل الـدولي أيـا كانت أطرافه ومصادره، وهو يتكون من أربعة أنواع على الأقل من النظم الدولية الفرعية:(٣)

١. النظم الدولية الوظيفية سواء كانت هذه سياسية أو اقتصادية أو قانونية.

---

(١)Rosenau ,Games N.(١٩٩٠),,Trublence in World politics Atheory of hange and continuity (prrinceton ,New jerky :princetonUnivercity press)

(٢) المصدر نفسه , ص٢٦.

(٣)Nicholson Micheal(١٩٩٦), Causes and cousquences In International relation :acconceepetual study , (New york, printer).

٢. النظم الدولية الاقليمية ومن أمثلتها منطقة غرب أوروبا، والـشرق الأوسـط، وأمريكـا اللاتينية، الخ.

٣. النظم القومية وهي أكبر هذه النظم الدولية الفرعية وأوسعها نطاقاً لأنها تشمل كل الـدول القومية الأعضاء في النظام العالمي بصفتها كيانات مستقلة وذات سيادة بغض النظر عن اختلاف تكوينهـا العقائـدي أو الـسياسي أو الاقتـصادي أو الاجتمـاعي أو الثقـافي والحضاري(١)

٤. المنظمات الدولية والتي قد تكون مرتبطة بعلاقة من نوع أو آخـر مـع الـنظم الدوليـة الوظيفية أو الاقليمية أو القومية بمفهومها السابق أو بها كلها في نفس الوقت.

وينتقل دوجرتي من هذه الأمثلة التوضيحية لطبيعة التفاعلات الضخمة واللامحـدودة فـي النظام السياسي العالمي إلى البحث في أوجه العلاقة بين الهيكل التركيبي لهـذا النظـام وبـين أنشطته وعملياته وهو يعدد مظاهر الارتباط بين هذين الجانبيين على النحو التالي: (٢)

أ- أن النظام العالمي لا يمكن أن يتمثل في صورة تركيبية أو تنظيمية واحدة وإنما يمن أن توجد عدة صور تركيبية بديلة لهذا النظام.

ب- أن الأهمية السياسية لأي طرف فاعل في النظام العالمي تكون بمثابة انعكاس للمركـز الذي يشغله في توزيعات القوة العالمية.

ج- أن القوى السياسية الفاعلة في النظام العالمي سواء كانت دولا قومية أو إمبراطوريات أو محالفات أو منظمات دولية إقليمية أو عالمية تنمو وتتغير فقد تنشأ دولة مركبة مـن عـدة دول قومية.

---

(١)Kingeson Topgorn(١٩٩٠), History of International and Nationalizm socity comb side ,(New york ,Cambridge polity press .

(٢) عمر، مجدي، (١٩٩٩). المرجع السابق، ص١٧.

رابعاً: نموذج كابلان في التحليل النظمي: النظم الدولية الحقيقية والنظم الدولية الافتراضية

يعتبر مورتون كابلان من أكثر المحللين الذين حاولوا بلورة إطار متكامل لنظرية النظام في التحليل الدولي وقد انتهت به المحاولة إلى تصميم ستة نظم دولية نظرية لكل منها خصائصه ومقوماته ومتغيراته التي تتحكم في نمط تفاعلاته، وقد حدد كابلان هذه المتغيرات بخمسة متغيرات أساسية هي:(١)

١- **القواعد الأساسية:** وهي القواعد التي تسهم في خلق النماذج السلوكية الضرورية لتحقيق التوازن داخل النظام الدولي.

٢- **قواعد الانتقال**: وهي القواعد التي تعبر عن طبيعة التحولات التي تطرأ على النظام الدولي، وتؤدي به للإنتقال من شكل إلى آخر.

٣- المتغيرات المتعلقة بخصائص الأطراف الفاعلة في النظام الدولي.

٤- المتغيرات المتعلقة بالإمكانات المتاحة لدى الأطراف الفاعلة في النظام الدولي وتشمل بالأساس مستويات التسلح والتكنولوجيا وغيرها من عناصر القوة. **(٢)**

٥- المتغيرات المتعلقة بالمعلومات والتي تؤثر بقوة في إتجاه عمليات الاتصال داخل النظام الدولي.

أما عن تقسيم كابلان للنظم الدولية فقد أورده على النحو التالي:

أ- نظام توازن القوى.

ب- نظام القطبية الثنائية الهشة.

---

(١) Morgenthau ,(١٩٩٦),Hans and Thowpson, Kennethw.politics among Nathion (New york, printer).

(٢) نعمة، كاظم هاشم، مرجع سابق، ص٢٢.

ت- نظام القطبية الثنائية المحكمة.

ث- النظام العالمي.

ج- النظام الدولي الهرمي.

ح- نظام وحدة الفيتو.

وفيما عدا النظامين الأولين، فإن النظم الأربعة الأخرى هي نظم افتراضية لـم تتحقـق تاريخياً، وإن كان من الممكن أن تنبثق إلى الواقع كما يزعم كـابلان، فـي مراحـل تاريخيـة لاحقة[١].

وبعد أن يعين كابلان القواعد الرئيسية التي تحكمت في تفاعل كل واحد من هذه الـنظم الدولية بالنسبة لما ظهر منها، وما يحتمل أن تكون عليه صورة ذلك التفاعل بالنسبة لنظم التي لم تظهر بعد، يخلص إلى بعض الملاحظات الجوهرية حول كل نظام وذلك على النحو الآتي:

خامساً: سكوت وديناميكيات التفاعل في النظام الدولي: [٢].

يعتبر تحليل أندروسكوت لديناميكات التفاعل والتوازن في النظام السياسي الدولي مـن أشمل التحليلات النظمية التي ظهرت حتى الآن، بل لا نبالغ إذا قلنا أنها أكثرها اقترابا من أرض الواقع، وهو في هذا يختلف عن بعض مفكري هذه النظرية البـارزين ككـابلان مـثلا، ممـن يسرفون على نحو ما رأينا، في التجريد النظري إلى الحد الذي يدفع بهم إلى التحليق في عـوالم افتراضية تكاد تكون من صنع الخيال أو الوهم [٣].

---

(١)Morgenthau (١٩٨٥),,Hans ,politics Nation :the struggle for power and peace,(New york :Alfred .Konff)

(٢) عمر، مجدي (١٩٩٩). مرجع سابق ، ص١٧.

(٣) كريب، إيان (١٩٩٩). النظرية الاجتماعية، من بارسونز إلى هابرماس، العدد: ٢٤٤ـ نيسان، عالم المعرفة، ص٢٩.

يبدأ سكوت بتعريف الأطراف الرئيسية الفاعلة في النظام السياسي الدولي فيحددها بالدول القومية، والمنظمات الدولية، والتكتلات فوق القومية، والمحالفات الدولية، والمنظمات والحركات الدولية غير الحكومية، والجماعات القومية الفرعية كجماعات الضغط والاتحادات العمالية، والأفراد الذين تتوفر لهم بعض الفعاليات المؤثرة في النظام الدولي بما يمثلونه من آراء أو ما يدافعون عنه من أفكار ومعتقدات.[١]

ويقول سكوت أن كل الأطراف الفاعلة في النظام السياسي الدولي تكون في حالة من التفاعل المستمر مع بعضها، وهو التفاعل الذي يتراوح مداه بين الحد الأقصى والحد الأدنى والذي بدونه لا يمكن الادعاء بوجود نظام، وتتمثل التفاعلات الدولية في رأيه في أربعة أشكال رئيسية هي: التفاعلات الحكومية المباشرة، والتفاعلات الحكومية غير المباشرة، والتفاعلات غير الحكومية المباشرة، والتفاعلات غير الحكومية غير المباشرة[٢].

وعند هذه النتيجة الأخيرة بالذات والمتعلقة بتأثير النظم الفرعية على إتجاهات ومسارات التحول في النظام الدولي العام، يتوقف سكوت ليذكر لنا بعض الملاحظات التفصيلية على العلاقة المتبادلة بين هذين الطرفين فيقول[٣]:

أولاً- أن النظم الدولية تختلف من حيث درجة مركزية عملية اتخاذ القرارات فيها، فقد يكون لنظام فرعي واحد درجة عالية جدا من التأثير على الكيفية التي تتخذ بها هذه القرارات أو

---

(١) السيد ساسين ، (١٩٩٨) "العولمة وانعكاساتها على الوطن العربي ، "قضايا استراتيجية ، سلسلة دراسات شهرية ، السنة الثالثة ، العدد١٧.

(٢) نعمة، كاظم هاشم، مرجع سابق، ص٢٢.

(٣) Dunne Andrew (١٩٩٧),p.Dunne International theory to the Drink and Beyond (Westport ,conn Green wood press

على اتجاهها العام، في حين أنه في أحوال أخرى قد يتوزع هذا التأثير بين عدد من الأنظمة الفرعية.(١)

ثانياً– أن مستوى الاعتماد المتبادل بين النظام الدولي العام ومكوناته الفرعية تختلف جذريا من حالة إلى أخرى، فإنهيار نظام فرعي (إذا كان نظاما مسيطراً) قد ينتهي بتدمير النظام العام، كما قد لا يؤثر فيه ولا إذا كان نظاما هامشياً، وفي حالات ثالثة فإن إنهيار أحد النظم الفرعية قد يساعد على تهيئة ظروف أفضل لنمو النظام الدولي العام، وذلك بتعزيز الإمكانات التي يعتمد عليها أداؤه الوظيفي.(٢)

وعلى الجانب المقابل، فإن إنهيار النظام الدولي العام، قد يؤدي بالتبعية إلى تدمير نظام فرعي معين، كما قد لا يؤثر هذا الانهيار في تماسك الكيان العام لهذا النظام الفرعي بأي كيفية هامة، ومن ناحية ثالثة، فقد يساعد على تدعيم فرص نموه أو رفع كفاية أدائه الوظيفي، وهكذا.

ثالثاً- أن اختلاف القواعد التي يعمل على أساسها النظام الدولي ككل، لا بد وأن يتبعه اختلاف في نمط العلاقة القائمة بين النظم الفرعية المكونة له، أو في درجة النفوذ والتأثير المتبادل الذي تمارسه هذه النظم في مواجهة بعضها، وقد تكون المحصلة النهائية لمثل هذا التغيير إنهاء تفوق نظام فرعي معين ليأخذ مكانه نظام فرعي آخر.(٣)

هذا ويحدد سكوت المشكلات التي يتعين على أي نظام دولي قائم على المشاركة أن يتكيف إزاءها، وهو يذكر أن هذه المشكلات يمكن أن تتمثل في أي صورة من الصور الآتية:

---

(١) محمد السيد سعيد ،(١٩٧٨)، الشركات متعددة الجنسيات :وآثارها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ،(القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب).

(٢)محمد ابراهيم عبد الرحمن،(١٩٨٤)، "سطوة الشركات متعددة الجنسيات على اقتصاد العالم" ، الأهرامن الاقتصادي ، العدد ٨٠.

(٣) ميخائيل جورباتشوف ،(١٩٨٨)، البيريسترويكا: تفكير جديد لبلادنا وللعالم ، ترجمة :حمدي عبد الجواد ، (القاهرة: دار الشروق، الطبعة الأولى).

١- حدوث زيادة ضخمة وطارئة في مستوى التهديد الذي تتحدى به البيئة الخارجية للنظام الدولي[١].

٢- تكثف حدة الصراع أو تزايد الانقسامات داخل النظام.

٣- انسحاب بعض الأطراف الهامة التي يتكون منها النظام.

٤- حدوث تحول جذري في الأهداف التي تعتنقها الأطراف الرئيسية في النظام.

٥- انتهاء النظام الدولي (خاصة إذا كان نظاما دوليا فرعيا كمحالفة عسكرية أو تكتل اقليمي أو منظمة دولية وظيفية، الخ) من تحقيق الأهداف التي نشأ بسببها أو قام من أجلها[٢].

٦- تعثر عمليات الاتصال أو تعقدها وفشلها داخل النظام.

٧- ظهور الحاجة إلى إسناد وظائف جديدة للنظام والتي لم يكن مهيئا أو مستعدا لها عند قيامه (إما بسبب عدم الثقة في كفاءته، أو انخفاض مستوى التوقعات، أو بسبب تواضع الموارد والامكانات المبدئية التي رصدت لأنشطته، أو لتواضع أهدافه نسبيا).

٨- معاناة النظام الدولي من ضغوط العمل الزائدة عن المستوى الطبيعي أو عن الحد الاعتيادي. [٣]

٩- اتجاه نظام فرعي إلى استغلال النظام الدولي العام في تحقيق أهدافه الخاصة والضيقة دون ما اكتراث برد الفعل الذي يمكن أن يتسبب فيه هذا الميل الانتهازي على باقي دوائر النظام ومكوناته الفرعية الأخرى.

---

(١) نعمة، كاظم هاشم، مرجع سابق، ص٢٣.

(٢) كريب، إيان، (١٩٩٩)، النظرية الاجتماعية، من بارسونز إلى هابرماس، العدد ٢٤٤، عالم المعرفة، ص٤٢.

(٣) أبو لبده، نظمي عيسى ، (١٩٩٩)، أثر التغايرات في النظام الدولي على الأمن القومي العربي في الفترة من ١٩٨٥م إلى ١٩٩٥م، رسالة جامعية غير منشورة، جامعة آل البيت، عمان، الآردن، ص٢٣.

ويشخص سكوت الأعراض المرضية التي تظهر على أي نظام دولي إذا ما فشل في إظهار استجابة ملائمة وواعية لتحديات الأزمات التي يتعرض لها، وهي الأعراض التي تكون بمثابـة المقدمة نحو تقوضه وإنهياره، ومنها على سبيل المثال:(١)

(أ) أن سلوك الأطراف المكونين للنظام الدولي، بل وسلوك هذا النظام ككل ينحـرف عـن المسار الطبيعي ليدخل في مسارات خاطئة ومتعارضة.

(ب) تزايد حدة النزاعات والاحتكاكات الداخلية مما ينتج عنه افقاد النظام الدولي جانبا مهمـا من صلابته وتماسكه.

(ت) التساهل في مواجهة السلوك الجانح أو المنحرف مما يضعف من قاعدة الاتفـاق داخـل النظام، ويتيح المجال أمام تدعم النزعات المتمردة على قواعده وسلوكياته.

(ث) تعرض عمليات الاتصال المتبادل بين أطراف النظام الـدولي للاختناقـات والأعطـال المتكررة.

(ج) إنسحاب بعض أطراف النظام منه بشكل رسمي أو غير رسمي، وذلـك علـى سـبيل الاقتناع من جانبهم بأنه لم يعد قادرا على تلبية احتياجاتهم الأساسية والتي كانـت الـسبب وراء ارتباطهم به في الأصل.

(ح) تدهور مستوى التفاعل وهبوطه دون النقطة التي تسمح باستمرار أداء النظـام الـدولي لمسؤولياته في أي صورة طبيعية وفعالة (٢).

(خ) الهبوط الملحوظ في كفاءة أداء النظام، وتقلص أنشطته عن معدلها الطبيعي.

---

(١)Hirst ,paul and Thompson (١٩٩٦),Globalization in Qusition the international Economy and possibilities of Governance ,(Cambridge polity press ,second Edition)

(٢) نعمة، كاظم هاشم، مرجع سابق، ص٢٢.

تقييم نظرية النظم كأداة للتحليل العضوي الشامل لحقائق العلاقات الدولية:

تعرضت النظرية كغيرها من نظريات السياسة الدولية لبعض الانتقادات الحـادة التـي تتمثل اجمالا في الآتي:(١)

أولاً : أن التفاعلات المتناهية التعقيد التي تجري داخل النظم الدوليـة علـى اخـتلاف مستوياتها من عامة وفرعية تجعل من الصعوبة بمكان رصدها وتعقها كلها وتحديـد دوافعهـا الأولية والتوصل من خلالها إلى الأسباب الحقيقية التي تكمن في خلفية سلوك كـل واحـد مـن أطراف هذه النظم ممثلا في استجاباته وردود أفعاله. (٢)

ثانياً : أنه إذا كان قياس وتقييم عمليات التفاعل والاتصال داخل النظم الدولية الفرعيـة والعامة يشكل صعوبة عملية بمثل هذا الحجم وبمثل هذه الدرجة من الحدة فإن هنـاك صـعوبة أخرى لا تقل عنها، والتي ترتبط بها وتتداخل معها إلى حد بعيد، ونقصد بها الصعوبة المتعلقـة بمدى كفاية ما هو متاح من حقائق ومعلومات للمحللين في إطار مفاهيم نظرية النظم وأفكارهـا الرئيسية، ولهذه الصعوبة عدة جوانب هامة مثل (٣):

أ- مدى توفر مصادر المعلومات من رسمية وغير رسمية.

مدى حجم ونوعية الحقائق المتوافرة عن مختلف عمليات الاتصال المتبادل بين أطـراف هـذه النظم الدولية كلها، والتي تكشف فـي التحليـل الأخيـر عـن مـستويات الإدراك والتـصور والانطباعات المتبادلة من عدائية وتوتر وتحامل واسـتفزاز أو مـن دعـم ومـساندة واتفـاق وتجاوب.(٤)

---

(١)Orgenthau ,(١٩٩٦),Hans and Thowpson, Kennethw.politics among Nathion (New york, printer).

(٢) أبو لبده، مرجع سابق، ص٢٣.

(٣) كريب، إيان، مرجع سابق، ص٣١.

(٤) محمد طه بدوي ، (١٩٧١)، مدخل إلى علم العلاقات الدولية ، (بيروت، الدار المصرية للطباعة والنشر،١٩٧١).

ب- درجة نقاء تلك المعلومات، أي مدى تطابقها أو عدم تطابقها مع الواقع الدولي كما حدث في الماضي، أو كما هو قائم في الحاضر.

ت- كيفية ربط كل تلك المعلومات ببعضها ربطا منطقيا واقعيا ذا مغزى للتحليل.

ومن الواضح أنه إذا لم تكتمل كل العناصر السابقة، وكثير غيرها، في صورة صـحيحة وملائمة فإن التحليل سيأتي في النهاية ليعطي نتائج غير دقيقة بل وغير واقعية.

إذن فالمشكلة التي يواجهها المحللون في دائرة النظم تتمثل في كيفية التغلب علـى هـذه الصعوبة خاصة وأن:[١]

أ- هناك حقائق معينة تؤثر بعض أطراف النظام الدولي أن تبقى عليها في طـي الكتمـان وهي تفعل ذلك لاعتبارات أمنية أو سياسية أو مصلحية أو حتى أدبية وأخلاقية، وقد تضرب هذا الستار من السرية حولها لفترة طويلة من الزمن[٢].

ب- إتجاه بعض الأطراف الدولية وعن عمد إلى تقديم بعض الحقائق بطريقة مـشوهة مـن أجل نقل إنطباعات نفسية، أو تثبيت إيحاءات دعائية معينة، أو لتبرير تصرفات دوليـة معينـة، وبالتالي يكون السؤال هو : كيف يمكن فصل هذه الحقائق عن ذلك الإطار من الزيف أو التشويه الذي يدخله عليها أصحابها، وهل يكون بالمقدور الوصول إلى هذه النتيجة في كل مرة يجد فيها الباحث نفسه أمام موقف كهذا؟ [٣].

ثالثاً: فهناك المشكلة الخاصة بمتغيرات البيئة الخارجية وبكيفية الاستدلال عليها وتقييمها وربطها بما يحدث داخل النظام الدولي ومكوناته الفرعية من تفاعل على كل مستوى.

---

(١)Nicholson Micheal (١٩٩٦).Causes and cousquences In International relation :acconceepetual study ,(New york, printer).

(٢) نعمة، كاظم هاشم، مرجع سابق، ص٣٩.

(٤) زهران، جمال (١٩٩١). أزمة الخليج في مواجهة النظام العالمي الجديد، السياسة الدولية، ص ٨٠-٨٦.

فعندما يذكر سكوت مثلا أن متغيرات البيئة الدولية كثيرة جدا ومنها ما هـو اقتـصادي وسياسي وعسكري واستراتيجي وتكنولوجي، ومنها كذلك ما هو مذهبي وسـيكولوجي وعلمـي وثقافي وتنظيمي وحضاري، الخ، فنحن نقره على ذلك ولا نختلف معه، ولكن الأهم من هذا هو كيفية قياس التأثير النسبي لكل واحد من هذه المتغيرات البيئية والتعرف علـى الطريقـة التـي تتفاعل بها كل هذه المتغيرات مع بعضها، ثم كيف يمكننا رصد التأثيرات المتبادلة بين متغيرات البيئة الخارجية وبين سلوك النظام الدولي العام ومكوناته الفرعية لنرى ما إذا كان هذا التـأثير يميل في محصلته النهائية لأن يكون إيجابياً أو سلبياً، ومع التوازن أو ضده.(١)

يضيف إلى ذلك أن بعض المتغيرات البيئية قد يكون قابلا للقياس والتحليل الكمـي فـي حين أن هناك متغيرات أخرى ذات طبيعة كيفية بالأساس ويتعذر تحليلها بهذا الأسلوب ومنهـا صراعات الأفكار المذهبيات، والتأثيرات الثقافية والحضارية والأخلاقية والمؤثرات الـسيكلوجية على المستوى الإنساني العام كتزايد التوقعات، وسيطرة مشاعر التوتر أو الاحباط أو التشاؤم من بعض الأخطار العامة، حقيقية كانت أو متخيلة، كأخطار الحرب، والجوع، والفقر، الخ.(٢)

إذن كيف يمكننا أن نرتب هذه القائمة الطويلة من المتغيرات البيئية بأولوياتها، وكيـف يمكننا الإدعاء بعدئذ بأن ما يحدث من تخلخل أو اهتزاز أو من اتجاه إلى التغيير داخل النظـام الدولي العام ومكوناته الفرعية يكون ناتجا بالأساس عن ضغط متغير معين أو مجموعة معينـة من هذه المتغيرات البيئية؟ ومن الناحية الأخرى، كيف يمكننا رصد التأثير الناتج عن المتغيرات التي يقوم النظام الدولي ومكوناته الفرعية بتصديرها إلى البيئة الخارجية، وتحديد استجابة هـذه

---

(١) محمد السيد سليم ، (٢٠٠٠) ، تحليل السياسة الخارجية ، (القاهرة).

(٢) Duchaccek,(١٩٨٦)Iv Dthe territorial Dimension pf politics withen amongand across nation (boulder CO westview press ١٩٨٦).

البيئة الإنسانية الواسعة بمختلف قطاعاتها وعناصرها ومكوناتها إزاء كل مؤثر يدخل إليها سواء اتخذت تلك الإستجابة صورة التقبل، أو المقاومة والرفض، أو التكيف المحدود. [١]

إن هذا النوع من التحليل قد يناسب النظم المستقرة والغير معقدة والمحدودة الأطـراف والأنشطة والعمليات في علاقتها ببيئتها الخارجية، أما بالنسبة للنظم المعقدة وغير المستقرة فـإن الأمر يختلف جذرياً[٢].

بعد هذا كله لا نستطيع إلا أن نقول أن تحليلات النظم رغم جاذبيتها النظرية الشديدة، إلا أنها ما تزال غير كافية كأداة للتحليل الشامل لكل الحقائق المعقدة التـي يتركـب منهـا الواقـع السياسي الدولي[٣].

يعرف النظام "بأنه مجموعة الحقائق الاقتصادية والاجتماعية والجغرافية والسياسية التـي تحكم علاقات المجتمع بكل الأنساق القيمية والثانوية التي تعبر عن هذه الحقائق والتـي تـربط علاقات الدول بعضها ببعض وعلاقات الدول بالمجتمع الدولي كله، وعلاقة المجتمـع والـدول بالصيغة وآليات التغيير لهذه العلاقة" [٤]، وبعد ذلك أصبح ينظر إلى النظام الدولي من مدلولاتـه المختلفة حيث تشير كلمة نظام من حيث مدلولها اللغوي العام إلى عدة معاني أهمها ما يلي[5]:

أ- النظام هو حالة (state of Affairs) من التوافق والانضباط تتسم بخلوها من الفوضـى أو الاضطراب وذلك بعامل الالتزام بالقانون واحترام السلطة، أي الالتزام بالقانون ومن ثم تسير الأمور سيراً هادئاً غير مضطرب وبصورة متعارف عليها وفقاً لإجراءات وأعراف مستقرة.

---

(١) محمد طه بدوي ، (١٩٧١)، مدخل إلى علم العلاقات الدولية ، (بيروت، الدار المصرية للطباعة والنشر).

(٢) نعمة، كاظم هاشم، مرجع سابق، ص٣٧.

(٣) عمر، مجدي، مرجع سابق، ص١٨.

(٤) شرف، أحمد (١٩٩٢). مسيرة النظام الدولي الجديد قبل وبعد حرب الخليج، دار الثقافة الجديدة، ص٢٢.

(5) دورتي، جيمس، وبالنسفراف، روبرت (١٩٩٥). النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة وليد عبد الحي، بيروت: كاظمة للنشر والتوزيع، ص١٠٨.

ب- النظام مجموعة من القواعد (Rules) أو الـضوابط (Regulations) أو التوجيهـات (Directions) أو الآراء (Commands) أو التكيفات (Commissions) حيـث تتـسم هـذه القواعد المنظمة عادة بأنها آمرة، وملزمة لكونها صادرة عن سلطة عليا ومن ثم فهـي قواعـد سلطوية (Authonilative) [١].

ويحدد هذا المفهوم النظام العالمي من خلال مجموعة من الأنظمة منها النظام الـسياسي والنظام الاقتصادي، يستند مفهوم الدولي في سياق مفهوم النظام الدولي الجديـد إلـى فكـرتين جوهريتين هما [٢]:

- **نسبة إلى الدولة**: وهي الشخص الرئيس الفاعل في مجال العلاقات الدولية باعتبارها أي الدولة من أقدم الأشخاص الفاعلين في المجتمع الدولي.

- **نسبة إلى زمن التنظيم الدولي** في أساسه الذي استند إلى الدولة فهيئة الأمـم المتحـدة وفروعها لا تضم إلا دولاً، ومحكمة العدل الدولية لا يمتثل فيها أمام القضاء إلا دول وأن دائرة صنع القرار الرئيسية في التنظيم الدولي مكونة من دول كما أن مصدر إنشاء وتـدويل معظـم المعاهدات والاتفاقيات الدولية في مجالات متعددة هي الدول [٣].

خصوصية النظام الدولي:

إذا عرفنا النظام السياسي بأنه نمط من التفاعلات تصنعه مجموعة من الفـاعلين داخـل بيئة معينة ، في إطار صيغة معينة لرقابة السلوك وضبط الأداء ، فـسوف نلاحـظ أن النظـام

---

(١) مصطفى، ممدوح (١٩٩٨). مفهوم النظام الدولي بين العملية النمطية، الإمارات: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ص١٠.

(٢) المهذبي، ميلود (١٩٩٢). قراءة مغايرة لمصطلحات معاصرة النظام العالمي الجديد والشيوعية الدولية وقضية لوكربي، مجلة المستقبل العربي، العدد، ١٦١، تموز، ص٣٢.

(٣) السعيد، عبد المنعم (١٩٩٦). حرب الخليج والنظام العالمي الجديد، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد الأول، ربيع/ خريف، ص١٥٨.

الدولي لا يشتمل على عنصرين أساسيين من العناصر الضرورية لتشكيل نظام سياسي بـالمعنى الدقيق، وهما:(١)

العنصر الأول : غياب البيئة الخارجية للنظام ، فالنظام الدولي تحول تدريجياً إلى نظـام مغلق ، بعد أن أصبح نظاماً كونياً يشمل المعمورة كلها.

أما العنصر الثاني: فيتمثل في عدم وجود سلطة عليا قادرة على إخضاع كافة الفاعلين الدوليين وضبط رقابة الأداء في النظام ، ورغم تقييد حق استخدام القوة ، بل تحريم اسـتخدامها أو حتى مجرد التهديد باستخدامها ، الا أن القوة ما تزال تحتل موقعاً بارزا في النظام الـدولي ، وعليه ، فأن النظام الدولي له خصوصية تميزه عن غيره من النظم السياسية ، وسوف نحـاول فيما يلي أن نستعرض بإيجاز أيضاً على موقع توازنات القوة من هذا النظام .(٢)

أولاً – غياب البيئة الخارجية:

لم يصل النظام الدولي إلى مرحلته الكونية الراهنة دفعة واحدة ، وإنما بمراحل تطـور عديدة، مكا سبق رأينا ، وهكذا ،بات من المحتم أن تتفاعل الوحدات السياسية مع بعضها في ظل نظام كوني مغلق .(٣)

وبتحول العلاقات الدولية إلى شبكة من التفاعلات الدولية تتم داخل نظام مغلق ، لم يعـد للنظام الدولي بيئة خارجية فقد امتدت اطراف النظام إلى كل أرجاء المعمورة واشـتدت قبـضة الفاعلين الدوليين على ما يملكونه من حيز فوق اليابـسة وانتقـل الـصراع – بفعـل التطـور التكنولوجي- إلى البحار والفضاء والمحيطات التي اعتبرت ملكاً مشتركاً للبشرية ولم تكن تدخل

---

(١)Nicholson Micheal(١٩٩٦), Causes and cousquences In International relation :acconceepetual study ,(New york, printer).

(٢) محمد السيد سليم ، (٢٠٠٠)، تحليل السياسة الخارجية ،(القاهرة).

(٣)Morgenthau ,(١٩٩٦),Hans and Thowpson, Kennethw.politics among Nathion (New york, printer).

ضمن الأقاليم التي تسري عليها سيادة الدول وسلطتها القانونيـة ، وأصـبحت أعـالي البحـار واعماقها محل نزاع وصراع من اجل تملكها والسيطرة عليها نظرا لما تتضمنه مـن ثـروات سمكية ومعدنية ، كما أصبح الفضاء مجالا للـصراع ، مـن خـلال قنـوات البـث الاذاعـي والتلفزيوني والأقمار الصناعية المستخدمة لأغراض عسكرية أو مدنية ، وهكذا دخل جزء مـن الحيز ان يقع خارج حلبة الصراع إلى قلب الصراع. [1]

ومع تحول الكون كله إلى ساحة التفاعل والصراع ، تحولت الـنظم الجزئيـة الـسابقة للعلاقات الدولية إلى نظم فرعية إقليمية داخل نظام كوني شامل بعد ان بدات هذه النظم الجزئية تحتك مع بعضها وتتداخل وتتفاعل ، وفي إطار هذه الحركة كانت تتغير على الـدوام مـوازين القوة ليس فقط بين الدول داخل النظام الكوني أو النظم الفرعية؟ ولكن أيضاً بين النظم الفرعيـة نفسها.[2]

ثانياً – عدم التجانس:

تتوافر عوامل عديدة تساعد على خلق قوة دفع ، تعمل على تكامل وحدات النظام الدولي أو – على الأقل – على ترابط الوحدات ، وتشابكها معا بطريقة تعمل على تحويلها إلى لبنـات في نظام واضح المعالم والآليات من هذه العوامل:[3] وجود شبكة هائلة من المؤسسات الدائمـة، ونظم الاتصال والإعلام ، وآليات لتبادل السلع والخدمات والأشخاص ورؤوس الأموال، وكلهـا عوامل ساعدت على زيادة كثافة التفاعلات الدولية، وخلق حالة من الاعتماد المتبادل والمتنـامي

---

(٤) إسماعيل صبري مقلد ، (١٩٨٠)، قضايا دولية معاصرة ، السياسة الدولية من الحرب الباردة إلى الوفاق ،(الكويت :مؤسسة الصباح).

(٢) حسن نافعة وسيف عبد الفتاح (٢٠٠٠)، (إشراف وتحرير)، العولمة: قضايا ومفاهيم ،سلسلة محاضرات الموسم الثقافي (٢)، (القاهرة :قسم العلوم السياسية بجامعة القاهرة).

(٣) Kingeson Topgorn(١٩٩٠), History of International and Nationalizm socity comb side ,(New york ,Cambridge polity press).

بين وحدات النظام ، ومع ذلك ، فغن وحدات هذا النظام ما تزال تتسم بدرجة كبيرة مـن عـدم التجانس.

فالمجتمع الدولي يتكون حالياً من ١٨٩ دولة عضو في الأمم المتحدة وهي دول تتمتـع نظرياً بالسيادة وتتعامل معها على أساس قاعدة المساواة في الحقوق والواجبات ولكنهـا تتبـاين تباين ضخماً في قدراتها وإمكانياتها، جميع المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافيـة وغيرها، كما سبقت الإشارة وهذا التباين قائم على المستوى المحلي أي –داخل كل دولـة – أو على المستوى الإقليمي، أي بين أقاليم العالم المختلفة.[1]

لكن عدم التجانس هذا يطرح نفسه في صورة أخرى، تتصل بطبيعة الفاعلين في النظام الدولي، فقد اتسع المسرح الدولي للاعبين آخرين من غير الـدول مثـل: المنظمـات الدوليـة الحكومية، والمنظمات الدولية غير الحكومية، والشركات الدولية العملاقة، وغيرها مـن القـوى عبر القومية، وقد يكون من السهل نسبياً على دارس العلاقات الدولية ان يتتبع النشاط الرسـمي للدول والحكومات غير أن الصعوبة بمكان تتبع نشاط القوى القومية، وخـصوصاً تلـك التـي تتحرك بشكل عفوي أو تلقائي، ولا توجد لها أطر مؤسسية رسمية واحة او تتحرك وفق قواعـد سلوك ثابتة ومعروفة ومحددة. [2]

وفي هذا السياق، يمكن تقسيم الفاعلين الـدوليين –إذا نظرنـا مـن منظـور وضـعهم القانوني- إلى فاعلين آخرين غير رسميين، أما إذا نظرنا إليهم من منظور النطـاق الجغرافـي لنشاطهم، وتأثيرهم فيمكن تقسيمهم إلى فاعلين عالميين وفاعلين إقليميين، ومن منظور شـرعية النشاط يمكن تقسيمهم إلى فاعلين شرعيين، مثل المنظمات غير الحكومية، والأحزاب الـسياسية

---

(١) سمير امين ، (١٩٨٠)، التطور اللامتكافئ :دراسة ف يالتشكيلات الاجتماعية للرأسمالية المحيطة ،ترجمة :برهان غليون (بيروت :دار الطليعة للطباعة والنشر ،الطبعة الثالثة) .

(٢) كارل دويتش ،(١٩٨٦)، تحليل العلاقات الدولية ، ترجمة: محمود نافعة ،(بيروت، دار المستقبل العربي، الطبعة الأولى).

والشركات كتعددية الجنسية، وحركات التحرير الوطني، وفاعلين غير شرعيين، مثل العصابات أو المافيا أو الحركات الإرهابية الإجرامية كما يتسع المجال لتقسيمات أخـرى عديـدة فـي بعض المنظمات الدولية الحكومية تمارس نشاطاً عاماً وأخرى تمـارس نـشاطاً فنيـاً أو متخصـصاً هكذا(١).

وهذه التقسيمات تعكس زخماً هائلاً من أنماط التفاعلات التي تعبر عن علاقات تعاونيـة تصل إلى حد التحرك في اتجاه التكامل والإندماج كما يعبر بعضها الآخر عن علاقات صراعية تصل إلى حد التصادم والمواجهة والحرب كما يعبر بعضها الثالث عن علاقات حيادية، وتعكس أنماط التفاعلات الحقيقية عالم يموج بالصراعات والانقسامات الإيديولوجية والسياسية والعرقيـة والحضارية وتختلف أساليب وحداته في إدارة تلك الصراعات، فبعض الفاعلين الـدوليين يعمـد إلى انتهاج سياسة القوة للدفاع عن مصالحه ويعمل على إنشاء التكـتلات والتحالفـات الدوليـة وبعضها الآخر يفضل الوسائل السلمية، وينتهج سياسة عدم الانحياز أو الحياد ...الخ .(٢)

ومن الصعب جداً وضع خطوط فاصلة بين هذه التفاعلات سواء من حيث مصادرها أو طبيعتها، او تتبع مساراته الكاملة، ويلقى هذا الوضع بثقله على الـسياسات الخارجيـة للـدول ودوائر حركتها واهتماماتها وخصوصاً عندما تتعهد الهويات أو الانتماءات، مثلاً؟ –دولة تعبـر عن أمة عريقة قائمة بذاتها وضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، لكنها في الوقت نفـسه دولـة عربية إفريقية مسلمة، وهي عضو في جامعة الدول العربية ، منظمة الوحدة الإفريقيـة، وفـي منظمة المؤتمر الإسلامي وغيرها من التجمعات الإقليمية أو فوق الإقليميـة، وتعـدد الهويـات الناجم عن تعدد الانتماءات السياسية او الثقافية أو الحضارية أو عن خصوصية المكان الموقـع

---

(١)DunneAndrew (١٩٩٧),p.Dunne International theory to the Drink and Beyond (Westport ,conn Green wood press)

(٢) مارسيل ميرل ،(١٩٩٢)، حرب الخليج والنظام العالمي الجديد ،ترجمة حسن نافعة ،(القاهرة :دار سعاد الصباح)

الجغرافي، ويضع الدولة احياناً في معضلة تتعلق بترتيب الأولويات والتوفيـق بـين المطالـب والاستجابات المتعارضة وهناك دول اخرى كثيرة تواجه معضلات او مشكلات مماثلة بـسبب تعقد الحياة الدولية.([١])

ثالثاً – غياب أداة للضبط والرقابة :

يعتبر وجود أداة على ضبط وتنظيم التفاعلات بين الوحدات المشكلة للنظام هـي احـد الشروط الرئيسية لقيام النظام والمحددة لدرجة تماسكه ، إذ يفترض أن يتضمن أي نظام السياسي وجود السلطة أو أداة تقوم بعدد من الوظائف الحيوية ، مثل : وضع القواعد التي على أساسـها يقوم النظام بأداة المهام الملقاة على عاتقه ، وحسم الأزمات التي قد تندلع بين أطرافه والاستجابة للتحديات القادمة من البيئة المحيطة به ..الخ.([٢])

وفي هذا السياق ، يمكن القول أن النظام الدولي يختلف عن غيره من الـنظم الـسياسية بسبب طبيعة السلطة السياسية الموجودة في النظام الدولي ، وهذه مسألة يحتدم الخلاف بـشأنها كثيراً فهناك من ينكر وجود هذه السلطة ويرى أن المجتمع الدولي ما يزال يعيش حالة طبيعيـة التي وصفها هوبز وهي حالة تقوم على علاقات القوة المطلقة، وهناك من يرى أن هناك سـلطة سياسية في المجتمع الدولي ، يجسدها مجلس الأمن ، كما يجسدها عدد كبير مـن المؤسـسات الدولية التي تتمتع بسلطات متفاوتة الأحجام والتأثير في كافة المجـالات ، وسـوف نتعـرض

---

(١)Duchaccek,I(١٩٨٦),v Dthe territorial Dimension pf politics withen amongand across nation (boulder CO westview press).

(١) محمد السيد سعيد ، المرجع السابق.

بساطات متفاوتة الأحجام والتأثير في كافة المجالات وسوف نتعرض لهذا النقطة بتفصيل أكثـر في الباب الثاني من هذا المتاب ، الذي سنخصصه لدراسة التنظيم الدولي .([١])

غير أنه يمكن الاكتفاء نا بالقول بأنه صحيح أن المجتمع الدولي يخلو من سلطة سياسية عليا تتمتع بصلاحيات مماثلة لتلك التي تتمتع بها حكومات الدول على المستوى المحلي ، وقادرة على فرض إرادتها على جميع الدول كبيرها وصغيرها ومعاقبة كل من يخـرج علـى قواعـد النظام الدولي وصحيح أن قواعد النظام الدولي لا تشكل –بوضعها الحالي – نواة لعقد اجتماعي يصلح أساساً لقيام مجتمع دولي منظم ومكتمل ما يزال يعيش حالة الطبيعة التي رسمها هوبز أو أنهه مجتمع يحكمه قانون الغاب إن عدم فعالية المنظمات الدولية ليس معناه غيـاب كـل أدوات الضبط والرقابة .

ومن المعروف أنه يتعين على كل نظام إجتماعي –وفقا لتصنيف بارسـونز- أن يقـوم بأربع وظائف رئيسية وهي : ([٢])

١. تحقيق الاستمرارية .

٢. التأقلم مع البيئة .

٣. تحقيق أهداف الجماعة وتماسكها .

غير أن النموذج لايستون ساعد على التعرف على السمات الخاصة بالنظام الدولي وعلى أوجه القصور فيها ، بالمقارنة بالنموذج المثالي لبارسونز.([٣])

---

(١)Kingeson Topgorn (١٩٩٠),History of International and Nationalizm socity comb side ,(New york ,Cambridge polity press)

(٣) ميخائيل جورباتشوف، المرجع السابق،

(٣) محمد السيد سليم ، المرجع السابق.

اتضح من التحليل السابق أن النظام الدولي يجد في نفسه معرضاً لضغوط داخلية شديدة بسبب طبيعته ووجوده داخل حيز مغلق بدون اتصال نع بيئة خارجية ، وتمارس هذه الـضغوط تأثيرا كبيرا عليه لأنه يستطيع "إعادة التصدير " تناقضاته أو الضغوط الداخلية التـي يتعـرض لها[١].

ونظرا لغياب سلطة فعالة يمكن أن تدخل لترتيب البيت من الداخل بانتظام توجد فجوة دائمة بين المطالب وبين قدرة الأطر المؤسسية للنظام على إشباعها ، ولذلك يمكـن إصـابة النظـام بالعطب أو حدوث خلل مفاجئ في آليات عمله في أي وقت ، وعليه فلا يوجد أمام النظام الدولي سوى أحد خيارين : فأما أن يحد من مطالبه ، وإما ان يطور من مؤسساته لتمكينها من إشـباع تلك المطالب[٢].

وتمكن أهم المطالب النظام الدولي في ضمان حد أدنى من الاستقرار والانضباط اللازم لتجنب قيام حرب عالمية ثالثة ، وإعادة توزيع المواد على نحو يكفـل علـى الأقـل تحـصين الشعوب ضد الأخطار الكبرى كالمجاعة وانتشار الأوبئة الفتاكة ، أي أن أهم مطالـب النظـام الدولي تنحصر –في حدها الأدنى – في الأمن والتنمية لكن قائمة المطالب تطول لتشمل الـسلام (باعتباره أشمل من الأمن (والعدل (باعتباره أشمل من التنمية) إضافة إلـى احتـرام حقـوق الإنسان وحقوق الشعب في تقرير مصيرها السيطرة على مواردها ...الخ.[٣]

---

(١)Kingeson Topgorn(١٩٩٠) History of International and Nationalizm socity comb side ,(New york, Cambridge polity press)

(٢)Duchaccek(١٩٨٦),Iv Dthe territorial Dimension pf politics withen amongand across nation (boulder CO westview press.

(٣)Hirst ,(١٩٩٦),paul and Thompson . Globalization in Qusition the international Economy and possibilities of Governance ,(Cambridge polity press ,second Edition)

وإذا كان النظام الدولي ثنائي القطبية قد غلب مطاب الأمن على مطاب التنمية ومنحـه أولوية على جدول أعماله فان سقوط وانهيار الاتحاد السوفييتي وانتهاء الحـرب البـاردة قفـز بمطاب التنمية إلى مقدمة جدول أعمال النظام الدولي أحادي القطبية وحل الصرع بين الـشمال والجنوب محل الصراع بين الشرق والغرب ثم برزت قائمة جديدة على جدول الأعمـال مثـل مكافحة تلوث البيئة والجريمة المنظمة وغسيل الأموال والانتشار النووي ...الخ .([1])

غير أن المتأمل في قائمة هذه المطالب سوف يلاحظ -على الفور- أنه لم يحدث فيهـا تغير جوهري ، على الرغم من تغير بنية النظام الدولي من نظام ثنائي القطبية إلى نظام أحادي القطبية، ما تغير فقط يتعلق بترتيب الأولويات على جدول الأعمال وهذه الحقيقة تشير إلـى أن إحداث التغيير الجوهري على طريقة عمل لنظام الدولي لن يتأتى بتقليص مطالب النظام الدولي وغنما بإصلاح مؤسساته على النحو الذي يجعلها أكثر قدرة على الاستجابة إلى هذه المطالـب ، والقيام بمجمل المهام الملقاة على عاتقه بشكل أفضل . ([2])

ظهور النظام الدولي الجديد:

لقد شاع استخدام مفهوم النظام الدولي الجديد منذ تفجر أزمة الخليج الثانية فـي صـيف العام١٩٩٠م وتحديداً في ٢ آب لعام ١٩٩٠م[3]، ولكن لا يعني هذا أن المفهوم قد ظهر فجأة في حرب الخليج، بل يمكن تتبع جذوره منذ الخمسينيات، حيث طرح في سياق مطالبة بلدان العـالم الثالث بنظام عالمي جديد أكثر عدلاً وأخذ مصالحها في الاعتبار [4]، إلا أن الولايـات المتحـدة

---

(١)Baylis ,john and smith(١٩٩٧), ,steve (eds) the Globalization of World politics (New york : oxford press inc).

(٢) مايكل تانزر وآخرون ،(١٩٨١)، من الاقتصاد القومي إلى الاقتصاد الكوني:دور الشركات المتعددة الجنسيات ، ترجمة :عفيف الرزاز،(بيروت :مرسسة الابحاث العربية) ١٩٨١) .

(٣) متكيس، هدى (١٩٩٦). النظام الدولي الجديد والواقع العربي، مجلة شؤون عربية، عدد ٨٨، كانون الأول ص٣٠.

(٤) إبراهيم، حسين توفيق (١٩٩٢). الفكر العربي وإشكالية النظام العالمي الجديد، دراسة تحليلية نقدية، شؤون عربية، ص٤٩.

الأمريكية تكفلت بإجهاض هذه الدعوات سواء كانت باتجاه نظام اقتصادي جديد أو إعالمي جديد لأن ذلك سيفقدها الكثير من امتيازاتها [(١)].

إن الجديد في هذا المفهوم هو شيوع استخدامه إبان أزمة الخليج الثانية وبعدها بصورة مكثفة، من هذا المنطلق يؤكد البعض على أنه إذا كانت أزمة الخليج الثانية أول تحد حقيقي للنظام الدولي الجديد[(٢)]، فإنها وفي الوقت نفسه مثلت بوابة رئيسية لإرساء بعض أسس وقواعد هذا النظام بحسب تصور القوة أو القوى الرئيسة الفاعلة فيه.

وهكذا فإن التغير في النظام الدولي لا يحدث فجأة ومن دون مقدمات، بل عادة ما يكون محصلة لسلسلة من التراكمات والتغيرات الجزئية التي حدثت عبر فترة زمنية طويلة نسبياً، وما يحدث غالباً أن تغيراً هائلاً يتم في عصر من العصور بطريقة بطيئة كمية في البداية ثم متسارعة كيفية في النهاية، ثم يأتي حدث جلل – عادة حرب كبرى – ليكون بمثابة الإشهار لهذه التغيرات، وتنتقل البشرية من حالة إلى أخرى، ومن تاريخ إلى آخر من التوازنات والعلاقات[(٣)].

وهذا ما ينطبق على النظام الدولي الجديد الذي وجد شيوعاً إبان أزمة الخليج الثانية، فالواقع أن هذا النظام وإن وجد في الأزمة فرصة للظهور، فإنه في الحقيقة أخذ في التكون منذ الحرب العالمية الثانية، ولكن لم تبدأ تجلياته في الظهور إلا في السبعينيات، وتسارعت مع نهاية الثمانينيات عندما اجتاحت رياح التغيير بلدان أوروبا الشرقية وأسفرت عن سقوط الأنظمة

---

(١) خليفة، محمد (١٩٩٢). النظام الدولي بين المقصود والمنشود، مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي، ص١١.

(٢) أبو لبده، نظمي عيسى، المرجع السابق، ص٢٥.

(٣) العليكم، حسن حمدان (١٩٩٣). العرب وأمريكا والنظام العالمي الجديد، المجلة العربية للدراسات الدولية، العدد،٣، خريف، ص١١٠.

الشيوعية فيها، ومع مطلع التسعينيات وبمناسبة أزمة الخليج الثانية[١]، تم إعلانه ليعبر عن تغير نوعي في العلاقات والتفاعلات الدولية[٢].

وفي ضوء هذه التحولات الدولية العميقة أخذ تعبير النظام الدولي الجديد في احتلال مساحة واسعة تعبيراً عن التغيرات الدولية وإظهاراً للنمط الجديد في مجمل التفاعلات على الساحة الدولية، الأمر الذي شكل مجالاً واسعاً من الجدل والاختلال في أوساط الباحثين والمفكرين، ومن ثم تباينت حوله المواقف والرؤى[٣]، فعلى مستوى الفكر العربي انقسم المفكرون والباحثون تجاه النظام الدولي الجديد في بداية التسعينيات إلى ثلاثة أقسام[٤]:

١. **القسم الأول**: يرى أن هناك فعلاً نظاماً دولياً جديداً، وأن ملامحه وقواعده وآلياته بدأت تتضح وتتبلور، وبصفة خاصة منذ اندلاع أزمة الخليج الثانية.

٢. **القسم الثاني**: يرى عدم وجود نظام دولي جديد، وأن هذا الشعار يتضمن نوعاً من الوهم والخداع، لأن التطورات الكبرى آنذاك تتضمن إحداث تغيرات في شكل ومضمون التفاعلات الدولية فيما بين دول الشمال فقط، بينما ستظل أسس وقواعد النظام القديم هي الحاكمة للعلاقات بين الشمال والجنوب، وبالتالي فإن الأمر لا يعدو أن يكون إعادة صياغة للمبادئ القديمة في شكل جديد تحت غطاء الشرعية الدولية[٥].

٣. **القسم الثالث**: ويمثل التيار الغالب في الفكر العربي، حيث يرى بأن هناك مجموعة من التحولات والتغيرات الكبرى التي سيكون من شأنها خلق نظام دولي جديد، وأن المرحلة

---

(١) ميرفي، إيمان (١٩٩٧). أمن الخليج العربي في ظل النظام الدولي الجديد، عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط، ص٣٩.

(٢) السعيد، عبد المنعم، (١٩٩٤)، المرجع السابق، ص٣٦.

(٣) أبو لبدة، نظمي عيسى، مرجع سابق، ص٢٢.

(٤) إبراهيم، حسين توفيق، مرجع سابق، ص ص ٥٢-٥٣.

(٥) السعيد، عبد المنعم، مرجع سابق، ص٢٢.

الراهنة – مرحلة التغيرات الكبرى – هي مرحلة انتقالية يتداعى فيها النظام القديم ويتبلور النظام الجديد[١].

عوامل التحول إلى النظام الدولي الجديد:

يمكن تحديد أربعة متغيرات يتمحور حولها تركيز أغلب المهتمين بهـذا المجـال وهـي: الثورة الصناعية والتكنولوجية الثالثة، والتحولات في الاتحـاد الـسوفيتي وبقيـة دول أوروبـا الشرقية منذ عام (١٩٨٥)، وانهيار الاتحاد السوفيتي وتفككه، وحرب الخليج الثانية، وفيما يلـي عرض لأهم جوانب هذه المتغيرات وكيفية تأثيرها في تشكيل النظام الدولي الجديد:

أولاً: الثورة الصناعية والتكنولوجية الثالثة:

الثورة الثالثة والتطور الكبير في مجالات الفضاء والمعلومـات والعقـول الإلكترونيـة والحواسب الآلية والهندسة الوراثية وغيرها، وتتميز بأنها تقوم على الاستثمار الأساسـي فـي مجال البحوث العلمية المكثفة، وبالتالي فهي تعتمد على مصدر متجدد وهو التـدفق اللامتنـاهي للمعلومات، التي أسهمت في دمج العلم بالتكنولوجيا وحولته إلى قوة إنتاجية مباشرة[٢]، وتتركـز القاعدة الأساسية لهذه الثورة في الولايات المتحدة واليابان تليها بعـض دول أوروبـا الغربيـة وبعض الدول الصناعية الجديدة في شرق آسيا[٣]، إن هذه الثورة لم تـأت فجـأة، فقـد نمـت وتراكمت منذ الحرب العالمية الثانية ولكن الجديد فيها كثافة هذه التطورات ووصولها إلى قاعدة واسعة من الإفراد ودخولها في إعادة توجيه الحياة والإنتاج والتوزيع بصورة جذرية.

وعلى صعيد الثقافة فإن الثورة الهائلة في مجال الاتصال والمعلومات قد مكنـت الـدول المسيطرة على الثورة وعلى رأسها الولايات المتحدة من نـشر قيمهـا وطروحاتهـا الفكريـة

(٦) غورباتشوف، ميخائيل، ترجمة: وليد مصطفى وآخرون، المرجع السابق، ص ص ١٣٩-١٦٥.

(١) السعيد، عبد المنعم، مرجع سابق، ص٣٥.

(٢) إبراهيم، حسين توفيق، مرجع سابق، ص٥٤.

وإسباغها بطابع عالمي – العولمة الثقافية – الأمر الذي انعكس سلباً على الخصوصيات الثقافية والحضارية للشعوب التي تترفع قيمها وأخلاقها عن الانحطاط في القيم الغربية.

إن التغيرات التي جرت وتجري في الوقت الراهن كافة تتم في إطار ثورة تكنولوجية ثالثة، تعد من المدخلات المهمة في تحديد طبيعة هيكل أو بنية النظام الدولي في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، ولعل انهيار الاتحاد السوفيتي ذاته –الذي أفسح المجال بشكل رئيسي لبروز النظام الدولي الجديد – يرجع في أحد أسبابه إلى عجز الاتحاد السوفيتي عن مواكبة إنجازات هذه الثورة، وعدم قدرته على ملاحقة مخرجاتها في دول المعسكر الرأسمالي وتحديداً الولايات المتحدة الأمريكية.

ثانياً: حرب الخليج الثانية:

يمكن اعتبار حرب الخليج الثانية إحدى المتغيرات الحاسمة في الانطلاق نحو نظام دولي جديد، ويتفق أغلب هؤلاء على مجموعة من النقاط، التي تشير إلى انعكاسات هذه الأزمة على النظام الدولي وبدء مرحلة جديدة في تاريخه، ويمكن إجمال هذه النقاط فيما يلي:

أ - إن الانتصار الذي حققته قوات التحالف على العراق أدى إلى تدعيم مركز الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها القوة العظمى الوحيدة بالمعنى الاستراتيجي في عالم ما بعد الحرب الباردة من حيث:

١ . تخلصت من عقدة فيتنام.

٢ . دعمت نفوذها في منطقة الخليج الأمر الذي يدعم مركزها في مواجهة أية قوة كبرى منافسة أو أية قوة سيكون لها في المستقبل القدرة على المنافسة، خصوصاً أوروبا الغربية واليابان والصين وروسيا.

ب- كشفت الأزمة عن استمرار علاقات الوفاق بين الشرق والغرب من جهة، إذ اتفقـت الولايات المتحدة الامريكية وروسيا على ادانة العراق والتأكيد على انسحابه من الكويت دون قيد أو شرط، كما أن الأزمة أكدت استمرار تراجع دور الاتحاد السوفيتي كقوة عظمى على الصعيد العالمي من جهة أخرى إذ كان الاتحاد السوفيتي يمر بظروف قاسية علـى الـصعد الـسياسية والاقتصادية والاجتماعية مما أدى إلى تقليل قائمة البدائل المتوافرة له للمناورة علـى الـصعيد الدولي[1]، الأمر الذي دفع غورباتشوف الرئيس السوفيتي السابق إلى محاولة الاسـتفادة مـن الأزمة والحصول على المزيد من المعونات الاقتصادية، وحجب التأييد الدولي عـن الحركـات الانفصالية التي كانت محتدمة على أشدها في دول البلطيق الثلاث (لاتفيا، واستونيا، وليتوانيـا)، ولم يكن ذلك متاحاً إلا بالتنسيق مع الولايات المتحدة لإدارة أزمة الخليج بشروطها ووفقاً لرؤيتها ومصالحها[2].

إن الولايات المتحدة عمدت إلى استخدام أقصى ما في حوزتها من آلة عـسكرية متطـورة تقوم على تكنولوجيا رفيعة، ليس فقط بقصد تحقيق نصر عسكري حاسم في مدة زمنية قياسـية وإنما لتوجيه رسالة لمنافسيها المحتملين كاليابان وأوروبا أيضاً بعدم جدوى أية محاولـة مـنهم لإنكار الدور القيادي للولايات المتحدة في المرحلة المقبلة أو التغاضي عنه[3].

فإن سيطرة الولايات المتحدة على النفط ولو بطريقة غير مباشرة آنذاك يمثل أحـدث المـداخل لإعادة صياغة علاقاتها بأوروبا الغربية واليابان على أسس جديدة، تفضي آخر ما تفضي إلـى

---

(١) بكري، مصطفى (١٩٩١). جريمة أمريكا في الخليج، القاهرة: دار النفائس، ص١٦٢.

(٢) بكري، مصطفى، المصدر نفسه، ص١٦٢.

(٣) السعدون، حميد حمد، (٢٠٠١). فوضوية النظام العالمي الجديد وآثاره على النظام الإقليمي العربي، عمان: دار الطليعة للنشر والتوزيع، ص١٨.

تدعيم مركز الولايات المتحدة كقطب أوحد في المستقبل المنظور.([1])، وترتيباً على ما سبق، تمكنت الولايات المتحدة الأمريكية من توظيف المواجهة للأزمة بكل أبعادها من أجـل تحقيـق مزايا استراتيجية بعيدة المدى إزاء مكامن التحدي المحتملة، وبما يمكنها من صياغة واقع دولي جديد تحتل فيه الدور الأول على صعيد السياسة الدولية.

ج- بروز دور الأمم المتحدة الذي تجسد في سلسلة القرارات التي أصدرها مجلس الأمـن وأعطـت الشرعية الدولية لتحرك التحالف الدولي ضد العراق وتشكل الطريقة التـي أدارت بهـا الأمـم المتحدة هذه الأزمة سابقة فريدة من نوعها، إذ لا يوجد لها مثيل في تاريخها، فقد اتخذ مجلـس الأمن حيال هذه الأزمة اثني عشر قراراً[٢].

ويرى الباحث أن أزمة الخليج الثانية، وإن كانت أول تحد حقيقي للنظام الدولي الجديد، إلا أنهـا في الوقت نفسه شكلت بوابة رئيسية لإرساء بعض أسس وقواعد هذا النظام، وبالتـالي شـكلت إحدى عوامل التحول إلى النظام الدولي الجديد، ودلت على أن فترة ما بعـد الحـرب العالميـة الثانية، التي طبعها نزاع الشرق مع الغرب قد انتهت.([٣])

وإن الدور السياسي والاستراتيجي والعسكري الذي قامت به الولايات المتحدة الأمريكية في أزمة الخليج الثانية، قدم حجة قوية لأنصار هذا الاتجاه، حيث ظهرت الولايات المتحدة إبان الأزمـة وما بعدها بالدولة القادرة على صياغة وترسيخ النظام الدولي الجديد، فهي الأكثر قـدرة علـى الفعل والحركة وممارسة الضغط والتأثير، ومن هذا المنطلق اتخذت الولايـات المتحـدة أزمـة

---

(١) Nicholson Micheal(١٩٩٦), Causes and cousquences In International relation :acconceepetual studyNew york, printer..

(٢) نافعة، حسن (١٩٩٧). الأمم المتحدة والقضايا العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد (١٧٥)، ص ١٩-٢٠.

(٣) محمد ابراهيم عبد الرحمن، المرجع السابق.

الخليج الثانية ساحة لتثبيت دعائم هذا النظام حسبما تراه، ولتقليص احتمالات تبلور نظام متعدد الأقطاب تكون فيه قطباً مساوياً لغيره وليس قطباً وحيداً ومسيطراً.(١)

فقد أظهرت لحلفائها الغربيين أهمية القدرة العسكرية في حماية مصالح هذه الدول، كما أن سيطرتها على النفط في المنطقة تدعم من مركزها إزاء حلفائها، إضافةً إلى أنها قدمت درساً في كيفية التعامل مع القوى الإقليمية التي قد تسعى للهيمنة على بعض النظم الإقليمية وتتحدى قواعد النظام الدولي الجديد.

(١) محمد السيد سليم ، المرجع السابق.

المبحث الثاني

النظام السياسي الروسي

إن النظام السياسي في روسيا وفق الدستور الروسي الجديد ، هو نظـام جمهـوري،[١] ورئيس الجمهورية هو الضامن لتنفيذ الدستور وحريات المواطنين ويتخذ من خـلال الدسـتور القرارات التي تحافظ على وحدة الأراضي الروسية واستقلالها وسيادتها، وينتخب رئيس الدولـة بواسطة الاقتراع الحر والمباشر لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة فقط، وقد أعطى هذا الدستور للرئيس صلاحيات استثنائية كبيرة ليغطي بها عجز القوى السياسية المختلفة التـي مـا زالت تفتقر إلى التأثير المطلوب والفاعل في أوساط المجتمع الروسي عند وضعه في بداية عقدج التسعينيات من القرن الماضي.[٢]

السلطة التنفيذية

ويعد الرئيس هو مركز الثقل في النظام السياسي الروسي ومحور عملية صنع القـرار فيه، ويعود ذلك إلى السلطات الواسعة النطاق المخولة له بمقتضى دستور عـام ١٩٩٣، الـذي يستطيع بموجبه إصدار مراسيم لها قوة القانون.[٣]

والرئيس هو الذي يمثل الدولة في الداخل والخارج، وهو الذي يحدد الخطوط العريـضة واتجاهات السياسة الداخلية والخارجية للدولة، وهو الذي يشكل مجلس الأمن القومي ويرأسـه، حيث له صلاحيات تعيين أعضاء المجلس وقادة القوات المسلحة، من دون الحصول على موافقة البرلمان، كذلك له صلاحية إقرار السياسة الدفاعية للدولة.[٤] ويعد الرئيس الروسي هـو القائـد

(١)أبو عامر، علاء (٢٠٠٤)، العلاقات الدولية الظاهرة والعلم.الدبلوماسية والاستراتيجة، الطبعة الأولى، عمان: دار الشروق للنشر.

(٢) أبو عامر، المصدر نفسه، المادة ٨١.

(٣) برغم أن مجلس الدوما يستطيع إبطالها بإقرار قوانين معاكسة لها بأغلبية الثلثين. أبو عامر، علاء، المصدر نفسه المادة ٨٠.

(٤) أبو عامر، علاء، المصدر نفسه، المادة ٨٣.

الأعلى للقوات المسلحة الروسية وتقع على عاتقة مسؤولية إعلان الحرب، كما أن له الحق في الدعوة إلى إجراء انتخابات أو استفتاء عام، واقتراح تعديل الدستور واقتراح القوانين، وهو الذي يقوم بإعلان حالة الطوارئ والأحكام العرفية في البلاد، ويعد الرئيس الروسي أيضاً رئيس مجلس رؤساء جمهوريات الاتحاد الروسي وهو الذي يقوم بتعيين ممثليه في أنحاء الدول وتعيين رئيس البنك المركزي وقضاة المحاكم العليا، ومنها المحكمة الدستورية .(١)

تبدأ القرارات السياسية الروسية وكأنها جماعية، فإن رئيس الدولة هو الذي يتحمل المسؤولية العليا في الدولة، وإن جميع القرارات السياسة يتخذها هو مباشرة أو تتخذ تحت أوامره وإرشاداته على وجه العموم. وبغض النظر عن اتساع دائرة صنع القرار أو عدم اتساعها، فإن الرئيس الروسي هو صاحب القرار السياسي، وأن سلطته بهذا غير محدودة، فهو يستطيع حل مجلس الدوما والدعوة إلى انتخابات جديدة بموجب شروط محددة تتعلق بحجب الثقة، لكن يحظر عليه فعل ذلك بموجب شروط أخرى يكون هدفه فيها توسيع سلطته الشخصية وتعظيمها، كما أنه لا يستطيع حل مجلس الشيوخ (المجلس الاتحادي) تحت أي ظرف من الظروف.(٢)

أما الحكومة فتتألف من رئيس الوزراء ونوابه والوزراء، ويقوم رئيس الجمهورية بتعيين رئيس الوزراء- ويشترط في هذا موافقة مجلس الدوما- كما أنه ينفرد بتعيين الوزراء وعزلهم.

---

(5) أبو عامر، علاء، المصدر نفسه، المادتان ٨٦، و٨٨.

(1) يرشح رئيس الوزراء رئيس الجمهورية، ثم يعرض الترشيح على مجلس الدوما، وفي حالة رفض المجلس مرشح الرئيس لشغل هذا المنصب ثلاث مرات يقوم الرئيس بتعيين من يراه مناسباً لهذا المنصب، ويحل مجلس الدوما، ويدعو إلى انتخابات جديدة. وبدوره هنا يقوم رئيس الحكومة بعرض المرشحين لشغل منصب نائب رئيس الحكومة والوزراء على رئيس الدولة لنيل موافقته عليهم، ومن هذا يتبين أن الحكومة خاضعة تماماً لسلطات الرئيس بموجب الصلاحيات الممنوحة له من الدستور، حيث يستطيع أن يمارس تأثيراً كبيراً في قرارات الحكومة وتوجهاتها السياسية بما يتفق ونهجه السياسي. الدستور الروسي، الفصل السادس، المادة ١١١.

تكون مهمة الحكومة تنفيذية في الأساس، حيث تتمثل فـي اختـصاصاتها فـي تقـديم الميزانية الفيدرالية للدوما، والعمل على تنفيذ السياسة الداخلية المالية والائتمانية، وكـذلك تنفيـذ السياسات الموضوعة في مجالات الثقافة والعلوم والتعليم والصحة وغيرها من المجالات، هـذا إلى جانب تنفيذ السياسة الخارجية للدولة.

وباختصار فإن سلطات الرئيس الواسعة جعلت من الحكومة مجرد جهاز معاون للرئيس الذي يقوم بتعيين الوزراء وعزلهم دونما حاجة إلى إبداء أسباب ذلك، وليس للحكومة أي سلطات في مواجهته، وتأثيرها مقصور على مجرد إبداء الرأي والمشورة التي قد يأخذ بها رئيس الدولة أو لا يأخذ بها .

السلطة التشريعية:

يتكون البرلمان الروسي وفق دستور روسيا الاتحادية لعام ١٩٩٣ من مجلـسين همـا: مجلس النواب أو ما يسمى بمجلس الفيدرالية، والثاني مجلس النواب أو ما يسمى مجلس دومـا الدولة. ولا بد لإقرار القوانين من موافقة المجلسين وموافقة رئيس الدولة عليها.

وتتكون السلطة التشريعية من :

المجلس الأعلى (مجلس الفيدرالية): هو المجلس الأعلى ويضم(١٧٨)عضواً، بواقـع عضوين لكل وحدة من (٨٩) وحدة مكونة للدولة،[٢] أي عضوين اثنين كل من موسكو ولكـل واحدة من بقية الجمهوريات والأقاليم المكونة للاتحاد الروسي فلكل منها عضوان يجري تعيينهما من جانبها- أي من جانب الجمهوريات- على أن يكون أحدهما من الـسلطة التـشريعية فـي الجمهورية أو المقاطعة والآخر من سلطتها التنفيذية. وتنص المادة ٩٥ من الدسـتور علـى أن يكون أحد الممثلين معيناً من الرئيس، أما الثاني فينتخب من الجمعيات الإقليمي.

(٢) الدستور الروسي، المادة ٩٥.

المجلس النيابي (مجلس الدوما): هو المجلس الأدنى ويتكـون مـن (٤٥٠) عـضواً، ينتخب نصفهم من المرشحين الحزبيين والمستقلين بالانتخاب الفـردي المباشـر فـي الـدوائر الانتخابية، والنصف الآخر عن طريق التمثيل النسبي (الانتخابـات بالقائمـة الحزبيـة) بحـد أدنى(٥%) لكي يتم تمثيل الحزب في البرلمان، فلا يفوز بمقاعد نيابية عبر القوائم إلى الحـزب الذي يحصل على (٥%) على الأقل من أصوات الناخبين، أما النسب الباقية التي تحصل عليهـا الأحزاب الخاسرة فتنزع مقاعدها على الأحزاب الفائزة وفق النسبة المؤوية التي يحصل عليهـا كل حزب.

ويشترط ألا يقل سن المرشح اللعضوية الدوما عن (٢١) سنة، ولا يجوز الجمع بين عـضوية مجلس الفيدرالية وعضوية مجلس الدوما. وينتخب كل من المجلسين رئيساً له وعدداً من اللجان، وتصدر قرارات كل منهما بأغلبية الأصوات.

أما الاختصاصات، فيتولى مجلس الفيدرالية الأمور المتعلقة بالفيدرالية، ومنها اسـتخدام القوات المسلحة خارج روسيا، والموافقة على إعلان الرئيس للأحكام العرفية وحالة الطـوارئ في البلاد.

أما مجلس الدوما فهو المسؤول عن الموافقة على التعيينات التي يقوم بها الرئيس لرئاسة الوزراء وكذلك لرئاسة البنك المركزي، وتحديد الضرائب، ومراقبة الإصدار النقدي، واعتمـاد القوانين الفيدرالية في مرحلة أولى قبل أن تعرض على المجلس الفيدرالي، أم الميزانية الفيدرالية فيتم اعتمادها بأغلبية المجلسين. ويعد مجلس الدوما الجهاز التشريعي الأساسي الذي يتولى علمية سن القوانين، فاقتراح القوانين سواء من جانب الرئيس أو أعضاء الدوما ما يقدم لمجلس الدوما، فإذا ما وافق عليه، أو لم يتم رفض مشروع القانون خلال(١٤) يوماً يعـد مجلـس الفيدراليـة موافقاً عليه، ويرسل بعد ذلك إلى رئيس الجمهورية للمصادقة عليه ونشره خلال مدة لا تتجاوز(

١٤) يوماً، وفي حال اعتراض الرئيس على مشروع القانون يحتاج إلى موافقة ثلثـي أعـضاء المجلسين لتمريره ولا يستطيع رئيس الجمهورية تعيين الحكومة إلا بموافقة المجلس النيابي،([١]) وهذا مدخل رئيسي للتأثير فلي سلطة الرئيس الذي يملك صلاحيات مطلقة واقعياً، بينما لا يكـاد يملك المجلس أي سلطة للرقابة على عرضة لتهديد الرئيس بحله وإجراء انتخابات جديدة، وفـي هذه الحال يكون على الرئيس تحديد موعد إجراء هذه الإنتخابات، بحيث يتم تشكيل مجلس الدوما الجديد وبدء عمله في مدة لا تتجاوز أربعة شهور من تاريخ حله. كما أنه لا يجوز حل مجلـس الدوما خلال السنة الأولى من انتخابه، وكذلك في زمن إعلان حالة الطوارئ أو الأحكام العرفية. كما أن الرئيس يتمتع بحصانة فلا يجوز اتهامه إلا في حالة الخيانة العظمى أو الجرائم الخطيرة التي ترتكب ضد الدولة وبعد إجراءات معقدة يتم اتخاذها.([٢])

إن مجلس الفيدرالية هو صاحب الحق في توجيه الاتهام إلى الرئيس، وذلك بعـد تأكيـد المحكمة الدستورية العليا، ووجود أدلة على ارتكابه ما هو متهم به، وبـأن إجـراءات الاتهـام صحيحة. أما مجلس الدوما فإن قراره باتهام الرئيس لا يمر إلا بأغلبية ثلثي أعـضاء الـدوما، وبناء على رأي لجنة خاصة يكونها مجلس الدوما، ويجب موافقـة مجلـس الفيدراليـة علـى الاتهامات الموجهة من الدوما في غضون ثلاثة أشهر وإلا فستعد مفروضـة. كمـا أن الـدور الرقابي للدوما على سلطات الرئيس وعلى الحكومة لا يمثل قيداً حقيقياً عليهما.([٣])

لقد أدت الاحداث التي صاحبت تفكك الاتحاد السوفيتي إلـى تقويـة الـسلطة التنفيذيـة والاتساع التدريجي لسلطة الرئيس ففي تشرين الثاني عام ١٩٩١ منح البرلمان ومجلس نـواب الشعب سلطات واسعة للرئيس، لمساعدته على تنفيذ برنامج الإصـلاح الاقتـصادي، وأصـبح

---

(١) الدستور الروسي، المادة ١٠٧.

(١) نبيل شبيب، "الانتخابات الروسية"، مرجع سابق، ص٢١.

(٢) الدستور الروسي، المادتان ٨٤ و١٠٩.

المرسوم الرئاسي الصادر من الرئيس مساوياً للقانون(١) ولكن ما إن بدأت الآثار السلبية للسياسة الإصلاحية التي اتبعها الرئيس يلتسن تظهر اقتصادياً واجتماعياً حتى بدأ موقف البرلمان منه ومن سياسته يتغير. فقد تصاعدت انتقادات البرلمان لبرامجه الإصلاحية والسياسة والاقتصادية، ولسياسته الخارجية التي نظر إليها على أنها مذلة ومخزية لدولة كانت حتى وقت قريب في وضع مكافئ للولايات المتحدة الأمريكية. وفي آذار عام ١٩٩٣.

وفي الدورة الثامنة لمجلس نواب الشعب الروسي تم التصويت على اقتراح بإقصاء يلتسن عن السلطة، إلا أن هذا الاقتراح لم يحظ بأغلبية الثلثين المطلوبة. واستمر التوتر بين الرئيس والبرلمان، حتى وصل ذروته في ٢١ أيلول عام ١٩٩٣ عندما أصدر يلتسن مرسوم "الإصلاح الدستوري التدريجي في روسيا" الذي تضمن حل البرلمان، وإقرار الحكم الرئاسي المباشر لمدة ثلاثة أشهر حتى يتم إجراء الانتخابات التشريعية في كانون الاول عام ١٩٩٣، كما تضمن المرسوم وقف المحكمة الدستورية التي تعد أعلى هيئة قضائية في البلاد، وكذلك عزل حكام المقاطعات والأقاليم المعارضين له والمتحالفين مع البرلمان وفي تشرين الأول عام ١٩٩٣ حدثت مصادمات مسلحة خطيرة بين القوات الموالية ليلتسن والمحتجين على مرسومه بحل البرلمان وتدخل الجيش في هذه المصادمات وتم القبض على ألكسندر روتسكي نائب رئيس الجمهورية في ذلك الوقت ورسلان حسبولاتوف رئيس البرلمان الروسي، وتوجيه تهمة تنظيم الاضطرابات العامة إليها.(١)

وبعد أن حسم الرئيس الروسي السابق سوريس يلتسن معركة البرلمان القديم بالمدافع لمصلحته تصور ان انتصاره في المعركة التالي من أجل إقرار الدستور الجديد من خلال

---

(٣) لمزيد من التفاصيل ارجع إلى: الدستور الروسي ، المادتان ٩٣ و١١٧.

(١) ابوعيشة، محمد (١٩٩٩). التكامل والتنازع في العلاقات الدولية الراهنة (دراسة المفاهيم والنظريات)، ط١، بيروت، دار الجيل.

الاستفتاء الشعبي سوف يؤمن له في الداخل الروسي تحقيق انتصار سياسـي علـى المـستوى الجماهيري الشعبي بالطريق الديمقراطي ويضع حداً نهائياً لأي تشكيك فـي مرجعيـة شـرعية سلطاته الدستورية كرئيس للدولة والنظام الجديد، كما تصور انه بذلك سوف ينجح فـي رسـم صورته أمام الغرب والعالم بأنه رجل روسيا القوي، لا من خلال الأساليب الشمولية بـل مـن منطلق ديمقراطي يصعب التشكيك يه، لذلك قرر يلتسن التعجيل بعقد الاستفتاء علـى الدسـتور وجعله متزامناً ايضاً مع موعد الانتخابات النيابية البرلمانية فـي ١٢ كـانون الأول / ديـسمبر ١٩٩٣. بهذا تم إجراء الانتخابات التشريعية والاستفتاء على الدستور الجديد في وقت واحد.

إلا أن فوز القوميين بزعامة فلاديمير جيرنوفسكي بأكبر نسبة من الأصوات (٢٢,٨%) في هذه الانتخابات كان أمراً بمنزلة الصدمة للرئيس السابق يلتسن الذي كان يأمل في برلمـان يسيطر عليه الإصلاحيون والليبراليون. فقد استطاع القوميون المتطرفون والـشيوعيون تحقيـق نجاحات واسعة فاقت التوقعات، فشكل يلتسن بذلك حكومة دار دفتهـا القوميـون المتطرفـون والشيوعيون السابقون الذين كان يجمعهم برنامج سياسي قائم على انتقاد أخطـاء الإصـلاحات الإقتصادية السريعة والنهج السياسي الذي اتبعه يلتسن. وهو وضع لا يقل صعوبة عن الوضـع القديم، فعلى الرغم من الصلاحيات الواسعة للرئيس يلتسن، فإنه وجد نفسه بـين شـقي رحـى القويمة اليمنية المتطرفة وتكتل قوى الحرس القديم من الشيوعيين العائدين وأنـصارهم فـي آن واحد . ومنذ أن لمس الرئيس السابق يلتسن مدى شعبية الأفكار التي يروجها معارضوه أدخـل نوعاً من الاتجاه القومي ليواكب سياسته القائمة على التحول الـديمقراطي، (٢) وأصـبح علـى الطاقم المسؤول عن السياسة الروسية أن يبذل مجهوداً لكي تتوافق نـشاطاته مـع الاتجاهـات الجديدة التي شرع فيها الرئيس يلتسن، غذ عكف على دعم سلطاته مندفعاً في خطابـات تـشيد

---

(٢)أبو غزالة، محمد محمود سليمان، (١٩٩٧). هيكل النظام السياسي الدولي: القوة تحكم العالم، عمان.

بعظمة الأمة، ومنادياً بدور روسيا القوية، إلى حد ساد فيه قلق الغرب بشأن مدى صحة هذا الاتجاه القومي لدى الرئيس يلتسن.[٣]

أن مجلس الدوما المنتخب عام ١٩٩٣ هو مجلس انتقالي وكان من المقرر حله بعد عامين فقط، أي عام ١٩٩٥ وقد تم بالفعل إجراء انتخابات في كانون الأول عام ١٩٩٥ وفاز الشيوعيون بأكبر نسبة وهي (٣٤,٩%) أي (١٧٥) مقعداً من إجمالي(٤٥٠) مقعداً، يليهم القوميون بنسبة (١١,٣%) أي (٥١) من إجمالي المقاعد.

وأعلن رئيس اللجنة المركزية للانتخابات في روسيا فلاديمير تشوروف بعد فرز ١٩ر٥ بالمائة من أصوات الناخبين أن حزب "روسيا الموحدة" الذي ترأس قائمته الانتخابية الرئيس الروسي فلاديمير بوتين حصل على ٦٣ر٥ بالمائة من أصوات الناخبين، واحتل الحزب الشيوعي الروسي، المركز الثاني بـ ١١ر٣ بالمائة، ويليه الحزب الليبرالي الديمقراطي وله ١٠ر٦ بالمائة، وحزب "روسيا العادلة" ٧ بالمائة، علما بأن حاجز الأصوات الانتخابية لدخول مجلس الدوما يشكل ٧ بالمائة ، وحصل الحزب الزراعي الروسي على ٢ر٥ بالمائة، وحزب "يابلوكو" -١ر٢ بالمائة، وحزب "اتحاد القوى اليمينية"-١ر١ بالمائة ، وحزب "القوة المدنية" - ١ بالمائة، وحزب "وطنيو روسيا٩ - "ر٠ بالمائة، وحزب العدالة الاجتماعية - ٢ر٠ بالمائة، والحزب الديمقراطي الروسي - ١ر٠ بالمائة .

وبهذا استطاعت المعارضة الشيوعية والقومية تحقيق نتائج قوية في الانتخابات التشريعية في كانون الأول عام ١٩٩٥ كما فعلت في كانون الأول عام ١٩٩٣، وذلك بسبب نفور شرائح واسعة من الرأي العام السياسي والشعبي من سياسة يلتسن الإصلاحية، وضعف

---

(٣) نبيه الأصفهاني،(١٩٩٦)، "انتخابات الدوما وحركة التحول الديمقراطي في روسيا الاتحادية" مجلة السياسة الدولية، العدد ١٢٣ (القاهرة:) ص٢٥٤-٢٥٥.

حالته الصحية، وإخفاق الديمقراطيين في توحيد صفوفهم، وعجز تشيرنوميريدين رئيس الوزراء آنذاك عن تشكيل كتلة لها قبولها لدى أحزاب الوسط.[١]

ولم يخف الكرملين ارتياحه لنتائج الانتخابات التشريعية هذه إذ قال مدير الإدارة الرئاسية الروسية إيجور شابدرا سولوف: إن نتائج الانتخابات تفرنا، إنها ثورة هادئة تشهدها روسيا. [٢]

ولم تتغير الخريطة البرلمانية كثيراً في رابع انتخابات تجري في روسيا الاتحادية بعد سقوط الاتحاد السوفيتي التي جرت في كانون الاول/ ديمسبر عام ٢٠٠٣، إذ جاء حزب روسيا الموحدة في المرتبة الأولى بحصوله على ٤٩,٣% من الأصوات، وهو ما مكنه من الحصول على(٢٢٢) مقعداً في البرلمان، وجاء الحزب الشيوعي (المعارض) بالمرتبة الثانية بحصوله على(١١,٦%) وهو ما مكنه من الحصول على ٥٢ مقعداً في البرلمان، أما حزب روسيا وطننا (الوطن الأم) فقد حصل على المرتبة الثالثة بنسبة ٨,٢% من الأصوات و ٣٧ مقعداً. أما حزب روسيا الديمقراطي الليبرالي الذي يرأسه جيرنوفسكي فقد جاء في المرتبة الرابعة بحصوله على ٨% و ٣٦ مقعداً. أما المستقلون فقد حصولا على ٦٨ مقعداً في البرمان.

إن من بين أهم إفرازات الانتخابات نشوء ظاهرة بدء تبلور ذلك التنسيق أو التحالف العلني أو الضمني بين القوى القومية والشيوعية أولاً وحلفائهم ثانياً، على الرغم من اختلاف توجهات الطرفين الإستراتيجية والأيديولوجية، وهو ما انعكس على السياسة الروسية داخلياً وإقليمياً ودولياً.

---

(١) مخيمر، أسامة (٢٠٠٧). الطاقة والعلاقات الروسية مع آسيا، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٧٠، المجلد ٤٢، تشرين الأول، القاهرة.

(٢) مظلوم، غسان (٢٠٠١). الحروب الاقتصادية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٤٥، حزيران، القاهرة.

فعلى الصعيد الداخلي تمثل موقف التيارات الرئيسية في البرلمان في ضـرورة إعـادة تـأميم الموارد الاقتصادية الصناعية والزراعية وإمكانية تقييد الملكية الخاصة وإعادة توجيـه مـوارد الدولة، والإشراف على العملية الاقتصادية وتخطيطها.

أما على الصعيد الإقليمي فالتيارات الرئيسية في البرلمان ترى ضرورة استعادة روسـيا أمجادها السابقة، ويعبر أصحابها عن معارضتهم الشديدة لتوسيع حلف شمال الأطلـسي شـرقاً وضم دول أوروبا الشرقية والوسطى إلى الحف، فالقومية الروسية ترغب في استعادة الـسيطرة التقليدية على جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق. وقد ذكر هنري كسينجر ان صاحب شخصية بارزة في البرلمان الروسي قال له: "لو كنا نظن أن اوكرانيا قد تصبح مستقلة فعلاً لما طرحنـا فكرة تشكيل رابطة الدول المستقلة أبداً، نحن لا نتقبل أن تكون كييف مدينة أجنبية أبداً"

إن إعطاء الأولوية الإقليمية لدول الجوار القريب بدلاً من الغرب كان جزءاً لا يتجزأ من عملية تشكيل الهوية القومية الروسية. فالانتصارات التي حققتها عناصر الاتجـاهين الـشيوعي والقومي المتطرف في الانتخابات البرلمانية لم تكن فقط بسبب وعودها بتحسين حالة الاقتـصاد، بل بسبب وعودها باستعادة المجد القومي الروسي والدفاع عما تعتقد أنـه "الحـدود التاريخيـة للإمبراطورية الروسية" ايضاً. فمنذ أن تفكك الاتحاد السوفيتي أعربت قوى سياسية عـدة عـن استيائها من "قصر النظرة الإقليمية" في السياسة الخارجية الروسية وأظهرت رغبة في اسـتعادة الحدود الإقليمية التي كانت قائمة قبل تفكك الاتحاد السوفيتي وحنيناً إليها. إن هذا الامر ينطبـق على القوى السياسية كافة في روسيا ومنها التيار الليبرالي ذو التوجهات الغربية الذي هاجمـت بعض رموزه بشدة الحدود الروسية الجديدة وعدتها خسارة تاريخية كبرى[١].

---

(١)Ekaterina Grigoreva, (٢٠٠٣). Putin Goes off to Strengthen Positions in the Muslim world, Izvestia, October ١٤.

أما على الصعيد الدولي فإن تيارات البرلمان الرئيسية تسعى لإحياء الاتحاد السوفيتي السابق، وتشكيل قطب جديد يعيد التوازن للمعادلة الإستراتيجية العالمية، إذ تضافرت جهود القوميين الروس بتياراتهم المختلفة، وبالتنسيق مع الشيوعيين الذي استعادوا توازنهم وعادوا إلى التمسك بنهجهم التاريخي، من أجل تطبيق صيغة جديدة تعيد إلى القوة العظمى السابقة بعض وزنها وذاتها، بعيداً عن الخضوع للغرب والالتحاق الذليل به، ولاسيما مع تفنيد البرلمان للدعم الغربي، وهو ما عبر عنه رئيس البرلمان الروسي الأسبق رسلان حسبولاتوف عندما أشار إلى: "أن جورباتشوف سبق وأن باع الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو إلى الغرب مقابل وعود بالدعم المالي والاقتصادي من دون أن يصل حتى اليوم مثل هذا الدعم.. (١) وظلت الوعود وعوداً". والأهم كما يقول حسبولاتوف أن روسيا ليست بحاجة على العون بل إلى التعاون، فهي دولة كبرى بإمكاناتها وقدراتها، ولكن رهنها لمشيئة الغرب يجعلها دولة هامشية لا تكترث الدول الغربية بدعمها، بل بالعكس تستطيع روسيا أن تفرض على الغرب مساندتها إذا ما استعادت قوتها كدولة كبرى لها سياساتها الداخلية والخارجية وفق مصالحها الخاصة بها من دون إملاءات من أحد.

ومما يزيد من قوة هذا التوجه في البرلمان اختراق الولايات المتحدة الأمريكية مناطق النفوذ والمصالح الإستراتيجية الروسية التقليدية، فضلاً عن عدم وفائها بوعودها في تقديم الدعم المالي لروسيا، والجوالات التي تقوم بها الغواصات الأمريكية بالقرب من المياه الإقليمية الروسية، ومعارضة الولايات المتحدة الأمريكية قيام روسيا ببيع الأسلحة لإيران والدول العربية، والجهود الأمريكية المبذولة للتصدي لبيع محركات الصواريخ الروسية المتطورة للخارج، وهذه

(١)البدراوي، مغازي (٢٠٠٦). روسيا عملاق إقتصادي جديد، صحيفة الوقت البحرينية، العدد ٢٠٨.

كلها أمور أعطت التيار الذي يطالب بانفتاح روسيا على آسيا بدلاً من الولايات المتحدة الأمريكية والغرب مصداقية كبرى.

ومن ثم فإن القوى القومية والمحافظة والشيوعية- في سياق سعيها لإعادة توجيه السياسة الداخلية بعيداً عن اقتصاد السوق وما أحاط به من فساد وتدهور، وتفعيل الدور الدولي لروسيا الاتحادية أيضاً – ركزت على ضرورة دعم علاقات روسيا الاتحادية ببعض دول الجنوب، ولاسيما دول الخليج، ومنها على الأقل تلك الدول التي كانت تعتمد على علاقاتها مع روسيا الاتحادية في مواجهة الضغوط الأمريكية- الغربية[1]. وهو ما دفع البرلمان الروسي إلى التصويت بأغلبية الأصوات على مشروع قرار يوصي الحكومة الروسية بالعمل بإلحاح داخل مجلس الأمن الدولي لرفع الحظر عن صادرات العراق النفطية والمواد الأخرى، وجاء في ديباجة مشروع القرار: "بالنظر على التقدم الذي تحقق بفعل تنفيذ الحكومة العراقية للقرارات الدولية، وبسبب الأوضاع الاقتصادية والإنسانية الصعبة جداً التي يعيشها شعب العراق بفعل استمرار الحصار عليه، فإن البرلمان الروسي يدعو الحكومة الروسية إلى التقدم بمشروع قرار في مجلس الأمن متفق عليه مع فرنسا والصين بشأن الأوضاع في العراق. ونص مشروع القرار على أنه في حال ما إذا وافق مجلس الامن الدولي على مشروع القرار الروسي فإنه يتعين على الحكومة الروسية اتخاذ خطوات كفيلة بالحفاظ على مصالح روسيا الاقتصادية، بما في ذلك تسديد الدين العراقي لروسيا ويوصي القرار حكومة روسيا الاتحادية أيضاً بالقيام بإجراء[2] يضمن تعاوناً مستمراً مع العراق في المجالات الاقتصادية كافة، وحث القرار على ان تقدم روسيا للعراق مساعدات إنسانية ترفع عن كاهل الملايين من أبناء شعبه الآثار المأساوية

---

(١) البدراوي، مغازي (٢٠٠٧). فوريس ومليارديرات روسيا القادمون من المجهول، صحيفة الوقت البحرينية، العدد ٤٠٢.

(٢)عابدين، صدقي (٢٠٠٧). السياسة الروسية في آسيا: الأهداف والتحديات، السياسة الدولية، السنة ٤٤، العدد ١٧٠، تشرين الأول، القاهرة.

الناجمة عن فرض العقوبات الاقتصادية وضرورة البدء فوراً وبعد رفع الحظر باستئناف التعاون بين العراق وروسيا على جميع الصعد"[١].

كما أكد يوري ينكيفرنكو نائب رئيس اللجنة الجيوسياسية بمجلس الدوما أن موقف كتلـة الحزب الشيوعي واضح إزاء المسألة العراقية، وأن الوقت قد حان لغلـق الملفـات المتنـازع عليها[٢]. كما قام مجلس الدوما بالتصديق في حزيران / يونيو عام ١٩٩٧ على مشروع قـانون يقضي بمنع استخدام أموال الدولة الروسية في تنفيذ نظام العقوبات على العراق.

كما قام التيار القومي المتشدد بجميع التوقعات داخل مجلـس الدومـا لإدنـة الموقـف الأمريكي من العراق، وقام الزعيم القومي المتشدد فلاديمير جيرنوفسكي بالسفر إلى بغداد علـى متن طائرة محملة بالأدوية والمعونات[٣].وايضاً ظهر موقف البرلمان الروسي من خلال مطالبة ميخائيل جوديسيريف نائب رئيس مجلس الدوما الروسي بوضع حد نهائي لموضـوع اسـتمرار الحصار، وتحديد سقف زمني لعمل اللجنة الخاصة حتى يتم رفع الحصار ويأخذ العـراق دوره الطبيعي في المجتمع الدولي، وقال: "إنه هو والسيد جيرنوفسكي يعملان بكل طاقاتهمـا داخـل مجلس الدوما لاتخاذ القرارات التي من شأنها الإسهام في رفع الحصار عن الشعب العراقي"[٤].
كما طالبت الأغلبية في مجلس الدوما بتعطيل التصديق على معاهدة (سـتارت-٢) فـي حالـة تعرض العراق لضربة عسكرية أمريكية، كما أصدر المجلس قراراً في ٤ شـباط عـام ١٩٩٨ جاء فيه: "أن البرلمان الروسي يعارض بشدة أي عمليات عسكرية ضد العراق، ومن الضروري

---

(١) بريماكوف يفغيني، روسيا من أركان أنابوليس، صحيفة الحياة، ٢٠٠٧/١١/٢٨.
(٢) تيرتيروف، مارات (٢٠٠٧). توقعات السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الخليج، آراء حول الخليج، العدد ٣٨.
(٣) جبر، رائد (٢٠٠٧)، روسيا تواجه تجاهل الغرب مصالحها بإستراتيجية دفاعية شاملة، صحيفة الحياة، العدد ١٦٠٦٥، بيروت.
(٤) جبنون، نور الدين (٢٠٠٧)، صراع الإستراتيجيات في آسيا الوسطى، مجلة الأيام، ٢٠٠٧/٤/١٢، فلسطين.

إيجاد حل للوضع الراهن بالسبل السياسية والدبلوماسية. وفي حالة قصف بغداد بالقنابـل فـإن روسيا قد تلجأ إلى الإنسحاب من نظام العقوبات الاقتصادية المفروضة على العراق".

وكان لهذا الدور الفاعل للبرلمان الروسي تأثير كبير في حث القيـادة والحكومـة فـي روسيا لتبني موقف مساند للعراق وقضيته. فقد أعلن يزغانوف زعيم الحزب الشيوعي الروسي ورئيس كتلته في مجلس الدوما- وهي أكبر الكتل البرلمانية – في ٤ شباط ١٩٩٨: "أن الأحداث الجارية الآن حول العراق قد أدت إلى نمو المشاعر المناهضة للولايات المتحدة الأمريكية فـي أغلب بلدان العال. وما تزال روسيا بإمكانها ممارسة تأثير أكبر في تطـورات الوضـع حـول العراق"[١]. وقال النائب الأول لرئيس مجلس الدوما فلاديمير ريجسكوف الذي يمثل كتلـة بيتنـا روسيا في ٥ شباط ١٩٩٨: "إن بإمكان روسيا استخدام حق النقض "الفيتو" فـي أثنـاء مناقـشة القضية العراقية في مجلس الأمن الدولي، وإن قرار مجلس الدوما الروسي الخـاص بالوضـع حول العراق كان يعني أن روسيا أمة متوحدة لأن جميع القوى السياسية من أقصى اليمين إلـى أقصى اليسار وقفت موقفاً قومياً ضد الحل العسكري لهذه الأزمة"[٢]. ووجهـت كتلـة الحـزب الليبرالي الديمقراطي الروسي في مجلس الدوما نداء إلى برلمانات العالم دعت فيه إلى الحيلولـة دون استخدام القوة في حل الأزمة العراقية، وجاء فـي النـداء "إن تلـويح الإدارة الأمريكيـة باستخدام السلاح النووي ضد العراق، قد يضع العالم على شفير حرب عالمية ثلاثة"[٣]. وهكذا فإن الشيوعيين والقوميين المتطرفين بفصائلهم كافة قد اتفقوا كما يبدو – على ما يبـدو- عـل هدف رئيسي مفاده توجيه رسالة إلى الغرب والولايات المتحدة ذاتها بأن على كل الذين اعتقدوا

---

(١) الجبور، بشار (٢٠٠٨)، الدور الروسي في النظام العالمي الجديد ٢٠٠٠-٢٠٠٦، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.

(٢) جودمان، ملفين (١٩٩٦)، موسكو والشرق الأوسط خلال التسعينات، في امتطاء النمر، تحدي الشرق الأوسط بعد الحرب الباردة، تحليل نيسمار وولم لويس، ترجمة عبد ا جمعة الحاج، مركز الإمارات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي.

(٣) أمين عواد مهنا المشاقبة، (٢٠٠٥)، التربية الوطنية والسياسية والنظام السياسي الأردني، الطبعة السابعة، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان

أن روسيا الاتحادية، بعد تفكك الاتحاد السوفييتي قد أصبحت كياناً ضعيفاً ممزقاً ومفككاً أن يعيدوا حساباتهم ويفهموا أن مثل ذلك التصور غير صحيح، وأن مختلف القوى السياسية الرئيسية الروسية على اختلاف تياراتها وعقائدها السياسية ومذاهبها الفكرية قد قررت التماسك والتحالف، وأنها سوف تقاوم بكل عناد مثل هذه التوجهات المعايدة- صراحة أو ضمناً- للمكانة الحقيقية لروسيا، فالكيان الذي يسعى له الشيوعيون والقوميون الروس من خلال وجودهم في البرلمان وتحالفاتهم ككيان يضمن الهيمنة والسيطرة لمصلحة الروس أنفسهم كما كان الاتحاد السوفيتي من قبل، ولا يتردد في التعامل مع الغرب من منطلق المواجهة إذا تعارضت المصالح[١].

ويمكننا التمييز داخل النخبة السياسية الروسية بين تيارات أو اتجاهات رئيسية عدة يمثلها أولاً الإصلاحيون الليبراليون، وثانياً القوميون والمحافظون والشيوعيون ثم ثالثاً اتجاه الوسط، هذا إلى جانب اتجاهين هما يمين الوسط ويسار الوسط:

(١) حسين، عدنان السيد (٢٠٠٣)، نظرية العلاقات الدولية، الطبعة الأولى، دار أمواد للنشر والتوزيع، بيروت.

١) الإصلاحيون الليبراليون:

يرى أنصار هذا التيار أن الطريقة المثلى لتحقيق المصالح الوطنية الروسية تـتم مـن خلال اتباع سياسة خارجية تعاونية مع الغرب، ولا سـيما الولايـات المتحـدة الأمريكيـة وأن الحصول على الدعم الغربي يعد مطلباً اساسياً من أجل التخلص من الصعوبات الداخليـة التـي تمر بها روسيا خلال المرحلة الانتقالية، وهم يحاولون قدر الإمكان أيـضاً أن تـضع سياسـة خارجية تمليها المصالح الآنية(١). ويدعون إلى تبني سياسة نشيطة غايتها العليا الانـضمام إلـى المجتمع الغرب، ويقر هذا الاتجاه بحق جمهوريات الاتحاد السوفيتي الـسابق فـي الاسـتقلال ويدعوها إلى تطوير علاقاتها مع روسيا الاتحادية على أساس قواعد حـسن الجـوار ومبـادئ القانون الدولي(٢).

٢) القوميون والمحافظون والشيوعيون:

أ. القوميون: وهم يركزون على وحدة روسيا ويرغبون في العودة إلى ما قبل الثـورة البلشيفية، ويشككون في النيات الغربية ويترددون في طلب المساعدة من الغرب، ويفـضلون أن تعتمد روسيا على مواردها الذاتية في التغلب على مشكلاتها الاقتصادية. كما أنهم ضد التـأثير الغربي في الثقافة الروسية، ويركزون على ضرورة التمسك بالثقافة القومية الروسية وإحيائهـا، وكذلك بالأرثوذكسية الروسية كقاعدة معنوية. ويربط هذا التيـار مـشكلات روسـيا بالعالمـل الخارجي، ولاسيما الغربي والأمريكي ويدعو إلى إتباع سياسة توسعية لروسيا بحيـث تـسيطر روسيا من جديد على جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق، التي ينظر إليها لا علـى أنهـا دول

---

(١) صالح الخثلان، "المحدد الثقافي لعلاقات الوطن العربي بجمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق: بحث في تأثير الثقافة السياسية على العلاقات بين الدول العربية والجمهوريات الإسلامية وروسيا"، في: مصطفى علوي(محرر)، ندوة الوطن العربي وكومنولث الدول المستقلة، مرجع سابق، ص١٢٧.

(٢)Dmitrii Trenin,(٢٠٠٧), "Russia Redfines Itself and Its Relations with the West", Washington Quarterly, vol.٣٠,no.٢ .

مستقلة بل على أنها جزء لا يتجزأ من الحدود الروسية التاريخية[١]. ويبدو أن تصوراتهم للعملية السياسية بشقيها "الداخلي والخارجي" تستمد من الثقافة الروسية التقليدية التي تؤكد تمييز الأمـة الروسية ووجوب المحافظة على الكيان الروسي ولو باستخدام القوة، فضلاً عن تفضيلهم النظـام المركزي القومي. أما في الجانب الخارجي فنجدهم يعتقدون أن روسيا ذات رسالة متميزة تدفعها إلى احتلال مكانة خاصة في أوروبا وآسيا.

وفيما يخص دول الخليج فهذه النخبة يبدو أنها تحمل تلك المعتقدات والانطباعات السلبية نفسها في الثقافة الروسية عن الإسلام، حيث تنطلق في مواقفها وتـصوراتها للعلاقـات بـدول الخليج من تلك الثقافة. وهو أمر يبدو واضحاً في خطابات جيرونوفسكي، وهو أفضل مثل على هذه النخبة، التي تصور العرب والمسلمين بالتخلف والرجعية، ومع ذلك فإن هذه النخبة تنطلـق في تصوراتها لموقع روسيا من الخليج من فهمها للمصالح الروسية، حيث ترى وجود مـصالح لروسيا في هذه المنطقة يجب أن تخدمها السياسة الخارجية الروسية.

ب. المحافظون: وهم يفضلون العودة على النظام المركزي في الاقتصاد ويرفضون كل الإصلاحات الخاصة بالتحول إلى اقتصاد السوق، كما يرون ضرورة تنمية القدرات العـسكرية الروسية، ويرفضون أن يكون للدول المجاورة لروسيا حقوق مساوية لروسـيا، وخاصـة فيمـا يتعلق بالترتيبات الأمنية، ويدعون إلى بناء دولة روسية قوية تحمي الأقليات الروسية في الخارج وتعيد حدود روسيا على ما كانت عليه في عهد إيفان الرهيب[٢]. ومن بين أبرز رموز هذا التيار الكسندر روتسكي ورسلان حسبولاتوف.

---

(١) Karen Dawish and Bruce Parrott, op. cit., pp. ١٩٩-٢٠٠.

(٢) إيفان الرهيب هو قيصر روسيا الثالث الذي حرر موسكو في القرن الخامس عشر الميلادي من حكم التتر المسلمين لتبدأ بعد ذلك مرحلة التوسع في آسيا وأوروبا. لمزيد من التفاصيل ارجع إلى : نادية مصطفى، "آسيا الوسطى والقوقاز بين القوى الإسلامية الكبرى وروسيا"، في: مصطفى علوي (محرر) ندوة الوطن العربي وكومنولث الدول المستقلة، مرجع سابق، ص٥٣-٩٩.

جـ. الشيوعيون: وهم من دعاة توسيع نطاق الأسواق والنفوذ الروسي وإقامة علاقات مميزة مع دول الشرق الآسيوي والعالم الإسلامي والصين، والسعي لإعادة الاتحـاد الـسوفيتي على أساس طوعي، تدريجياً، وعبر الاستفتاء. وقد خاض هذا التيار انتخابات الدوما تحت شعار "نحو السلام والخبز في كل بيت" وهو يطرح إدخال تعديلات دستورية بحظر استخدام القـوات المسلحة الروسية في إدارة أية نزاعات اجتماعية أو قومية أو حلها، ويدعو إلى الإشراف علـى الفروع الكبرى للاقتصاد الروسي مثل المؤسسة العسكرية- الـصناعية والمجمـع الـصناعي والزراعي،و وفي الوقت نفسه فهو لا يعارض الملكية الخاصة والتجارة الحرة. ويـسود هـذا التيار توجهات قومية واضحة، بحث يسعى لتقييد النفوذ الغربي على روسيا. ومن أبرز القيادات الشيوعية جينادي زيوجانوف زعيم الحزب الشيوعي الروسي.[١]

٣) اتجاه الوسط:

وممثلوه يجمعون بين توجهات كل من الليبراليين، والقوميين والمحـافظين، ويحـاولون إيجاد التوازن بينهم، ولذا فإنه من الصعب التعميم وإيجاد خطوط مشتركة لكل اتجاه الوسط، إلا أنه يمكن أن نقول: إن الاتجاه السائد بينهم يؤمن بالديمقراطية وبضرورة التحول الـديمقراطي، كما أنهم يؤمنون بروسيا الموحدة وبضرورة تجنب أي سياسات تؤدي إلى تجزئة الـبلاد، وهـم يؤكدون ضرورة الاعتماد على الموارد الروسية والحـد مـن اللجـوء إلـى الغـرب لتـوفير الاستثمارات والمساعدات لروسيا. ومن أبرز قيادات هذا الاتجاه أولـيج لوبـوف الـذي عـين سكرتيراً لمجلس الأمن القومي في أيلول/ سبتمبر عام ١٩٩.

---

(١)Karen Dawish and Bruce Parrott, op. cit., pp. ١٩٩-٢٠٠

٤) يمين الوسط:

وأنصاره يفضلون السير قدماً في مسيرة الخصخصة والتحول إلى اقتصاد السوق، ولكن تدريجياً وببطء، مع الحفاظ على دور واسع للدولة في الحياة الاقتصادية، ومن أبرز قيادات هـذا الاتجاه فيكتور تشرنوميردين.

٥) يسار الوسط:

ويرى هذا الاتجاه روسيا كمزيج أوروبي- آسيوي، كما يعكس ذلك تكوينهـا العرقـي، ويدعو إلى الحفاظ على مالح روسيا الاقتصادية والعسكرية والدفاع عن الروس في الجمهوريات السوفيتية السابقة. ومن أبرز رموز هذا التيار زعيم الحزب الـديمقراطي الروسـي نيكـولاي ترافكين.

هناك من يذكر أنه نتيجة امتداد روسيا الجغرافي فوق قارتين أصبحت روسيا منقـسمة كما يتجلى ذلك من مواقف نخبها السياسية والثقافية على تيـارات، لعـل أبرزهـا المجموعـة الأطلسية والمجموعة الآسيوية-الأوروبية، أم المجموعة الأولى فتسعى للانضمام إلـى الغـرب المتقدم بمؤسساته الاقتصادية والعسكرية كافة، ولعل من أبرز ممثلي هـذه المجموعـة وزيـر الخارجية الأسبق أندريه كوزيريف الذي كان من الشخصيات العامة الروسية القليلة التي دافعت بقوة عن توسيع حلف شمال الاطلسي شرقاً، بل عد أن عدم توسيعه سـوف يـشجع العناصـر القومية المتطرفة في بلاده ويضر بالإصلاحات الديمقراطية التي شهدتها روسـيا منـذ تفكـك الاتحاد السوفيتي[١]. أما المجموعة الآسيو-أوروبية- وإن لم تغفل أهمية العلاقات مع الغـرب-

---

(١)Karen Dawish and Bruce Parrott, op. cit., pp. ١٩٩-٢٠٠.

فإنها تؤكد ضرورة اهتمام روسيا بالجنوب والشرق بحكم امتدادها الجغرافي، وقـد تـصاعدت أصوت هذا التيار للتشكيك في جدوى التقارب بين روسيا وحلف شمال الأطلسي[1].

إن هذه النخبة- وأغلب أفرادها من المستشرقين- يمكن النظر إليهـا بوصـفها نخبـة متميزة قد يكون لها تأثير في مستقبل العلاقات الروسية العلاقات الروسية – الخليجية، فأفرادهـا يحملون معرفة دقيقة عن العالم العربي عموماً والخليج العربي على وجه الخـصوص، وهـي معرفة غير مشبوهة كتلك الموجودة عن القوميين أو الليبراليين، فهم نتيجـة دراسـتهم للعـالم العربي أوقاتاً طويلة تولدت لديهم روابط عاطفية تؤثر في مواقفهم من علاقات روسـيا بالـدول الخليجية، وخلال آخر أيام العهد السوفيتي وبعد التفكك عانى هؤلاء محاولات النخبة ذات الميول الغربية إزاحتهم من المؤسسات التي كانوا يعملون فيها مثل وزارة الخارجية الروسـية، وذلـك نتيجة لإعادة توجيه السياسة الخارجية الروسية، فضلاً عن معاناتهم من نقص في المخصـصات المالية لمؤسساتهم الأكاديمية، إلا أنهم نتيجة للعلاقات التي تربطهم بالعالم العربي عمومـاً فهـم يحملون معتقدات تتمثل في أهمية تعزيز العلاقات الروسية بالدول العربية ومنهـا دولا لخلـيج ويرفضون محاولات تهميش هذه المنطقة، حيث يعتقـدون أهميتهـا للمـصالح الروسـية. إن الشيوعيين بمختلف تكتلاتهم، يعدون من دعاة الإمبراطورية ويدخلون ضمن الاتجاه الآسـيوي- الأوروبي، وبمرور الزمن أخذت السياسة الرسمية لروسيا تميل تدريجياً إلى التيار الآسـيوي- الأوروبي، وهذه الفئة تركز على "الجوار القريب" أكثر مما تركز على الغرب، وهي تتعامل مع دول رابطة الدول المستقلة لا على أساس التوجهات القيصرية التـي يقـدمها التيـار القـومي المتطرف، ولكن من خلال مجموعة من السياسات الاقتصادية والعسكرية التي تستهدف إحكـام

---

(١) زغلول، خالد سعد (٢٠٠٨). الأزمة في القوقاز.. تحدٍ جديد للإتحاد الأوروبي، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٧٤، المجلد ٤٣.

ربط دول رابطة الدول المستقلة مرة أخرى بالمركز موسكو. هذا الاختيار حتمته في واقع الأمر موازين القوى بين مؤسسات صنع السياسة الخارجية الروسية.(١)

إن التيار القومي المتطرف- على الرغم من ازدياد نفوذه السياسي- ولاسيما بعد نتـائج الانتخابات التشريعية في كانون الأول عام ١٩٩٣ قد تراجع في انتخابـات كـانون الأول عـام ١٩٩٥ فضلاً عن تراجعه أيضاً في انتخابات كانون الأول ١٩٩٩ لمصلحة الـشيوعيين الـذين أصبحوا يشكلون أكبر كتلة في البرلمان الروسي في هذه الانتخابات، كما أنه كان يتركـز منـذ البداية في البرلمان، ولكنه لم يستطع التأثير في مؤسسات السياسة الخارجية. أما التيار الغربـي فقد كان له تأثير كبير في السياسة الخارجية منذ تفكك الاتحاد السوفيتي إلى وقـت الانتخابـات البرلمانية عام ١٩٩٣ وبعدها بقليل، ولكنه بقي محصوراً على نطاق وزارة الخارجية الروسـية في شخص أندريه كوزيريف وزير الخارجية الأسبق نفسه ومجموعة من معاونيه[٢]. على حين نشط التيار الآسيوي- الأوروبي المحافظ منذ حزيران/ يونيو عام ١٩٩٢، وتوالـت نجاحاتـه، واستطاع تشكيل مجلس الأمن القومي الروسي الذي أسس بدعم من البرلمان والجيش الروسـي، وأصبح منذ ذلك التاريخ مركزاً لأنصاره التوجه الآسيوي- الأوروبي الذين تمكنوا من فـرض تصوراتهم على السياسة الخارجية الروسية وفرضوا وثيقة التدابير الرئيسية لمفهـوم الـسياسة الخارجية الروسية الجديدة وهي برنامج للأمن القومي الروسي[٣]

وقد عارض هذا التيار سياسة التيار الغربي، وأكد أن على روسيا أن تتحرك في الـساحة الدولية من موقف الندية من الولايات المتحدة الأمريكية. بعد ذلك نجح هذا التيار بتشكيل لجنـة

(١)Duchaccek,(١٩٨٦),Iv Dthe territorial Dimension pf politics withen amongand across nation (boulder CO westview press

(٢) http://www.duma.ru/deputats/fraction.htm

(٣) ناصيف حتي ،(١٩٨٥). النظرية في العلاقات الدولية ، (بيروت ،دار الكتاب العربي).

السياسة الخارجية- التي تمكن الرئيس السابق يلتسن من وضعها تحت قيادته ثم تـلاه سـكرتير مجلس الأمن القومي الروسي- وبظهور وثيقة الرئيسية لمفهوم السياسة الخارجية الروسية ولجنة السياسة الخارجية تم تأكيد أن رابطة الدول المستقلة ومنطقة الشرق الأوسط عموماً ومنها منطقة الخليج يمثلون الأولوية الإقليمية لروسيا، وأن مهام السياسة الخارجية الروسية تجاه هذه المنطقة تستهدف أغراضاً عدة منها[1]:

١. تأكيد دور روسيا في بناء العلاقات الدولية وتوجيهها.

٢. ضمان المصالح الروسية في منطقة الشرق الأوسط عموماً، منع امتداد الـصراعات الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط إلى المناطق الجنوبية من كومنولث الدول المستقلة الذي نشأ على أنقاض الاتحاد السوفيتي السابق.[٢]

٣. العمل على الاستفادة من القدرات الاقتصادية الموجودة في منطقة الـشرق الأوسـط عموماً ومنطقة الخليج على وجه التحديد، لذا فإن التحول فـي أولويـات الـسياسة الخارجيـة الروسية من الغرب "أو الجوار البعيد" –إذا جاز التعبير – إلى رابطة الدول المستقلة "الجـوار القريب"، ومحاولة إقامة علاقات متوازنة بجميع دول العالم ومناطقه الحيوية، وبنـاء سياسـات خارجية مستقلة وأكثر إثباتاً للذات الروسية، وتحقيق أكبر قدر ممكن من الفائدة لروسيا، أمـور كانت وليدة لامتداد نفوذ التيار الشيوعي والقومي المتطرف وتراجع التيار الغربي.[٣]

وعلى الرغم من ذلك، فإن ما تقدم لا يعني سقوط الغرب أو غيره من الـنظم الإقليميـة كلياً من الحسابات والأولويات ال سياسية الروسية، بل إن ما يعنيه هو أن كل النظم الإقليمية ما عدا دول الاتحاد السوفيتي السابق، تدخل في دائرة "الجوار البعيد" وهي دائرة تـسعى روسـيا

---

(١) Karen Dawish and Bruce Parrott, op. cit., pp. ١٩٩-٢٠٠.

(٢) إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية، المرجع السابق.

(٣)Morgenthau ,(١٩٩٦),Hans and Thowpson, Kennethw.politics among Nathion (New york, printer

لتطوير علاقاتها معها، ولكن من دون أن يكون ذلك على حساب "دائرة الجوار القريب"، ومـن دون أن يكون في ذلك مخاطرة حدوث تقارب بين الجوار القريب والجوار البعيد تكون روسـيا هي ضحيته الأولى.(١).

الهياكل غير الرسمية:

أولاً- الأحزاب السياسية:

تتطلع الأحزاب السياسية أساساً إلى استلام السلطة السياسية وإدارتها في بلدانها بوصفها تنظيمات، تستند عموماً إلى قواعد جماهيرية متباينة من حيث الاتساع، وذلك خدمة لأيديولوجية معينة تعتنقها. وفضلاً عن وظائفها الداخلية، تنجز الأحزاب السياسية وظيفة سياسية خارجيـة، هي صنع السياسة الخارجية بصورة مباشرة أو الإسهام في عملية إعدادها أو التصدي لها.

وتتوقف طبيعة كل من هذه الممارسات على مدى تحمل الأحزاب الـسياسية مـسؤولية صنع القرار السياسي الخارجي، ومدى اقترابها منها أو ابتعادها عنها[٢].

ودولة الاتحاد السوفيتي السابق ظلت قائمة- طوال ٧٠ عاماً- في ظل حكـم الحـزب الواحد وقبلها في ظل حكم قيصري استبدادي. ولهذا فروسيا اليوم تشهد فوضى حزبية أشبه بتلك التي جرت في الكثير من دول العالم الثالث عندما تبنت التعددية الحزبية. وقد أكدت استطلاعات الرأي العام في مجموعها أن إقبال الناخبين على التصويت ينطلق من مدى شـعبية المرشـح او المواقف التي اتخذها وتاريخه الشخصي، وليس استناداً إلى برنامج حزبي معين. ومن هنا بدأت إرهاصات التعددية الحزبية في روسيا ولاسيما منذ عام ١٩٨٩، إذ تعرضت قيـادات الحـزب

---

(١)Rosenau ,(١٩٩٠),Games N.,Trublence in World politics Atheory of hange and continuity (prrinceton ,New jerky :princetonUnivercity press)

(٢)Gomart, Thomas (٢٠٠٧), France's Russia Policy: Balancing Interests and Values, Washington Quarterly, vol.٣٠, No٢.

الشيوعي لضغوط كثيفة ومتزايدة من أجل إتاحة المزيد من حرية التعبير[1]، وذلك بتعديل المادة رقم ٦ من دستور عام ١٩٧٨، وهي التي نصت على أن الحزب الشيوعي هو القوة القائدة للمجتمع السوفيتي ولكل أجهزة الدولة والمؤسسات العامة. وفي ٥ شباط/ فبراير ١٩٩٠ وافقت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي على تعديل الدستور. وبالفعل تم تعديل المادتين ٦ و٧ من الدستور في آذار/ مارس عام ١٩٩٠ بحيث أشارتا إلى الأحزاب السياسية من دون أي امتياز للحزب الشيوعي. وفي تشرين الأول/ أكتوبر من العام نفسه أصدر قانون جديد يحدد قواعد تكوين الأحزاب السياسية. وبعد حل الحزب الشيوعي وحظر نشاطه عقب المحاولة الإنقلابية الفاشلة في آب/ أغسطس عام ١٩٩١ ظهر الكثير من الأحزاب السياسية واتسع نشاطها ووجودها حتى قبيل الانتخابات التشريعية لعام ١٩٩٣ إلى حوالي ٤٠ حزباً سياسياً[2].

ولضيق نطاق الدراسة سنركز على أهم الأحزاب السياسية الناشطة في الوسط السياسي الروسي وهي:

١. الحزب الشيوعي الروسي:

ظهر الحزب الشيوعي الروسي بزعامة جينادي زيو جانوف خلال وجود الاتحاد السوفيتي السابق، عندما نالت جمهورية روسيا الاتحادية استقلالها وسيادتها داخل إطار الدولة السوفيتية (اتحاد الجمهوريات الروسية المستقلة) مثلها مثل كل الجمهوريات الخمس عشرة، ومن ثم برزت الحاجة إلى أن يكون لها حزبها الخاص بها. وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي، ظهر أكثر من ١٥ حزباً شيوعياً داخل روسيا وحدها، منها: حزب البلاشفة لعموم الجمهوريات السوفيتية السابقة، والحركة الديمقراطية للشيوعيين، وحركة المبادرة الشيوعية، والشيوعيون من أجل

---

(١) نبيه الأصفهاني، مرجع سابق، ص٩٤.

(٢) نبيه الأصفهاني، المصدر نفسه ، ص٢٥٥.

الديمقراطية، وحزب العمل الشيوعي، وشيوعيو روسيا، وحزب العمال الماركسي، ولكن الحزب الشيوعي السوفيتي الذي عد الوريث الأيديولوجي للحزب الشيوعي السابق في الاتحاد السوفيتي كان أكبرها من حيث عدد الأعضاء إذ يبلغ عدد أعضائه ٧٠٠،٠٠٠ عضواً وكانت بدايات عملا لحزب لا تنبئ بأي حال من الأحوال بالصورة والقوة اللتين يبدو بهما(١).

إلا أن الفوز الكبير الذي حققه الشيوعيون الروسي في انتخابات مجلس الدوما في كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٩٥ بحصولهم على ٢٢,٣% من الأصوات. ومن ثم في انتخابات كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٩٩ كان الحدث الأكثر أهمية في مسار قوة الحزب سياسياً وبروزه، إذ حصل على أعلى نسبة من الأصوات بلغت ٢٤,٣%. وتحقق هذا الأمر من خلال اعتماد يزجانوف على الشيوعيين النشيطين وحلفائهم وأنصارهم، فضلاً عن اعتماده على تحريك العامل المعنوي المتمثل بالحنين إلى الماضي وعلى الرفض والانتقاد للسياسات الاقتصادية والسياسية التي أدت إلى التراجع الكبير لروسيا(٢). إلا أن الحظ لم يحالف هذا الحزب في انتخابات عام ٢٠٠٣ فقد حصل على ١٢,٦١% فقط. وقد يعود ذلك إلى عدم تقديم الحزب برنامجاً سياسياً جديداً وبديلاً من أجل تطوير المجتمع عما طرحه في السابق.(٣)

ويسعى الحزب الشيوعي بزعامة زيوجانوف لإحياء المكانة والوجود السوفييتي القديم وتعظيم مقومات القوة الشاملة للدولة، بما يحمله ذلك من إمكانيات إعادة ترتيب العلاقات الدولية والنظام العالمي ثانية، والاتجاه نحو توازن قوى جديد. ويمكننا تلمس ذلك من خلال تصريح زيوجانوف في إحدى المناسبات الوطنية الروسية حول الوضع والأزمة في العراق على سبيل

---

(١) زلوبن، نيكولاي (٢٠٠٦). الخليج في سياقات السياسة الخارجية الروسية، مركز الإمارات للدارسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي.

(٢) سليم، محمد السيد (٢٠٠٧). التحولات الكبرى في السياسة الخارجية الروسية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٧٠، المجلد ٤٢، تشرين الأول ٢٠٠٧، القاهرة.

(٣) ميخائيل جورباتشوف ، المرجع السابق.

المثال، حيث شهد ذلك اليوم تظاهرة شعبية كبيرة حملت شعارات عدة تضامناً مع الشعب العراقي، تندد بالحشود العسكرية الأمريكية. ففي تصريحه هذا قال: "لو كان الاتحاد السوفيتي ما يزال موجوداً لكان يكفيه إصدار بيان واحد يعلن فيه رفضه للحرب ضد العراق ولكان كل شيء انتهى بسلام". إن تصريح زعيم الحزب الشيوعي الروسي يقود إلى حقيقة مهمة مفادها أن روسيا اليوم ليست نفسها في السبعينات والثمانينات، وأهم ما يميز روسيا الحديثة هو ضعفها، ولا شك أن قادة الكرملين كانوا مدركين جيداً لهذا الواقع الذي عكس نفسه على طريقة تعامل الدبلوماسية الروسية مع أزمة العراق التي أقل ما يقال عنها أنها لم تكن تعبر عن عقلية دولة عظمى واثقة من نفسها. ونستشف من تصريحه أيضاً أنه ركّز على ضرورة أن تستعيد روسيا دورها على الصعيد الدولي، وانتهاج سياسة خارجية تحافظ على المصالح القومية الروسية.

لقد كان برنامج زيوجانوف في جميع الانتخابات البرلمانية التي جرت يؤكد ضرورة استعادة الوضع الدولي لروسيا[1]، وانتهاج سياسة تحافظ من خلالها روسيا على مصالحها القومية العليا، وفي الوقت نفسه مراعاة الاتفاقيات الدولية، واحترام مصالح الجميع وتحمل هذه الدعوة في طياتها مواجهة السياسة الأمريكية وعدم تأقلم السياسة الروسية معها، كما تضمن برنامج زيوجانوف أيضاً فقرة تدعو إلى انضمام روسيا الاتحادية إلى منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) وحركة عدم الانحياز والحصول على صفة مراقب في منظمة المؤتمر الإسلامي. وهو بهذا يركز على سبيل إحياء الدور الروسي الفاعل ونسج شبكة جدية من العلاقات الدولية بعيداً عن دائرة التكيف مع السياسة الأمريكية[2]. على أن هؤلاء الشيوعيين لا يدعون إلى النظام الشيوعي على الصعيد الاقتصادي، وتسميتهم بالشيوعيين مقصورة على أنهم قدماء الشيوعيين

(١) شلهوب، فكتور (٢٠٠٧). بعد الصحوة الروسية: مداخل سياسة موسكو الخارجية في الشرق الأوسط، مجلة آراء حول الخليج، العدد ٣٨، نيسان ٢٠٠٧.

(٢) الشناق، فاروق (٢٠٠٧). مستقبل الدور الروسي في منطقة الشرق الأوسط، آراء حول الخليج، العدد٣٨، آذار، البحرين.

فحسب، إلا أن العامل الرئيسي الذي كان يميزهم- كالقوميين المتطرفين- هو دعوتهم إلى إحياء الاتحاد السوفيتي ثانية، وإن كانوا يؤكدون رغبتهم في أن يكون ذلك بالوسائل السلمية، هذا مع عدم إغفال أن هذه الوسائل يمكن أن تتضمن الضغوط السياسية والاقتصادية لدفع دول الاتحاد السوفيتي السابق إلى الارتباط بروسيا ارتباطاً مباشراً يتجاوز حدود ما صنعته سياسة يلتسن عبر ما يسمى برابطة الدول المستقلة[١].

٢. حزب الوحدة- الدب:

قائد هذا الحزب هو وزير الدولة للحالات الطارئة سيرجي كوشوتيفج شايكو الذي يمثل الوجه الإنساني لروسيا في النزاع الشيشاني، مكملاً الوجه الحربي لبوتين، وقد أسس هذا الحزب قبل ثلاثة أشهر من الانتخابات التشريعية التي جرت في كانون الأول ١٩٩٩. وبرغم أنه ليس لديه برنامج سياسي واضح فإنه يؤكد ضرورة حفظ القيم والممارسات الإيجابية المطلوبة وحمايتها لدفع المجتمع الروسي إلى الأمام وتحقيق إمكانيات تقدمه. ومن هنا فقد صاغ حزب الوحدة أيديولوجيته على أساس قيم الحرية الفردية للمواطن والعدالة الاجتماعية، وتعمل أيديولوجيته على أساس المسؤولية الحقوقية التي تعين القبول الإيجابي بالحقوق في الوقت نفسه الذي تنفيذ فيه جماهير الحزب مسؤولياتها الوطنية العالية تجاه المجتمع والدولة، ولذلك سيكون من القانون والحرية والمسؤولية الموجهات الأكثر أهمية لأيديولوجية حزب الوحدة[٢]. وقد حصل حزب الوحدة على ثاني أكبر نسبة من الأصوات بلغت ٢٢,٣%.

وبعد أن احتل الائتلاف المناوئ للكرملين "الوطن – عموم روسيا" وأبرز قادته يوري لوجوكوف رئيس بلدية موسكو ويفجيني بريماكوف رئيس الوزراء الأسبق المركز الثالث بنسبة

---

(١) الشيخ، نورهان (٢٠٠٦). روسيا والإتحاد الأوروبي. صراع الطاقة والمكانة، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٦٤، المجلد ٤١، نيسان، القاهرة.

(٢) نبيل شبيب، مرجع سابق، ص٢٢.

١٣,٣% وهي نسبة تقل كثيراً عن تطلعاته ألمح إلى احتمال تعاونه مع حكومة بـوتين وحـزب الوحدة الذي يعد الحزب الرئيسي[1]، بالفعل تم دمج حزب الوحدة وحزب أرض الآباء الـوطن- عموم روسيا، وذلك في المؤتمر الثالث المنعقد في ١ كانون الأول ٢٠٠١ ما بين هذه الأحزاب، وأصبح الحزب يدعى حزب الوحدة والوطن، وتم التصويت على ذلك بالإجماع، وتـم اختيـار هوية أعضاء الحزب والمصادقة على تصميمها. وعقد حفل تسجيل الحـزب الجديـد "الوحـدة والوطن- روسيا واحدة" في ١٨ كانون الأول ٢٠٠١[2]. وحصل هذا الحزب علـى ٣٧,٥٧% من الأصوات في انتخابات عام ٢٠٠٣.

٣. الحزب الديمقراطي الليبرالي:

أسس هذا الحزب في آذار عام ١٩٩٠ بزعامة فلاديمير جيرنوفسكي الذي يعد من أبرز قيادات الاتجاه القومي[3]. وقد كان هذا الحزب أو الأحزاب الروسية جميعاً في مبـادرة طلـب الترخيص بقيامه في ٣١ آذار ١٩٩٠ بوصفه أو حزب غير شيوعي في الاتحاد السوفيتي قبيـل تفككه وذلك بعد مضي ما يقارب أسبوعيين من السماح بخطوة تعدد الأحزاب[4]. وأهم ما تضمنه برنامجه الانتخابي على الصعيد الاقتصادي هو وقف عملية تحويل الـصناعات الحربيـة إلـى صناعات مدنية، وتشجيع تصدير السلاح إلى كل من يستطيع أن يدفع الثمن، بغض النظر عـن أي عامل آخر، مع وقف أي نوع من أنواع المساعدات[5]. أما بخصوص جيران روسيا يقـول: "يجب علينا أن نحدد فقط الأقاليم التي طُرد الروس منها مع إمكانية عمل الشيء نفـسه للـذين

(١) http://www.edin.ru/user/index.cfm?open=٦٥٨&tpc-id=٦٥٨&msg-id=٢٥١٤.

(٢) طه، ممدوح، (٢٠٠٧). تحت ظلال الحرية الدينية الجديدة في روسيا، المسلمون قادمون، آراء حول الخليج، العدد ٢٨، شباط، البحرين.

(٣) htpp:www.edin.ru/user/index.cfm?tpc-id=٣٦&msg-id=٣١٢٤&open=٣٧.

(٤)Gomart, Thomas (٢٠٠٧), France's Russia Policy: Balancing Interests and Values, Washington Quarterly, vol.٣٠, No٢.

(٥) نومكن، فيتالي (٢٠٠٦). العلاقات الروسية مع أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية: انعكاسات على الأمن العالمي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبو ظبي.

يعيشون من أبناء شعوبها في روسيا"[١]. وأما الغرب "فهو يطالب بمغادرتهم البلقان والشرق الأوسط ويجب أن يسود الهدوء في كابول حتى إسطنبول وعندئذ سيهدأ جنوب روسيا[٢]. أما ما يخص سلوكه السياسي فيما يتعلق بمنطقة الشرق الأوسط عموماً والخليج على وجه الخصوص فنستطيع معرفته من خلال تحليل أقواله التي وردت في كتابه "الانطلاقة الأخيرة نحو الجنوب" يذكر فيه:

أنا مع أوسع تطورن شرط ألا يحل معه العداء أو سيادة أمة واحدة على بقية الأمم الأخرى، ولا أقبل التعدي على حقوق الآخرين، ولقد اخترت عنوان كتابي الانطلاقة الأخيرة نحو الجنوب لأنني أريد خروج روسيا إلى شواطئ المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط، لأن هذه هي مهمة إنقاذ الأمة الروسية، فروسيا ذات شعب مجيد، وإن القرن الحادي والعشرين يجب أن يكون قرن نهضة روسيا وتطرها.[٣]

وبخصوص الولايات المتحدة الأمريكية وسياساتها يقول: "أنتم أيها الأمريكان تحاصرون العراق وليبيا والصرب.. اتركوا هذه الشعوب تعيش بحريتها ولا تتدخلوا في شؤون أوروبا وأفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية واسترالية"[٤].

ويرى جيرونوفسكي أن روسيا يجب أن تكون إمبراطورية، وأنه يجب العودة إلى الحدود التي كانت عليها الإمبراطورية الروسية القيصرية عام ١٩٠٠، كما يرى ضرورة ان تتوسع روسيا حتى حدود الهند، كما يعارض قيام الكومنولث بوصفه عملاً غير شرعي وغير دستوري، ويرى أن هذا كله لا يمكن تحقيقه إلا بتغيير هيكل النظام العالمي القائم ووضع

---

(١) نومكن، فيتالي ، المرجع السابق، ص٢٦.

(٢) نومكن، فيتالي، المصدر نفسه، ص٢٧ .

(٣) نصار، سليم (٢٠٠٧)، الرئيس الروسي السابق بوتين يعيد روسيا إلى عهد ستالين، صحيفة الحياة ٢٠٠٧/١٠/٦، لندن.

(٤) نصار، سليم، المصدر نفسه، ص٢٨.

الولايات المتحدة الأمريكية فيه[1] فروسيا – بحسب ما يذكر- "دولة نووية مثلها مثل الولايـات المتحدة الأمريكية، ولهذا لا بد أن تكون القرارات الدولية التي تتخذ قرارات مشتركة".

يدعو هذا الحزب أيضاً على إحياء الإمبراطورية الروسية، وتوسع رقعتهـا والتـصدي للولايات المتحدة الأمريكية والغرب، والتعاون مع القوى والدول المقهورة في النظـام الـدولي وعلى رأسها العراق وإيران وليبيا وكوبا.

ومن خلال كتابات جيونوفسكي يتأكد أن الاستقاء من الماضي، والتقارب مع الأحـزاب الشيوعية، والتطلع إلى التوسع والهيمنة الإمبريالية ليست شعارات سياسية بل رواسي ثابتة فـي جذور أيديولوجية هذا الحزب. وقد حصل الحزب على ١١,٤٥% من الأصوات في الانتخابـات التشريعية للعام ٢٠٠٣[2].وبما يقارب ٣٧% من أصوات الناخبين، حقق حزب "روسيا الموحدة" الموالي للرئيس فلاديمير بوتين فوزا كاسحا في الانتخابات التشريعية الأخيـرة التـي اتـسمت بصعود القوميين المتشددين وانهيار الشيوعيين والليبراليين، وبتغييرالمشهدالسياسي للبلاد. و قـد حصل حزب "روسيا الموحدة" على ٣٦،٨% من الأصوات خلال عملية الاقتراع النسبي علـى أساس اللائحة التي جرت لتجديد نصف أعضاء مجلس الدوما البالغ عددهم ٤٥٠ نائبا.

وبعد أن كان هذا الحزب الموالي لبوتين يشغل ١٤٢ مقعدا في البرلمان المنتهية ولايته، بات يحتل حاليا نحو ٢٢٢ مقعدا، مايقارب الأكثرية المطلقة (٢٢٦ مقعدا)، بحـسب تقـديرات خبير اللجنة الانتخابية ديميتري أورشكين، أن نظام الرئيس فلاديمير بوتين دخل فـي مرحلـة جديدة، تتضمن تهديدا بالانزلاق نحو النزعة التسلطية. فالدوما الجديد (البرلمان)، المنبثـق مـن انتخابات ٧ ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٣ هي الانتخابات التـشريعية الرابعـة مابعـد المرحلـة

---

(١) Anders Aslund, op.cit., P١٣.

(٢) النعيمي، عبد الجليل، (٢٠٠٧). التعاون التجاري الإقتصادي بين روسيا ودول الخليج، مجلة آراء حول الخليج، العدد ٣٨، آذار، البحرين.

السوفييتية يمكن أن تتمخض عنه أكثرية دستورية (٣٠١ مقعد من أصل ٤٥٠) مسيطرا عليها من قبل الكرملين.

فلأول مرة منذ انهيار الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١، أصبح الحزب في السلطة يمتلك الأكثرية المطلقة من مقاعد الدوما. وقد تتمكن هذه الأكثرية المطلقة من تغيير الدستور حتى يسمح للرئيس بوتين خوض الانتخابات الرئاسية الروسية التي ستُجرى في الربيع المقبل والفوز بولايةرئاسة ثانية، وسجل الحزب الشيوعي الروسي- الذي حظر ثم ولد من جديد خلال الفوضى التي سادت البلاد اوائل التسعينات تراجعا كبيرا من أكثر من ٢٤% من الأصوات في الانتخابات التشريعية عام ١٩٩٩ إلى ١٢،٧% من الأصوات في الانتخابات الأخيرة.

ووصف الحزب الشيوعي الذي واجه تدهورا كبيرا في شعبيته والذي قد يفقد نصف مقاعده ونفوذه السياسي الحقيقي، الانتخابات بأنها مهزلة. وكان احتضان زيوجانوف لسياسة إصلاحات السوق يبدو كمغامرة. فقد فشل في إقناع الطبقة الوسطى الناشئة بقبوله وبتودده لرجال الأعمال الأثرياء، وخسر المؤيدين الحقيقيين للشيوعية وهم المسنون والفقراء. وقال رئيس تحرير صحيفة "زافترا" الموالية للشيوعيين الكسندر بروخانوف أنه يتوقع الآن تطورات "حاسمة للغاية". وقال للتلفزيون الروسي "أعتقد أنه سيحدث انقسام داخلي.. انفجار داخل الحزب الشيوعي وستحل بدلا من النسيج الاشتراكي القوي ذي الطابع السوفييتي ديمقراطية اشتراكية رخوة".

٤. حزب بيتنا روسيا:

يترأسه رئيس الوزراء الأسبق فيكتور تشرنوميردين وقد حصل على ١٠,١٣% في القوائم الحزبية في انتخابات الدوما في كانون الاول عام ١٩٩٥، ٢٠٠٩ أما في انتخابات عام

١٩٩٩ فقد حصل على(٧) مقاعد في البرلمان[١]. إلا أننا نلاحظ اختفـاء هـذا الحـزب فـي انتخابات عام ٢٠٠٣.

٥. كتلة بابلوكو- التفاحة:

اسس هذا الحزب عام ١٩٩٣ برئاسة جريجوري يافلينسكي في لحظة صعبة في التاريخ الروسي، عندما اندلع الصراع بين الرئيس السابق يلتسن والبرلمـان، وهـي حركـة ليبراليـة ديمقراطية تمثل الغرب بكل طموحاتها وأساليبها في الإدارة والاقتصاد، وتعـارض كـلاً مـن الحزب الشيوعي والحكومة، وتعد سياسة الحكومة الروسية سياسة سلطوية وعـسكرية مـضادة للمجتمع ولمصالح الأفراد والشعب[٢]. وهي حركة ذات اتجاهـات ديمقراطيـة تريـد إدخـال تصحيحات في السياسة الروسية المتبعة كما تحذر من أن تؤذي هذه السياسة على قيام احتكارات كبرى. وترجع تسمية هذه الكتلة إلى الأحرف الأولى من أسماء زعمائهـا الثلاثـة: يافلينـسكي وبولديريف ولوكين، وتتمتع الحركة بشعبية كبرى في أوساط المثقفين[٣]. وقد حصلت علـى ٤ مقاعد البرلمان خلال الانتخابات الأخيرة في عام ٢٠٠٣.

٦. حزب خيار روسيا:

ويرأسه رئيس الوزراء الأسبق إيجور جيدار، ويعد من الأحزاب الليبرالية ذات الميـول الغربية، إن ما يمكننا ملاحظته بخصوص الأحزاب السياسية "المعارضة" أنه لا يجمعها اتجـاه محدد يجعلها متراصة وإنما تنادي كلها بانبعاث روسيا ونفوذها، أي عودة السيطرة الروسية كما كان عليه الاتحاد السوفيتي السابق لكن بأطر جديدة، كما تهدف هذه الأحزاب "المعارضة" إلـى

(١) الشيخ، نورهان ، مرجع سابق، ص٣٤.

(٢) النجار، مصطفى عبد القادر (٢٠٠٣)، أطماع روسيا القيصرية والاتحاد السوفيتي في الخليج العربي والجزيرة العربية منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى أواخر القرن العشرين، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان.

(٣) http://www.ot.netclub.ru/deputats/fraction.thm.

رفض الهيمنة الأمريكية، وانبعاث روسيا قوية، بينما تهدف الأحزاب الليبرالية والغربيـة إلـى مقاومة كل الإنجازات التي تحققت في مرحلة الدولة السوفيتية والتقارب مع الغرب.(١)

ثانياً: جماعات الضغط والرأي العام:

جماعات الضغط هي مجموعة من الأفراد تجمعهم مصلحة مشتركة، وتقـوم بممارسـة تأثيرها في السلطة السياسية لا بالتوجه إليها مباشرة، وإنما بالتأثير في الرأي العام، وعبر ذلـك وخلاله في المسؤولين في الدولة[٢].

إن كل نظام سياسي – ومهما كانت طبيعته- وشكله – يستند إلى الرأي العام، غيـر أن بعض النظم السياسية تسعى للتعرف إلى اتجاهات الرأي العام وتراقب تحولاته وتستوجبه عندما تصنع خططها وسياستها وتتخذ قراراتها، أما بعضها الآخر فيحاول أن يصوغ اتجاهات الـرأي العام بشكل ينسجم مع الأهداف التي يسعى لتحقيقها، فالرأي العام قوة لا يستهان بها في كل نظام سياسي. ومن هذا المنطلق تسعى جماعات الضغط هي ايضاً بدورهاً للتأثير في الـرأي العـام وتحويله إلى جانبها لكي يتخذ مواقف تضغط على السلطة باتجاه يخدم مـصالحها(٣)، أو علـى الأقل يسهل أمر مشروعاتها، من دون معارضة او عوائق من جانب السلطة السياسية، وذلك بأن تجعل الرأي العام يتبنى وجهات نظرها، فإن تحقق الخصيصة الأساسية لجماعات الضغط هـي محاولة الوصول إلى العامة- أو نحو عدد متميز منها- وكل واحدة منها مـستعدة للمحاجـة أو الاستعطاف لأسباب خاصة بناء على ما هو مشترك في ما بين الأفراد الذين يكونونهـا، وذلـك بدلاً من التوجه إلى الحكومة بصورة مباشرة. وذلك لزعمها أن الرأي العـام إذا تحـرك فـإن

---

(١)Kingeson Topgorn History of International and Nationalizm socity comb side ,(New york ,Cambridge polity press ١٩٩٠)

(٢) http://www.ot.netclub.ru/deputats/fraction.thm.

(٣) محمد طه بدوي ، مرجع سابق.

الحكومة سوف تشعر في الوقت المناسب أنها مجبرة على التصرف بما ينسجم مع المصالح التي هي موضوع القضية[1].

بدأ تأثير جماعات الضغط والرأي العام يتبلور في روسيا الاتحادية حالياً، فسابقاً وفـي ظل حكم القيصر كان أفراد الشعب الروسي يعدون "رعايا" تابعين للتاج، وعقب الثورة البلـشفية عام ١٩١٧ تحولت روسيا إلى جمهورية، وأصبح الروسي "مواطنين" إلا أنه من الناحية الفعلية لم يتغير وضع الروس كثيراً من منظور الحقوق المدنية والسياسية التي يتمتعون بهـا، فهـم – سواء عندما كانوا "رعايا" التاج" أو بعد أن أصبحوا "مواطنين سوفييت"- ظلوا تـابعين لـسلطة مركزية قوية، وظلوا محرومين إلى حد كبير من حقوقهم السياسية كحرية التعبيـر والـصحافة والتجمع وغيرها، ومع تولي جورباتشوف السلطة عام ١٩٨٥ وفي ظل سياسـة البريـسترويكا والجلاسنوست التي ابتعها، بدأ الروس يتمتعون ببعض الحقوق والحريات.

وقد جاء دستور عام ١٩٩٣ ليكفل لكل المواطنين التمتع بالحقوق والحريات الأساسـية حيث اختص الفصل الثاني منه (المواد من ١٧-٦٤) بـ (الحقوق والحريات للإنسان)، وتتضمن هذه الحقوق حق الحياة والحرية، وحرية الانتقال والإقامة، وحرية العبادة وحرية التعبير والتفكير وعقد الاجتماعات السلمية والمسيرات والتظاهرات السلمية، والحق في الترشيح للانتخابات وحق الانتخابات، وحق الملكية، هذا إلى جانب كفالة حرية وسائل الإعلام الجماهيرية وتحريم الرقابة عليها[2].

ومن هنا بدأنا نلاحظ مظاهر للتظاهرات الشعبية في روسيا الاتحادية للتعبير عن الآراء أو للتعبير عن استياء الشعب الروسي من وضع معين. ومثـال ذلـك التظـاهرات ومـسيرات

(١) مظلوم، غسان ، مرجع سابق.

(٢) الشيخ، نورهان ، مرجع سابق، ص٢٣.

الغضب التي عمت معظم البلدان والمدن الروسية في ٧ تـشرين الأول/ أكتـوبر ١٩٩٨ مـن فلاديفتسوك على ساحل المحيط الهادي أقصى شرق روسيا وصولاً إلى موسكو وسان بطرسبرج تعبيراً عن حجم الاستياء الشعبي، واحتجاجاً على ما وصلت إليه روسيا من أوضاع متردية على الصعيد كافة[1].

وقد شكل سوء الأوضاع الاقتصادية في البلاد المحرك المباشر للملايين الـروس الـذين خرجوا للتظاهرات بدعوة من الحزب الشيوعي والنقابات الروسية المستقلة، وانضم إليها لاحقـاً الكثير من القوى الشخصيات، وأهم دلالات هذه التظاهرات الواسعة أنها عكست حجم التملمـل والاستياء الشعبي من سياسة النظام الروسي الذي قاد البلاد- تحت ادعاءات الإصلاح والازدهار – إلى الفقر والضعف والعجز، وتطالب هذه المسيرات السلمية بإعـادة روسـيا إلـى موقعهـا ومكانتها. فالسائد ما بين صفوف الشعب الروسي هو تحسهم على خسارة الإمبراطورية السابقة، وهو أمر كانوا غير راغبين فيه[2]، ومما يؤكد هذا الكلام الاستفتاء الذي جـرى- عنـدما كـان الاتحاد السوفيتي موجوداً- حول مصير البلاد ووحدتها، وهو يعد أول استفتاء في تاريخ البلاد، فقد قادت معطياته الأولية إلى أن ١٤٧ مليون مواطن شارك في الاستفتاء، وصوت على بقـاء الاتحاد السوفيتي كدولة موحدة ١١٢ مليون مواطن أي ٧٦% من السكان البالغين.

أما الجيش، فإنه لم يكن بأحسن حالاً من بقية قطاعات المجتمعوهو ما أدى إلى ظهـور حالة من السخط والرفض لسياسة الرئيس يلتسن بين صفوف الجـيش الروسـي، ولاسـيما أن الجيش لم ينس أنه كان الأمين الذي وكلته الدولة – الحزب الشيوعي في الماضي- وكان أيـضاً الجيش الأكبر لأكبر إمبراطورية في العالم. كما أنهم لم ينسوا أنهم قد وقفوا على جانب الرئيس

(١) لمزيد من التفاصيل ارجع إلى: الدستور الروسي، المادتان: ١٧ و ٦٤.

(٢) مبيضين، مخلد، (٢٠٠٧)، الموقف الأمريكي تجاه البرنامج النووي الإيراني، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، عمان.

يلتسن وساندوه عندما كان مرشحاً لرئاسة روسيا الاتحادية، وأعطوه أصواتهم أملاً في أن يجدوا حلاً لأزمتهم من خلال سياساته التي وعد بها، إلا أنه لم ينفذها، فضلاً عن أن الجيش يفتقر إلى الزعامة المطلوبة والبرنامج السياسي القوي.(١) .

ومن هنا بدأ اللوبي العسكري الروسي في ممارسة نوع من الـضغوط علـى الـرئيس والحكومة لكي يستعيد نوعاً من قوته والاستفادة من دخول سوق السلاح العالمية ولاسيما دخول السوق العسكرية الخليجية التي تشكل أهمية بالغة بالنسبة إلى صناعة الصادرات الروسية التـي هي اليوم في أمس الحاجة إلى الأموال بسبب ضغط عائدات الصادرات الروسية التي هي اليوم في أمسا لحاجة إلى الأموال بسبب ضغط عائدات الصادرات الروسية من الأسلحة بعـد انتهـاء الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفيتي. (٢)

هذه الأمور تعد من أبرز نقاط الالتقـاء مـا بـين العـسكريين والبرلمـان الروسـي، فالعسكريون يجدون أنفسهم أقرب إلى مواقف البرلمان السياسية، وخاصة تلك التي طالبت بعـدم تقليص النفوذ العسكري الروسي في أوروبا الشرقية وعالم الجنوب ومنطقة الخلـيج، ويعـدون أقرب سياسياً أيضاً على تجمع القوى الوطنية القومية والشيوعية التي تمحورت في جبهة الإنقاذ الوطني التي تعلن عن هدفها النهائي المتمثل بمحاكمة يلتسن وجورباتشوف على أسـاس أنهمـا المسؤولان عن سقوط الاتحاد السوفيتي.(٣)

---

(١) كايل. شانون ن. وكريستنسنو هانس م (٢٠٠٥). القوى النووية العالمية ٢٠٠٥، التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي: الكتاب السنوي، فريق الترجمة حسن حسن وعمر الأيوبي بإشراف سمير كرم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

(٢)Nicholson Micheal(١٩٩٦), Causes and cousquences In International relation :acconceepetual study ,New york, printer.

(٣) السيد ساسين، (١٩٩٨)، ،"العولمة وانعكاساتها على الوطن العربي ، "قضايا استراتيجية ، سلسلة دراسات شهرية ، السنة الثالثة ، العدد ١٧.

وهنا يجد الجيش نفسه أقرب إلى الحزب الشيوعي بزعامة زيوجانوف وبقية الأحـزاب الشيوعية والقومية، حيث يلتف أغلب العسكريين حول الأفكار القومية وفكرة روسـيا العظمـى والدولة الوطنية القوية، ولاسيما إذا ما كان سقوط الاتحـاد الـسوفيتي يعـد سـقوطاً للكرامـة العسكرية. (١)

فمن الطبيعي أن يؤيد ما لا يقل عن ثلث الضباط استعادة الدولة السوفيتية، ومن الطبيعي أن يؤيد ثلثا الجيش الذي نشأ على الطاعة إقامة نظام "القبضة الحديدية" فـي روسـيا، وتجـزم المعطيات نفسها بأن الضباط النشيطين في الحركة السياسية جميعهم كـانوا مـن المعارضـين للرئيس السابق يلتسن والحكومة والإصلاحات. وتتمحور مطالب المعارضة داخل الجيش علـى المستوى السياسي- العسكري، كما يرفض تقليص ميزانية التسلح. حيث يبرز الرفض بـصورة كبيرة وواضحة لدى المجمع الصناعي- العسكري الذي يتمتع بنفوذ سياسي واقتصادي متنـامٍ، فهو من الضخامة بحيث لا يمثل مركز نفوذ قوي فحسب، وإنما يمثل ركناً رئيسياً فـي الحيـاة الاقتصادية والعامة الروسية[٢].

أن الرئيس الروسي السابق بوتين يحظى بتأييد عدد من القادة العسكريين الروس منذ أن عين رئيساً بالوكالة، وحتى بعد انتخابه في آذار/ مارس عام ٢٠٠٠، فيذكر مثلاً الجنرال فاليري جورافيل في موزدون التي تعد أكبر قاعدة عسكرية بالقرب من الشيشان "أن القادة العـسكريين يتفهمون أسباب التغيير الرئاسي ويرون أنه شيء جيد لروسيا"[٣].

---

(١)Kingeson Topgorn(١٩٩٠),History of International and Nationalizm socity comb side ,(New york ,Cambridge polity press)

(٢) مظلوم، غسان، مرجع سابق، ص١٠١.

(٣) لافروف، سيرغي (٢٠٠٧)، روسيا والشرق الأوسط: مصائر مشتركة، صحيفة الحياة، ٢٠٠٧/٤/٢٧، لندن.

كما يظهر أيضاً دور اللوبي النفطي الروسي الذي لا يستطيع تجاهـل أن دول الخليج ومنها العراق تضم احتياطياً كبيراً من النفط، وهو ما جعل شركات النفط الروسية ومعها المجمع الصناعي- العسكري الذي كان يطمع في استعادة السوق العراقية لبذل الجهود للـضغط علـى الكرملين لإفشال مخططا الولايات المتحدة الأمريكية للانفـراد بمنطقـة الخليج. .([١]) وبهـذا الخصوص يذكر أوستالسكي أحد الصحفيين الروس من بين أسباب دعم روسيا العـرق وجـود لوبي قوي مؤيد للعراق في روسيا، ويؤكد أن هذا "اللوبي العراقي" يشكله أشـخاص ذوو نفـوذ واسع كونوا ثرواتهم من العلاقات الوثيقة بين البلدين، ويسعى هؤلاء الآن لإعادة العلاقات إلـى عهدها السابق. ويذكر صحافي روسي آخر أن جهود الدبلوماسية الروسية التي قام بها أندريـه كوزيرييف وزير الخارجية الروسية الأسبق لدعم العراق تمت في جانب منها بسبب ضغوط ذلك اللوبي. ([٢])

أما التأثير اليهودي فهو يعد تأثيراً كبيراً نسبياً في روسيا، حيث يسيطر اليهود على مـا نسبته ٩٠% من وسائل الإعلام في روسيا، وتكفي الإشارة في هذا الصدد إلى أن المليـاردير اليهودي بيريزوفسكي يسيطر على القناة الأولى الرئيسية في التلفزيون الروسي، وعلى عدد كبير من دور النشر والدوريات الروسية. [٣].

وتعمل هذه المؤسسات الإعلامية على نشر صورة ذهنية سلبية عن الدول العربية، كمـا تحاول إجهاض أي اتفاقية عسكرية بين روسيا وبين إيران مثلاً بإفشاء أخبارها مبكراً وإظهارها على أنها فضيحة. [٤]وبالعكس تسعى لدعم العلاقات الروسية- الإسرائيلية، ولاسيما مع وجـود

(١)Morgenthau ,((١٩٩٦)Hans and Thowpson, Kennethw.politics among Nathion (New york, printer).

(٢) محمد ابراهيم عبد الرحمن، المرجع السابق.

(٣) الشيخ، نورهان ، مرجع سابق، ص٧٤.

(٤) يوسف، أيمن طلال (٢٠٠٨)، روسيا البوتينية بين الأوتوقراطية الداخلية والأولويات الجيوبوليتيكية الخارجية ٢٠٠٠ – ٢٠٠٨، الجامعة العربية الأمريكية، جنين.

حوالي مليون يهودي من أصول روسية وسوفيتية سابقة في إسرائيل إلى الحد الذي دفع بـوتين إلى اعتبار إسرائيل إحدى الدول المتحدثة بالروسية التي تستحق الاعتناء الحضاري(١).

يجب عدم المبالغة - على الرغم من ذلك- في أهمية الدور الذي تؤديه جماعات الضغط والرأي العام في روسيا، فالقوة التأثيرية لذلك تبرز بشكل واضح في وقت الانتخابـات، حيـث يزداد الاهتمام به من جانب صانع القرار وقد تتم الاستجابة لبعض ما يطالب به الشارع الروسي ولكن بشكل محدود في إطار الخطوط العامة للسياسة الداخلية والخارجية للدولة. فالرأي العـام قوة تأثيرية له دور محدود، وبخاصة في ظل رداءة مـستويات المعيـشة وتـدهور الأوضـاع الاقتصادية للمواطنين.(٢)

إن الشعب الروسي بمعاناته الطويلة في ظل الحكم القيصري ثم الشيوعي، وفـي ظـل ظروفه الاقتصادية المتدهورة لم يستطع بعد بلورة رأي عام مؤثر وقوي، وإن كان دوره آخـذاً في الزيادة التدريجية.(٣) أما من الناحية العملية فإن وسائل الإعـلام فـي روسـيا –ولاسـيما الصحافة- ما زالت تعاني الكثير من القيود. فأولاً، ونظراً إلى تدهور الأوضـاع الاقتـصادية، يعتمد كثير من الصحف والمجلات في روسيا على الدعم الحكومي، فيفقدها هذا دوراً كبيراً من استقلاليتها، كما أن آليات السوق امتدت إلى الصحافة، فتتم بيع أسهم الكثير من الصحف ومـن بينها صحف كبرى مثل االأزفستيا وكمسمولسكايا برافدا ينزافيـسميا جازيتـا لرجـال المـال الشركات الكبرى التي بدأ تتدخل في سياسة هذه الصحف وتوجهاتها السياسية (٤).

---

(١) كايل. شانون ن. وكريستنسنو هانس، المرجع السابق.

(٢)Kingeson Topgorn(١٩٩٠), History of International and Nationalizm socity comb side ,(New york ,Cambridge polity press

(٣)DunneAndrew(١٩٩٧), p.Dunne International theory to the Drink and Beyond (Westport ,conn Green wood press .

(٤) الشيخ، نورهان مرجع سابق، ص٧٨.

أما الكنيسة فإن الانقسامات الداخلية فيها، فضلاً عن كونها ضعيفة نسبياً مـن الناحيـة التنظيمية، أدت إلى أن تقلل من تأثيرها وفعاليتها على المستويين السياسي والشعبي"[(١)].

(١) عطوان، خضر عباس (٢٠٠٧). مستقبل سياسات القوى الأمريكية، قضايا سياسية، العدد ١١، بغداد.

الفصل الثاني

أهداف وعناصر القوة والضعف في السياسة الخارجية الروسية

تعتبر روسيا دولة تمر بالتطور نحو مؤسسة ديمقراطية ضعيفة تعاني من عدة نـواقص ولكنها تبقى دولة ذات طابع ديمقراطي ومن ثم فان سياستها الخارجية هـي نتـاج الـسياسات المحلية ضمن نظام تعددي، في الانظمة الديمقراطية لا تمتلك الدولـة اهـداف فـي الـسياسة الخارجية بل بالاحرى زعماء سياسيين افراد واحزاب ومجموعات تمثل مـصالح معينـة لهـا اهداف في مجال السياسة الخارجية، في ظل ظروف معينة فإن قوى مختلفة تتجاذب معا لـدعم هدف موحد في الشؤون الخارجية وفي اوقات اخرى فان تلك المجموعات يمكن ان تصل إلـى اراء ومواقف متعارضة حول اهداف السياسة الخارجية، ويمكن لهذه المجموعات المتعارضة ان تدعم ولاسباب مختلفة [١].نفس الاهداف في السياسة الخارجية، وروسيا اليوم لا تختلف عن هذا المنظور، فرغم ان الزعماء الروس يتشاركون في دعم أهداف عامة ومـشتركة فـي الـسياسة الخارجية فانهم يختلفون حول قضايا عديدة، كما يختلفون حول الوسائل التي ينبغـي تطويرهـا لتحقيق نفس الاهداف في السياسة الخارجية والتي هي فـي النهايـة نتـاج الجـدل الـسياسي والسياسات الانتخابية وتكتل المجموعات الرئيسة، ولان روسيا تعاني من تغييرات جذرية فـي الداخل فان السياسة الخارجية الناجمة عن السياسات المحلية يمكن ان تتغير بـسرعة، القـضية الاولى هي مركزية السياسات المحلية في توجيه وصنع السياسة الخارجية ومن ثم طرح السؤال : لماذا لا يمكن الاعتماد على الواقعية. [٢].

---

(١) مظلوم، غسان ، المرجع السابق، ص ٢٣٤.

(٢) Ekaterina Grigoreva, (٢٠٠٣). Putin Goes off to Strengthen Positions in the Muslim world, Izvestia, October ١٤.

وهي نظرية تفترض العمل الموحد لتفسير السياسة الخارجية الروسية في النظام الـدولي عبر العشرة اعوام الماضية ولماذا يقدم المستوى المحلي من التحليل السياسي منظـوراً افـضل لتفسير السياسة الخارجية الروسية، وهكذا يمكننا ان ان نرى وهو ما يشكل الفقرة الثانيـة بـأن هناك مجموعة صغيرة من قضايا السياسة الخارجية التي يتفق حولها غالبية الـروس، وينبغـي توضيح كيف ان مصائر وحظوظ مختلف المجموعات السياسية في روسـيا جلبـت تغييـرات مختلفة إلى السياسة الخارجية الروسية، نظرية الاتجاه الرئيسي في العلاقات الدوليـة لا تـساعد كثيرا في شرح السياسات المحلية او التنبؤ بسلوك دولة معينة، النظرية الواقعية تقول بانه يمكن تفسيرسلوك الدولة باعتبارها كيان عقلاني تحاول فيها عوامل موحدة ان تبقى على قيد الحياة في عالم تسوده الفوضى

ولتوفير الامن مثلما تحاول تحقيق اهداف المصلحة القومية فان الدولة ستتسلح بالـسلطة، وكما اوضح هانز مورغانتو فان السياسات الدولية مثل بقية انواع السياسات الاخرى هي اصلا صراع من اجل السلطة، فأياً كانت اهداف السياسة الدولية فان السلطة هـي الهـدف النهـائي والمباشر، ولكن الدولة تحصل على السلطة أما من خلال تحقيق التوازن الداخلي اي مـضاعفة امكانيات سلطتها في الداخل، أو من خلال التوازن الخارجي في بناء التحالفـات، .[1] الاشـكال والصيغ الاخرى غيرالمرتبطة مباشرة بامكانيات السلطة ليست جزءا مـن اطـار العمـل فـي تحليلات النظريات الواقعية، الايديولوجيات والسياسات المحلية والنشاطات الاقتصادية او حتـى المؤسسات الدولية تفهم اما كونهاانعكاسات للسلطة او مكونات لها [2].

---

(١) مظلوم، غسان، مرجع سابق، ص ٢٣٦.

(٢) مظلوم، غسان، المصدر نفسه، ص ٧٥.

(٣) Ekaterina Grigoreva, (٢٠٠٣). Putin Goes off to Strengthen Positions in the Muslim world, Izvestia, October ١٤.

المبحث الأول:

أهداف السياسة الخارجية الروسية واستراتيجياتها

أن روسيا دولة قوية اقتصادياً ودولياً، ومحافظتها على جزء مهم من ترسانتها النووية الاستراتيجية، أسهم في تعزيز دورها، وعودتها الى الساحة العالمية، من باب الدول الكبرى، التي تمتلك موارد وقدرات وامكانات تؤهلها لتكون لاعباً جيوستراتيجياً فاعلاً ومؤثراً في العلاقات الدولية ضمن المنظومة العالمية، الحالية، من دون الوصول الى حد المواجهة مع الولايات المتحدة أو أية قوة كبرى أخرى، إنما مع المحافظة على مصالحها في المدى الجيوسياسي الذي ترتبط فيه هذه المصالح، والدفاع عنها بالقوة إذا لزم الأمر في حال تعرضت للخطر، وهذا ما جعلها تعيد تقييم استراتيجيتها السياسية والعسكرية، لتتواءم مع عالم اليوم، حيث المنافسة، وصراع مصالح الدول الكبرى يهيمنان على العالم(٣)

وتسعى الإدارة السياسية الروسية الى الانفتاح على دول العالم المختلفة، ولا سيما دول الشرق، مع اتباع دبلوماسية جديدة تقوم على تعزيز دورها كوسيط مقبول من كل الأطراف في حل النزاعات والأزمات الدولية والإقليمية، وهذا ما سعت اليه روسيا في ملفات مثل العراق، إيران، سوريا ولبنان وفلسطين، وغيرها من الأزمات خلال السنوات الأخيرة. (٤).

تحاول روسيا أن تتعامل مع العالم العربي ككيان إقليمي وتختلف في ذلك مع دول كبرى أخرى ترفض مفهوم العالم العربي أو الوطن العربي وتسعى الى إذابته في كيان أكبر يراوح ما بين «الشرق الأوسط الكبير» أو «دول حوض المتوسط»، وغيرها من الطروحات والمشاريع للمنطقة استكمالاً لمحو هوية هذه المنطقة، وربطها بمنظومة الدول الغربية تحت عناوين مختلفة.

---

(٤) محمد السيد سليم ، المرجع السابق.

[1]ولعلّ أبرز ميزات السياسة الروسية في المنطقة هو تأكيدها المستمر على عدم التـدخل فـي الشؤون الداخلية لدولها، وهي أظهرت تحفظاتها على مشروع تشجيع الديمقراطيات وفرضها من الخارج وأيدت فكرة الاصلاح من داخل دول المنطقة وليس فـرض هـذا الاصـلاح فرضـاً، واستخدامه ذريعة للتدخل في شؤونها الداخلية.

ويمكن رصد حركة العلاقات الروسية العربية وحصرها في الاتجاهات الآتيـة: شـراكة اقتصادية وتقنية تجارية - تعاون في مجال الطاقة -جذب الرساميل العربيـة الـى روسـيا – مضاعفة الصادرات الروسية الى الدول العربية -التعاون التقني وتفعيل دور روسيا التنموي في دول المنطقة- زيادة صادرات السلاح وكسر احتكار دول الغرب له، ويمكن ملاحظة أن روسيا تحاول دائماً بناء مواقف متوازنة وعادلة من المشاكل الخلافية بين الدول العربيـة مـن ناحيـة وبينها وإسرائيل وفي ما خص القضية الفلسطينية من ناحية أخرى.[2].

أولويات السياسة الخارجية الروسية:([3])

ومن أهم الأولويات التي تسعى السياسة الخارجية إلى تحقيقها ما يلي:

- إتباع سياسة خارجية نشطة متوازنة تحقق لروسيا مكانتها ومـصالحها علـى المـستوى الإقليمي والدولي.
- دعم الآليات الرئيسية المتعلقة بالتوجيه متعدد الأطراف في العمليـات الدوليـة الـسياسية والاقتصادية، وخصوصاً التي تتم تحت رعاية مجلس الأمن.([1])

---

(١) Vladimir Putin, (٢٠٠٤). The Time of Uncertainty and Anxious Waiting is over, Speech by Vladimir Putin to Legislative Representatives, Izvestia, February ١٢.

(٢) محمود، أحمد إبراهيم (٢٠٠٨). الصناعات العسكرية الروسية. تدعيم الاقتصاد والمكانة الدولية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٧٠، المجلد ٤٢، تشرين الأول، القاهرة.

(٣) محمد ابراهيم عبد الرحمن، المرجع السابق.

- تهيئة الظروف المناسبة من أجل تنمية الدولة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، وحفظ الاستقرار العالمي والإقليمي.

- حماية الحقوق المشروعة ومصالح المواطنين الروس في الخارج، وذلك باتخاذ إجراءات سياسية واقتصادية وغيرها.([٢])

- تنمية العلاقات مع الدول الأعضاء في كومنولث الدول المستقلة وفقاً لمبادئ القانون الدولي، ودعم عمليات الوحدة في إطار كومنولث الدول المستقلة لصالح روسيا.

- ضمان الاندماج الفعال لروسيا في التنظيمات السياسية والاقتصادية الإقليمية والعالمية، ضمن المكانة الحقيقية لروسيا.

- المساهمة في تسوية النزاعات عن طريق مجهودات حفظ السلام التي تتم تحت رعاية الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية[٣].

- ضمان إحراز تقدم في مجال ضبط التسلح النووي وحفظ الاستقرار الاستراتيجي في العالم، على أساس تحقيق الدول التزاماتها الدولية كافة في هذا النطاق.

- تنفيذ الالتزامات المتبادلة في مجال خفض أسلحة الدمار الشامل والأسلحة التقليدية، واتخاذ إجراءات بناء الثقة والاستقرار، وضمان السيطرة الدولية على استيراد السلع والتكنولوجيا، وكذلك توفير الخدمات ذات الطبيعة العسكرية والثنائية (العسكرية والمدنية) ([٤]).

---

(١)DunneAndrew p.Dunne International theory to the Drink and Beyond (Westport ,conn Green wood press ١٩٩٧)

(٢) محمد السيد سعيد، مرجع سابق.

(١) Wikipedia, "Europe," the Rree Encyclopedia, ٤/١ ٢٠٠٧ http://en.wikipedia.org/wiki/Europ

(٤) سعيد، محمد السيد، مرجع سابق، ص ١٩

- السعي من أجل أن تكون الاتفاقيات المبرمة بشأن ضبط التسلح ملائمة للظروف الجديـدة في العلاقات الدولية، وإبرام - عند الحاجة - اتفاقات جديدة بشأن إجراءات بنـاء الثقـة والأمن.[١]

ملامح التوجهات في السياسة الخارجية الروسية بعد عام ٢٠٠١ فيما يلي:

١- **بناء القوة الذاتية الروسية**: ويقوم على النظر إلى تلك القوة وحدها على أنها المحدد لوضع روسيا في السياسة الدولية، بخلاف الافتراض التقليدي القائم على التوجه نحو الغرب.، وقد عبر الرئيس بوتين عن ذلك في خطابه أمام البرلمان الروسي في أيار عام ٢٠٠٥ بقوله إن روسـيا دولة تصون قيمها الخاصة وتحميها، وتلتزم بميراثها وطريقها الخاص للديمقراطية، وأضاف أنه "لن يتحدد وضعنا في العالم الحديث إلا بمقدار نجاحنا وقوتنا" ، وكما أن روسيا لن تتسامح مـع أي محاولة لتغيير الحكم بالصورة التي حدثت في جمهوريات سوفيتية أخرى (مثـل جورجيـا وأوكرانيا)، وفي خطابه في عام ٢٠٠٧، أكد الرئيس بوتين أن مهمة روسيا هـي أن تتـصدر ترتيب دول العالم في مجال التكنولوجيا المعلوماتية بحلـول عـام ٢٠١٥، ورفـضت روسـيا التعليقات الأمريكية على التطور الديمقراطي في روسيا، وجاء ذلك بمناسبة إشارة نائب الرئيس الأمريكي السابق "دك تشيني" إلى تراجع الديمقراطية في روسيا أثناء زيارته إلى ليتوانيا في أيار / ٢٠٠٦. فقد رد الرئيس بوتين بقوله "إن الولايات المتحدة مثل الرفيق الذئب يأكل ولا يـسمح لأحد أن يأكل معه، وليس لديه نية للاستماع إلى أحد، كيف يختفي كل الكلام المبالغ فيـه عـن الدفاع عن حقوق الإنسان والديمقراطية حين يتعلق الأمر بالدفاع عن مصالحه الخاصة". [٢]

٢- **معارضة الهيمنة الأمريكية الأحادية:** انتقد الرئيس بـوتين الـسياسة الأمريكيـة الأحاديـة والإنفرادية، وطالب بإنشاء نظام عالمي متعدد الأقطاب، وبتعزيز دور القانون الـدولي ، وفـي

---

(٣) سعيد، محمد السيد، المصدر نفسه، ص١٨.

(٢)نافعة، حسن، وعبد الفتاح مرجع سابق، ص٢٢.

خطابه أمام (مؤتمر ميونخ) للسياسات الأمنية في شباط/ ٢٠٠٧، إنتقد "الهيمنـة الإحتكاريـة" الأمريكية على السياسة الدولية وميل الولايات المتحدة إلى الإستعمال المفرط للقوة العـسكرية، وأضاف أنه في ظل تلك الظروف، لن يشعر أحد بالأمن، مما يغذي من سباق التـسلح، وقـدم الرئيس بوتين مبادرات لحظر نشر أسلحة الدمار الشامل في الفضاء الخارجي، وإنشاء مراكـز دولية لتخصيب اليورانيوم، وفي مناسبة الانتصار الـسوفيتي فـي "سـتالينجراد" فـي ٢١ آب ١٩٤٢على النازية، أشار الرئيس بوتين إلى أن الأخطار التي شكلتها النازية لم تختفِ، وإنمـا اتخذت أشكالاً جديدة، "فأفكار الرايخ الثالث التي تتسم باحتقار البشر، والسعي للهيمنة على العالم ما زالت قائمة"، مما كان يعد إشارة إلى أن الخطر الأمريكي يعادل الخطر النازي، وفي خطابه امام البرلمان الروسي في أيار/٢٠٠٦، أشار إلى أن ميزانية التسلح الأمريكية تفـوق ميزانيـة التسلح الروسية بخمسة وعشرين مثلاً، وبالتالي فإن على روسيا أن تبني حصنها، وأشار إلى أن سباق التسلح وصل إلى مستوى تكنولوجي جديد.[1]

٣- **الموقف من الدرع الـصاروخي:** عارض الرئيس بوتين إنشاء الولايـات المتحـدة للـدرع الصاروخية والمحطة الرادارية في بولندا وجمهورية التشيك، إذ إعتبر أن الدرع والمحطة ليستا موجهتين ضد إيران، وإنما ضد روسيا ذاتها، ورداً على المشروع الأمريكي أعلن في خطابـه السنوي أمام الجمعية الروسية في ٢٦ نيسان عام ٢٠٠٧ عزم روسيا تجميـد عـضويتها فـي معاهدة الأسلحة التقليدية في أوروبا عام١٩٩٩ (وكان يلتسين قد فعل ذلك بالنسبة لإتفاقية ١٩٩٠ وتراجع عنها)، حتى تقوم دول حلف شمال الأطلسي بالتصديق عليها وتطبيقها، مشيراً إلـى أن روسيا تفعل ذلك من طرف واحد، كما أن الدول الجديدة في حلف شمال الأطلـسي لـم توقـع الإتفاقية (معاهدة الأسلحة التقليدية في أوروبا)، مما يهدد الأمن القومي الروسي، وفي ١٣ تموز

---

[1] مايكل تانزر وآخرون ، (١٩٨١)، من الاقتصاد القومي إلى الاقتصاد الكوني:**دور الشركات المتعددة الجنسيات ،** ترجمة :عفيف الرزاز،(بيروت :مرسسة الابحاث العربية) .

/٢٠٠٧، وقع الرئيس بوتين قانوناً ينص على أن ظروفاً استثنائية تحتم تجميد تطبيق الإتفاقية . ([1])

إن دول حلف شمال الأطلسي لم تصدق على الإتفاقية، واشترطت أن تسحب روسـيا قواتهـا الموجودة في أبخازيا (جورجيا)، ومولدوفيا للتصديق على المعاهدة وفي الوقت الـراهن، تعـد الدرع الصاروخية الأمريكية، وإتفاقية القوات التقليدية في أوروبا أهم معضلتين فـي علاقـات روسيا بحاف شمال الأطلسي، وفي تطور مفاجئ، اقترح الرئيس بوتين في ٧ حزيران /٢٠٠٧ على الولايات المتحدة المشاركة في إستعمال الرادار الروسي الموجود في أذربيجان منذ العهـد السوفيتي، مما يعني أن الولايات المتحدة لن تكون بحاجة إلى بناء صواريخ أخرى في المشروع والهدف الأمريكي هو رصد وإعتراض الصواريخ الإيرانية، فإن ذلك سيتم بشكل مشترك مـن أذربيجان، أما إذا كانت روسيا ذاتها مستهدفة، فإن الولايات المتحدة سترفض الإقتراح. وقـد رد الرئيس بوش الابن على الإقتراح الروسي بما يشبه الرفض، حينما قال إنـه إقتـراح "واقعـي ومبتكر وإستراتيجي، ولكن بولندا وجمهورية التشيك همـا جـزء لا يتجـزأ مـن المنظومـة الصاروخية .([2])

٤- **التنافس على مصادر الطاقة:** في تموز/ ٢٠٠٧، دخلت روسيا في منافسة مع الولايات المتحدة لتأكيد حقوق السيادة على الموارد النفطية في أقصى شمالي المحـيط المتجمـد الشمالي ، أرسلت الولايات المتحدة بعثة علمية إلى تلك المنطقة لبحث ما سمته "الفوهات المائية الحرارية" في المنطقة، وشككت روسيا في هذا الهدف وأرسلت بعثة أكبـر إلـى المنطقة بدعوى تعيين حدود الجرف القاري الروسي وإثبات أنـه يتـصل بالأراضـي

([1]) طه، ممدوح (٢٠٠٧). **تحت ظلال الحرية الدينية الجديدة في روسيا**، المسلمون قادمون، آراء حول الخليج، العدد ٢٨، شباط، البحرين.

([2]) محمود، أحمد إبراهيم (٢٠٠٨). **الصناعات العسكرية الروسية.** تدعيم الاقتصاد والمكانة الدولية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٧٠، المجلد ٤٢، تشرين الأول، القاهرة.

الروسية، وقامت البعثة الروسية بوضع العلم الروسي في أماكن متعددة من المنطقة لإثبات سيادة روسيا عليها، وهو ما أدى إلى احتجاج أمريكي، وإذا ما تبين وجود حقول نفط وغاز طبيعي في تلك المنطقة، فإنه من المؤكد أن يؤدي إلى تصعيد في التوتر بين روسيا والولايات المتحدة.

قامت روسيا الاتحادية بجهود مهمة ومنها (إستخدام الطاقة كأداة ضغط على بعض دول آسيا الوسطى وتقديم المساعدات المالية والعسكرية) بهدف الحد من النفوذ الأمريكي في آسيا الوسطى، وطالبت الولايات المتحدة بسحب قواعدها العسكرية في أوزبكستان وقيرغيزستان في عام ٢٠٠٧، وبالفعل نجحت من خلال علاقاتها الجديدة مع أوزبكستان في إنهاء الوجود العسكري الأمريكي في تلك الدولة ومن ثم في قيرغيزستان.

٥- **تدعيم العلاقات مع الصين:** عملت روسيا على بناء شراكة إستراتيجية مؤسسية مع الصين في إطار منظمة شنغهاي للتعاون، والتي تضم دول آسيا الوسطى، عدا تركمانستان، وشمل ذلك شراكة نفطية لمد خطوط نقل النفط الروسي مع سيبيريا إلى الصين، مع السعي إلى إعطاء المنظمة بعداً عسكرياً، ففي آب /٢٠٠٧، أعلن الجنرال "بالويفسكي"، رئيس الأركان الروسي ضرورة إستكمال التعاون الإقتصادي بين الدول الأعضاء في منظمة شنغهاي للتعاون بتنسيق عسكري يشمل بلورة عقيدة عسكرية مشتركة، وهو الأمر الذي تتحفظ عليه الصين. [1]

٦- **تدعيم العلاقات مع دول الكومنولث:** تعمل روسيا على تقوية علاقاتها مع دول الكومنولث (رابطة الدول المستقلة) (روسيا الإتحادية، أذربيجان، أرمينيا، ألبانيا، أوزباكستان، أوكرانيا، بلغاريا، البوسنة والهرسك، بيلاروسيا، تركيا، تركمانستان، الجبل الأسود، جمهورية قيرغيزستان، جمهورية مقدونيا اليوغسلافية السابقة، جورجيا، رومانيا، صربيا، طاجيكستان

([1]) طه ، مرجع سابق .

كرواتيا، لاتفيا، ليتوانيا، مولدوفيا) من خلال عدة أساليب، بما فيها دبلوماسية تقوم على استخدام القوة خاصة لدى الدول ذات التوجه الأمريكي في سياستها الخارجية، وعلى الأخص جورجيا[١].

فقد نجحت روسيا في إعادة دول آسيا الوسطى إلى منطقة النفوذ الروسي من خـلال دعـم نظمها ضد الحركات السياسية الإسلامية المحلية المعارضة، وضغطت على جورجيا تحت حكم الرئيس ميخائيل ساكاشفيلي ذي التوجه الأمريكي، من خلال دعم الحركة الإنفصالية في أبخازيا في الفترة ٢٠٠٣-٢٠٠٧، وطرد الجورجيين المقيمين في روسيا، ووقف الواردات من جورجيا، والأقلال من مد جورجيا بالنفط والغاز الطبيعي، هذا بالإضافة إلى مشاريع التكامل مـع بعـض دول الكومنولث مثل بيلاروسيا، ومن ناحية أخرى، قامت روسيا بتقويـة علاقاتهـا المؤسـسية الأمنية والإقتصادية بدول الكومنولث، ففي ٧ تموز/ ٢٠٠٣، أنشئت منظمـة معاهـدة الأمـن الجماعي بموجب "ميثاق كيشناو"، وتـضم (روسـيا، ومولـدوفيا، وأوزبكـستان، وأرمينيـا، وكازاخستان، وقيرغيزستان، وطاجيكستان، وأذربيجان)، في حين أنـه تـم إنـشاء الجماعـة الإقتصادية الأوراسية في ١٠ تشرين الأول/٢٠٠٠، وتضم (روسيا، وبيلاروسيا، وكازاخستان، وطاجيكستان، وأوزبكستان، وقيرغيزستان)، ولكل من المنظمة والجماعـة أمانـة عامـة فـي موسكو، بيد أن تجارة روسيا مع دول الكومنولث تتراجع بأطراد ووصلت إلى نحو (٢٠%) فقط من التجارة الخارجية الروسية، مقابل ٥٢% مع الدول الغربية .[٢]

٧- **سعي روسيا إلى زيادة نفوذها في منطقة الشرق الأوسـط للحفـاظ وحمايـة مـصالحها الوطنية والقومية:** سعت روسيا إلى الاضطلاع بدور أقوى في منطقة الشرق الأوسط، وتحول الرئيس بوتين من سياسة الحياد السلبي إزاء قضايا المنطقة إلـى سياسـة المبـادرات ومنهـا

---

(١) محمود ، مرجع سابق .

(٢)مظلوم، غسان (٢٠٠١). **الحروب الاقتصادية**، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٤٥، حزيران، القاهرة.

المبادرات التي طرحتها لحل النزاع العربي الإسرائيلي، ومبادرات لحل المشكلات بين العـراق والأمم المتحدة، وتمثل ذلك في زيارة الرئيس بوتين للشرق الأوسط فـي شـباط/٢٠٠٧، زار خلالها (السعودية، وقطر، والأردن)، وأعلن من خلالها أن غزو العراق هو "نموذج للتصرفات الأمريكية الفردية التي تزيد الأمور سوءاً، ودعا إلى عقد مؤتمر أقليمي موسع للشرق الأوسـط في إشارة إلى اشتراك سوريا وإيران في حل مشكلات المنطقة.

إن روسيا أجرت تلك التحولات دون التدخل في صدامات حادة مـع الولايـات المتحـدة والإتحاد الأوروبي، وأشار الرئيس بوتين إلى سعيه إلى تحقيق سياسه جديدة من خلال الحـوار القائم على المساواة بين كل الأطراف والمصالح، كما أنه حين اقتراحه المشاركة مع الولايـات المتحدة في القاعدة الرادارية في أذربيجان، اقترح مشاركة أوروبا أيضاً، واستمرت روسيا فـي المشاركة في أعمال قمة الدول الصناعية الثماني، ورأسـت المجموعـة عـام٢٠٠٦ ونـسقت أعمالها، وإستطاعت روسيا إنشاء مشاركة في مجال النفط والغاز الطبيعـي مـع دول الإتحـاد الأوروبي، وذلك من خلال مد أنابيب نقل السلعتين إلى دول الإتحاد، بالإضافة إلى خط مـستقل مع ألمانيا، إتفق الطرفان على حق روسيا في شراء الشركات الأوروبية العاملة في ميدان توزيع النفط والغاز الطبيعي، مقابل حق مماثل للإتحاد الأوروبي في الشركات الروسية العاملـة فـي ميدان إنتاج النفط.([1])

ولم تستعمل روسيا حق النقض " الفيتو في مجلس الأمـن ضـد مـشروعات القـرارات الأمريكية المدعومة أوروبياً إلا في حالة ثانوية واحدة، هي حالة مـشروع القـرار الأمريكـي الخاص بحقوق الإنسان في ميانمار ١٥ آذار ٢٠٠٦، بينما اكتفت بالإمتناع عن التصويت عـن مشروع القرار الخاص بتشكيل محكمة دولية جنائية لمحاكمة قتلة رئيس الوزراء اللبناني الأسبق

([1]) مبيضين، مخلد، (٢٠٠٧)، **الموقف الأمريكي تجاه البرنامج النووي الإيراني**، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، عمان.

رفيق الحريري، رغم إنتقادها للمشروع، وقس على ذلك كل المشروعات الأخـرى المدعومـة أمريكياً، فأصدرت روسيا والولايات المتحدة في ٣ تموز/٢٠٠٧ إعلاناً ينص على التعاون فـي مجال الإستخدام السلمي للطاقة النووية بينهما ومع الدول النامية.

إستراتيجيات السياسة الخارجية الروسية:.

في ظل التصعيد الذي شهدته الأزمة منذ قدوم الإدارة الأمريكية الحالية بقيادة (أوباما) إلى الحكم في واشنطن، والمقاربة الجديدة التي اعتمدها الرئيس الأمريكي في التعامل مـع إيـران، وقوامها الاستعداد للدخول في حوار غير مشروط مع القادة في إيران في تسوية هـذه الأزمـة، سادت آمال كبيرة وتوقعات بقرب انتهاء الأزمة أو على الأقل وقوفها عند مستوى معقول مـن التهدئة يتيح لأطرافها التفكير بهدوء في كيفية الخروج منها، وتسويتها بالشكل الذي يحقق أكبـر قدر ممكن من أهداف أطرافها الرئيسين، إلاّ أنه على الرغم من ذلك، فقد شهدت الأزمة خـلال الفترة الأخيرة تصعيداً خطيراً، وذلك على خلفية الكشف عن وجود منشأة إيرانية ثانية لتخصيب اليورانيوم في (قم) خلال ٢٠٠٩م، الأمر الذي اعتبره الرئيس الأمريكي (انتهاكاً خطيراً لقواعـد عدم الانتشار النووي)؛ هذا فضلاً عن إعلان إيران اعتزامها بناء عشر محطات نووية جديـدة تعتبرها ضرورية لمواجهة مشكلة الطاقة لديها.وإن كان الرئيس الأمريكي بـاراك أوبامـا قـد أعطى فرصة أخرى للحوار، وأبدى استعداده للمفاوضات مع إيران بشرط أن تبدي اسـتعدادها لإثبات الطابع السلمي لبرنامجها النووي، وتتجه الأوضاع حالياً نحو فرض عقوبات جديدة على طهران. (١)

(١)DunneAndrew(١٩٩٧), p.Dunne International theory to the Drink and Beyond (Westport ,conn Green wood press)

إن مستقبل السياسة الروسية تجاه الأزمة النووية الإيرانية هو أمر تحيط به الكثير من الصعوبات نظراً للتعقيدات المحيطة بالأزمة ذاتها والتفاعلات الدائرة بين أطرافها الرئيسين، ومع ذلك، ان هناك مؤشرات بأن السياسة الروسية تجاه الأزمة تشهد تغيراً ملحوظاً لجهة التشدد مع إيران في ظل وجود الرئيس الروسي ميدفيديف إن السياسة الروسية تجاه الأزمة النووية الإيرانية ستظل داعمة للموقف الإيراني من الأزمة كما كانت في ظل الرئيس السابق بوتين

ويمكن بلورة هذه المؤشرات من خلال السيناريوهين التاليين، ثم ترجيح أيهما أكثر احتمالاً:[١]

السيناريو الأول: **تبنّي سياسة روسية متشددة تجاه إيران بشأن الأزمة النووية.**

يستند المدافعون عن هذا السيناريو إلى مؤشر مهم في الدفاع عن وجهة النظر التي يتبنونها وهو تغير القائد السياسي، وبصفة عامة، يعتبر التغير في القائد السياسي أحد مصادر التغير في السياسة الخارجية للدولة، والنظام السياسي في روسيا معروف أنه نظام رئاسي قوي يسيطر فيه رئيس الدولة على مجمل التفاعلات الخاصة بقضايا السياسة الخارجية، وهو ما يعني أن تغير الرئيس قد يعني حدوث تغير في السياسة الخارجية، خصوصاً إذا كان هناك قدر كبير وملحوظ في الاختلاف بين الرئيس الجديد والرئيس الذي سبقه:

يعول الغرب علي الرئيس (ميدفيديف) في إحداث تحول ملحوظ في الموقف الروسي من الأزمة النووية الإيرانية بما يتوافق وتوجهات الإدارة الأمريكية الحالية، وأن يتمكن الرئيس الروسي تدريجياً من فرض سلطته الخاصة في الكرملين، بل ويدفعونه لتحقيق ذلك، وبخاصة من جانب واشنطن، وهذا لأنهم يرون فيه انفتاحاً ومرونة في التعامل مع الغرب بخلاف سابقة

---

(٢) العتوم، محمد انور، (١٩٩٨)، سياسة الإتحاد السوفيتي تجاه عملية السلام في الشرق الاوسط. رسالة ماجستير غير منشورة , الجامعة الاردنية، عمان.

(بوتين). وخلال زيارته لموسكو في يوليو ٢٠٠٩م، عزز الرئيس الأمريكي أوباما هذا التصور، حيث قضى ثماني ساعات مع الرئيس الروسي (ميدفيديف) مقابل (٩٠) دقيقة خصصها للرئيس السابق (بوتين) الذي يحسب غربياً على فترة ومخلفات الحرب الباردة.

صدر عن الرئيس (ميدفيديف) بعض الإشارت التي تشير إلى أنه يريد أن يطور علاقاته مع الغرب ويتجنّب القيام بأي شيء لدحض التصور الغربي تجاهه، بأنه محسوب على جنـاح الإصلاحيين، وتبين هذا بشكل واضح قبيل زيارته الأخيرة إلى (نيويورك) و (بيتـسبرغ) فـي ٢٠٠٩م

أن السياسة الروسية تجاه الأزمة النووية الإيرانية في ظل حكم الرئيس (ميدفيديف) بدأت في الظهور إذ رأى (ميدفيديف) أن العقوبات ضرورية أحياناً، وهو ما اعتُبر غربياً تحولاً غيـر متوقع، خصوصاً وأن تصريحاته جاءت متزامنة مع المعلومات التي كشف عنها فـي ٢٠٠٩م، بشأن بناء إيران لمصنع جديد لتخصيب اليورانيوم، وهو ما رأت فيـه إدارة (أوبامـا) غنيمـة ومكسباً، يستحق الاهتمام والتشجيع وربما المراهنة عليهفي السياق ذاته، يرى المدافعون عن هذا السيناريو أن الرئيس الأمريكي (أوباما) حصل على أقوى دعم من روسـيا حتـى الآن بـشأن الأزمة النووية الإيرانية عندما حذّر طهران بأن «الوقت آخذ في النفاد». [1]

السيناريو الثاني: استمرار السياسة الروسية (البوتينية) تجاه الأزمة النووية الإيرانية.

أن روسيا لن تحدث تغييراً استراتيجياً على سياستها تجاه الأزمة النووية الإيرانية، حتى مع وجود الرئيس الروسي الحالي، الذي يعتبره الغرب (نسخة روسية من أوباما). ويستند المدافعون عن هذا السيناريو أيضاً إلى عدد من المؤشرات في دعم وجهة النظر التي يتبنونها، منهـا مـا يشير البعض إليه بشأن وجود بعض مراكز صنع القرار في موسكو، وبخاصة المقربة من بوتين

(١) محمد السيد سعيد، المرجع السابق.

أو الخاضعة لنفوذه وتأثيره، لا يبدو أنها موافقة على أن اندفاع ميدفيديف إزاء إيران بحاجة إلى أن يوضع في نصابه. [١].

موقف الرئيس الروسي (ميدفيديف) المتشدد وفق أنصار السيناريو الأول تجـاه إيـران يعبر بصدق عن تحولات مافي سياسة موسكو تجاه الأزمة النووية الإيرانية، مما قد يكون لهـا انعكاسات على مجمل التفاهم الروسي الإيراني، أو أنها من قبيل التصريحات التي تعبـر عـن تغيرات تكتيكية في الموقف الروسي تقتضيها ظروف معينة، ولا تعبر عن تحول استراتيجي في الموقف الروسي ينعكس على السلوك الفعلي تجاه الأزمة. [٢].

ان أنصار السيناريو الأول يستندون إلى تلميحات لوزير الخارجية الروسي بشأن عـدم معارضة روسيا فرض عقوبات على إيران على خلفية الأنشطة النووية السرية التي تم الكشف عنها مؤخراً، كما سبقت الإشارة، فإن أنصار هذا الاتجاه يستندون إلى تصريحات مباشرة لوزير الخارجية الروسي نفسه لخص فيها الموقف الروسي من التطورات الأخيرة التي شهدتها الأزمة النووية الإيرانية، وأكّد على أن السياسة الخارجية الروسية تلتزم في هذه المرحلة بمسارين:

المسار الأول: لالتزم بالسعي لحل جميع المسائل المرتبطة بالملف النـووي الإيرانـي، لتتمكن إيران من استخدام حقوقها كاملة بوصفها عضواً غير نووي في معاهـدة منـع انتـشار الأسلحة النووية، واستخدام جميع الإمكانات المرتبطة بالاستخدام السلمي للطاقة النووية مع عدم خرق نظام عدم الانتشار في الوقت ذاته، واعتبر الوزير الروسي أن ذلك يشكّل القاعدة الثابتـة التي تعتمدها روسيا في المفاوضات مع إيران، لتسوية جميع المسائل العالقة. [٣]

---

(٢) جميل، مطر، مجلة مستقبل النظام العربي، العدد (١٥٨). ص ١٦-١٧.

(٣) سعيد، عبد المنعم، مرجع سابق، ص ١٥.

(١) مطر، جميل، مرجع سابق، ص ١٧.

المسار الثاني :عدم تأييد فرض عقوبات ضد إيران، حيث شكك وزير الخارجية الروسي في جدوى التهديدات أو فرض عقوبات على إيران، وأكّد على أن المسار الثاني يتمثل في الدعوة لتقديم المساعدة للوكالة الدولية للطاقة الذرية عبر مجلس الأمن الدولي، لاستيضاح جميع المسائل دون استثناء لدى الوكالة إزاء إيران. (١)

ولا ريب أن هذه المواقف هي التي دعمت مواقف روسيا في استعادة دورها في جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية "أذربيجان وكازاخستان وقيرغيزيا وطاجيكستان وأوزبكستان وتركمانستان"، وفيما تحدث هذه التطورات يبحث الأمريكيون ومعهم الأوروبيون عن أساليب "لتحسين صورتهم لدى المسلمين".(٢)

ثانياً: الإستراتيجية التوفيقية:

أصبح واضحاً أن السياسة الإستراتيجية الروسية قد برهنت على ضعفها في التعامل مع القضايا الدولية، وذلك بمعرفتها العميقة الشاملة لمبادئ ومفاهيم الشعوب تجاه قضاياها ذات الأهمية الكبرى (القضايا الإستراتيجية أو المصالح العليا).(٣) ولا ريب أن هذه المعرفة تحتاج إلى معلومات دقيقة وصحيحة ومستمرة عن كل القضايا العالمية. فهل يمكن الافتراض بأن شبكات الاستخبارات الروسية العالمية (الموروثة من عصر (كي. جي. بي) والمطورة في عهد بوتين) ذات قدرة متفوقة على شبكات الاستخبارات الأمريكية والغربية (الأوروبية)؟ (٤)

يظهر أن القضية الحاسمة ليست في حشد سيول المعلومات: وإنما في معرفة قراءة المعلومات بصورة واقعية؛ فالسياسات الأمريكية -والغربية الأوروبية؛ تقرأ كل المعلومات-

---

(٢) غنام، إنجي، (٢٠٠١)، المحكمة الجنائية، مجلة السياسة الدولية، العدد (١٤٤)، ص ١٧٨.

(٢) ميخائيل جورباتشوف، مرجع سابق.

(٣) السيد ساسين، مرجع سابق.

(٥) Trenin Demitrii (٢٠٠٧), Russia Redefines Itself and Its Relations with the West, Whashington Quarterly, Vol.٣٠, No٢.

وخاصة فيما يتعلق بالقضايا العربية والإسلامية، من أفكار ومبادئ العصر الاستعماري، ومن المخططات المعاصرة (إسرائيل والمصالح المتجددة).

وعلى سبيل المثال فقد أصبح من المعروف عربياً وإسلامياً وعالمياً أنه في عصر الانهيار العربي، والهجوم العالمي، أصبحت الشرعية الدولية هي المنبر الخطابي الذي تحاول فيه القيادات العربية التعبير عن مواقفها ومتطلباتها. ولكن الولايات المتحدة والدول الغربية قد أخذت على عاتقها إحباط أي مشروع قرار عربي يتضمن ولو هامشاً ضيقاً من (الحق والعدل والكرامة الإنسانية). وفي يوم ١٤ نيسان لعام ٢٠٠٦م تقدمت الدول العربية بمشروع قرار إلى مجلس الأمن يتضمن طلب ممارسة ضغط على إسرائيل لوقف ضرباتها العسكرية على المدن والقرى الفلسطينية وحماية الشعب الفلسطيني. ولكن المندوب الأمريكي (جون بولتون) عمل على مدى ثلاثة أيام لإدخال تعديل بعد تعديل حتى لم يبق من المشروع ما يستحق البحث، وكانت الذريعة الأمريكية (الجاهزة دائماً) قد لخصت الموقف الأمريكي بالكلمات التالية: "إن المشروع ينتقد إسرائيل بشكل غير متناسب وغير منصف وغير ضروري"[(١)].

وهكذا سقط المشروع. ولم يبق أمام الشعب العربي الفلسطيني إلا التفرغ الكامل لترميم منازله المهدمة وتشييع ضحاياه، ونقل جرحاه إلى المستشفيات. فهل هناك حاجة للاستخبارات الروسية - ومعها الصينية - لمعرفة المواقف العربية والإسلامية؛ لاصطياد الأخطاء الأمريكية الإسرائيلية؟[(٢)].

في ذلك اليوم ذاته (١٤ نيسان ٢٠٠٦) كانت هناك أكثر من (٦٠٠) شخصية قيادية -عربية وإسلامية وعالمية تلتقي في طهران- وهي تمثل سبعين بلداً لمناقشة تطورات القضية الفلسطينية

(١) أحمد، ذياب (٢٠٠٧). روسيا واللعبة الكبرى في اسيا، مجلة السياسة الدولية، عدد (١٦٧) يناير، ص ٦٧.
(٢) العريدي، خيري (٢٠٠٩)، العلاقات العربية الروسية تاريخ وحاضر ومستقبل، مركز الجزيرة للدراسات، قطر.

(تحت شعار القضية الفلسطينية مفتاح خلاص الأمة الإسلامية). ولقـد اكتـسبت الاسـتراتيجية التوفيقية الروسية مكانتها العالمية عبر دور روسيا في التنظيمات ذات الصفة الدولية (عـضوية مجلس الأمن- عضوية اللجنة الرباعية لمعالجة القضية الفلسطينية، عضوية اللجنـة الـسداسية لمعالجة الأزمة الكورية، وعضوية اللجنة للدول الصناعية مجموعة الدول الثمانية، الخ...).[١]

ومن المفيد التوقف هنا عند الدور الروسي الجديد في (لجنة الثمانية) حيث ترأست روسيا أولَ مرة هذه اللجنة التي عقدت اجتماعها في (سانت بيترسـبورغ) فـي شـهر تمـوز لعـام ٢٠٠٦م[٢].

وتمهيداً لهذا الحدث، كتب الرئيس الروسي (فلاديمير بوتين) بحثاً في الأول من آذار لعام ٢٠٠٦م كان من أهم معطياته ما يلي: "عرفت روسيا على الدوام بمواقفها المستقلة والمتوازنـة من مختلف القضايا الدولية، وخصوصاً ما يتعلق بقضايا الشرق الأوسط وأولها قضية الـصراع العربي الإسرائيلي، ومحاولات أمريكا نشر الديمقراطية في المنطقة، أو ما يعـرف (بمـشروع الشرق الأوسط الكبير) إضافة إلى المسألة العراقية والملف السوري اللبنـاني؛ حيـث سـتتمكن روسيا من تربعها على عرش الدول الثمانية الكبار، من ممارسة دورٍ لتفعيل هذه القـضايا فـي الاتجاه الذي يخدم مصالح دول المنطقة المعنية[٣].

"ولم يتشكل التفاؤل بنجاح هذا الدور من فراغ إنما يستند إلى مواقف روسيا الفعلية ذاتهـا من القضايا التي سبقت الإشارة إليها، فروسيا بحكم علاقاتها الجديـدة مـع الطـرفين العربـي والإسرائيلي، وكونها من جهة أخرى عضواً في اللجنة الرباعية الدولية، مارست دوراً توفيقيـاً عادلاً. وضمن هذا الإطار يمكن تصنيف موقف موسكو بالمتوازن من خيار الشعب الفلـسطيني

---

(٣) محمد ابراهيم عبد الرحمن، المرجع السابق.

(٤) Alexei Malashenko, (٢٠٠١). Muslim Demographics of the North Caucasus Moscow: Gandalf, ٧.

(٥) علو، احمد، (٢٠٠٧). السياسة الخارجية الروسية في علاقاتها الدولية، مجلة الجيش، العدد ٢٦٣، مايو، ص٤٠.

وفوز حركة حماس في الانتخابات التشريعية واستقبالها لقيادة الحركة فيما بعد -وسط دهشة بعض دول الثماني، واعتراض الولايات المتحدة الخ..." [(١)].

وبعد ذلك جاء عقد (قمة روسيا والاتحاد الأوروبي) في سوتشي المنتجع الصيفي على بحر قزوين يوم ٢٥ أيار لعام٢٠٠٦م، وتضمن برنامج القمة: " مناقشة المسائل المتعلقة بتعزيز الاستقرار والأمن الدوليين وتسوية النزاعات في البلقان والشرق الأوسط". وصرح الرئيس (بوتين) أمام المؤتمرين- في الجلسة الافتتاحية، وكان مما قاله: "أستطيع التأكيد مرة أخرى على

أهمية الحوار السياسي الخارجي بين روسيا والاتحاد الأوروبي، وترى روسيا في الاتحاد الأوروبي أحد شركائها الرئيسيين، وأعيد التذكير هنا بأن الجانبين قد انطلقا منذ العام الماضي بإنشاء مجالات للتعاون المشترك. [(٢)]

وهذه المجالات أربعة هي: المجال الاقتصادي، ومجال الأمن الداخلي، والقضاء، والأمن الخارجي، علاوة على العلوم والثقافة".وتصادف عقد القمة الروسية - الأوروبية مع (يوم أفريقيا) فأرسل الرئيس الروسي بهذه المناسبة رسالة تهنئة إلى رؤساء الدول والحكومات الإفريقية، ووعد بدعم الدول الإفريقية في قمة الدول الصناعية الثمانية، وأكد على موعد استضافة موسكو لجلسة (منتدى الشراكة مع أفريقيا) في تشرين الأول لعام ٢٠٠٦م، وما هو متوقع من أجل تقديم دعم شامل للدول الإفريقية. وتشكل هذه التحركات بمجموعها صورة واضحة للدور الروسي التوفيقي بين الدول الكبرى والدول الصغرى. فهل ستتمكن روسيا من تطوير هذا الدور الناجح حتى الآن، أم أن هذا الدور سيبقى تكميلياً لخدمة (النظام العالمي الجديد). [(٣)]

---

(١) ناصيف حتي ، المرجع السابق.

(٢) ناصيف حتي، المصدر نفسه.

(٣) سعيد، عبد المنعم، مرجع سابق، ص ١٥.

لقد كانت سياسة روسيا العالمية هي (السياسة العسكرية). وكانت ظاهرة صناعة الأسلحة -بكل أنواعها- وتجارتها هي أداة تنفيذ تلك السياسة، وربما كان نجاح روسيا الكبير في هذا المضمار هو الحافز الأول الذي دفعها للاستمرار في هذه السياسة وتطويرها، وكان الدمج بين (السياسة والعسكرية) في التعامل مع الأزمات. وعلى سبيل المثال، ففي ذروة الموقف المتوتر بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي من جهة وبين إيران من جهة أخرى - أعلنت موسكو (يوم ٢٦ أيار لعام ٢٠٠٦م) بأن روسيا ملتزمة بتنفيذ عقود التسلح مع إيران.[١]. وسيتم تبعاً لذلك تسليم إيران منظومة أسلحة صاروخية مضادة للطائرات، وأن هذه الصفقة لن تؤثر في موازين القوى العسكرية في المنطقة. [٢]

وكانت موسكو قبل ذلك قد تابعت تجارب مجموعة الأسلحة الصاروخية التي أطلقتها إيران في مناوراتها السنوية (البحرية والبرية والجوية) ومنها صاروخ (فجر - ٣) بحر - بحر تم إطلاقه يوم ٢-٤-٢٠٠٦. وتم وصفه بأنه من أفضل الصواريخ دقة- وهو من عيار ٢٤٠ ملم ومداه ٤٠كم، وأنه يشكل تهديداً قوياً للقطع البحرية (والغواصات) في منطقة الخليج، وكانت روسيا قد زودت (دمشق) أيضاً بشبكة صواريخ مضادة للطائرات. وأعلن بأن هذه الشبكة خاصة بحماية مقار القيادات والمراكز الحساسة في الدولة. فهل يمكن اعتبار هذه الظاهرة بمثابة (ردع) ضد كل عدوان على الدول التي تعتبرها روسيا (قواعدها المتقدمة) في عصر النظام العالمي الجديد؟ أم أنها مجرد إعلام للدول الحليفة لروسيا لتكون على بينة من أمرها في رسم سياساتها العسكرية؟[٣]

---

(١) ميخائيل جورباتشوف، المرجع السابق.

(٢) محمد السيد سعيد، المرجع السابق.

(٣) السيد، احمد، مرجع سابق، ص ١٠٥.

وهناك مثال آخر لا بد من التعرض له. ففي يوم ١٧ نيسان ٢٠٠٦ عقدت الحكومة الروسية اجتماعا لها برئاسة الرئيس فلاديمير بوتين.(١) وصرح وزير الدفاع سيرغي ايفانوف بعد انتهاء الاجتماع بما يلي: "ستتابع روسيا مشاركتها في عملية صنع السلام التي تقوم بها الأمم المتحدة في السودان. وفي غضون ثلاثة أيام تم نقل مجموعة جوية روسية إلى السودان تضم ٢٠٠ من العسكريين وأربع مروحيات قتالية وأسلحة وذخائر متنوعة" وما من حاجة للقول أن هذا الدعم العسكري هو دعم رمزي ومعنوي أكثر مما هو دعم مادي قوي. وربما لم يكن السودان في أزمته في تلك الفترة بحاجة لأكثر من هذا الدعم المعنوي، الذي سيضمن له فتح قنوات الحوار مع (المجتمع الدولي) من (البوابة الروسية) (٢).

"وفي العاشر من يناير لعام ٢٠٠٠م صدر في روسيا القرار الجمهوري رقم ٢٤، الذي أدخل إضافات وتعديلات على مفهوم الأمن القومي الروسي والتهديدات التي تواجهه. وكان هذا المفهوم قد سبق إقراره في السابع عشر من شهر ديسمبر لعام ١٩٩٧م ونستعرض فيما يلي أهم ملامح هذه التعديلات"(٣).

يعبر مفهوم الأمن القومي الروسي عن منظومة التصورات التي يضعها الاتحاد الروسي لضمان أمن الفرد والمجتمع والدولة من التهديدات الداخلية أو الخارجية في شتى مجالات الحياة، وهو صلب سياسة الدولة الروسية. والأمن القومي للاتحاد الروسي هو أمن الشعوب متعددة الجنسيات كافة التي تتمتع بالسيادة وتشكل مصدر القوة الأوحد للدولة(٤).

---

(١) محمد السيد سليم ، مرجع سابق، ص١٣٢.

(٥) كرستياني، داريوا (٢٠٠٧)، روسيا مبادرات جديدة في الخليج، متوفر عبر: www.Pinrcom-reportphpac=iewreport

(١) جميل، مطر، مرجع سابق، ص ٣٣.

(٢) السيد، احمد، مرجع سابق، ص ١٠٨.

وتعد روسيا واحدة من أكبر بلدان العالم، ذات التاريخ الطويل والتقاليد الحضارية الثرية. وبالرغم من تعقد الوضع الدولي، وتفاقم المشكلات الداخلية، فإنها لا تزال تلعب دوراً مهماً في التفاعلات الدولية، بالنظر إلى قدرتها الاقتصادية والتكنولوجية والعسكرية وموقعها الفريد في أوراسيا (أوروبا وآسيا). وستصبح روسيا، في المستقبل، أكثر اندماجا في الاقتصاد العالمي، وستطور صلاتها مع المؤسسات الاقتصادية والمالية الدولية(١).

وتتفق مصالح روسيا ومصالح دول أخرى فيما يتعلق بمشكلات الأمن الدولي العديدة، بما في ذلك مقاومة انتشار أسلحة الدمار الشامل، والوقاية من الصراعات الإقليمية وتسويتها، ومحاربة الإرهاب الدولي وتهريب المخدرات، وحل المشكلات البيئية العالمية، ومنها ضمان الأمن النووي والإشعاعي.(٢)

وهناك بعض الدول التي شحذت مجهوداتها من أجل إضعاف أوضاع روسيا في الدوائر السياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها. ويمكن لمحاولات تجاهل مصالح روسيا عند التعامل مع القضايا الكبرى للعلاقات الدولية، والتي تتضمن مواقف الصراع، أن تقوض الأمن والاستقرار الدوليين وتبطئ التغيرات الإيجابية التي تشهدها العلاقات الدولية. (٣)

وهناك اتجاه يتمثل في محاولة إيجاد هيكل للعلاقات الدولية يتأسس على هيمنة الدول الغربية المتقدمة، - التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية، - على المجتمع الدولي وتقديم حلول أحادية للمشكلات الرئيسية للسياسة العالمية كافة، عن طريق استخدام القوة العسكرية في المقام الأول وانتهاك القواعد الأساسية للقانون الدولي. ولكن الاتحاد الروسي سيدعم تطوير فكرة

---

(٣) الشيخ، نورهان ، مرجع سابق، ص ٢٣٠.

(٤)Kingeson Topgorn(١٩٩٠), History of International and Nationalizm socity comb side ,(New york ,Cambridge polity press)

(٣)Morgenthau ,(١٩٩٦),Hans and Thowpson, Kennethw.politics among Nathion (New york, printer).

إيجاد عالم متعدد الأقطاب بتدعيم الأوضاع الاقتصادية والسياسية لعدد كبير من الدول. وفي هذا الإطار، ستلعب العوامل الاقتصادية والسياسية دوراً أكثر فاعلية[١].

المبحث الثاني

عناصر القوة والتهديد الذي يواجه السياسة الخارجية الروسية

المطلب الأول: عناصر القوة للسياسة الخارجية الروسية:

يشهد النظام العالمي تناقضات عديدة بين القوى المؤثرة ، فتلك القوى تتنافس فيما بينها وتتصارع لأجل تبوء مرتبة أفضل في سلم القطبية الدولية، ويساعدها في ذلك، أن هيكل القوة وطبيعتها الدولية ذاتها في تحول. فالوضع الذي تعانيه الولايات المتحدة في الاحتفاظ بموقعها الدولي أصبح حرجاً، من حيث بروز القوى الدولية الأخرى إلى مراتب منافسة لها على الصعيد الاقتصادي والتكنولوجي وحتى العسكري. في المقابل، تجاوزت طبيعة القوة الدولية الجديدة القيد العسكري، وأصبح بإمكان أي قوة اقتصادية، تقنية، ثقافية، دون استبعاد أهمية القوة العسكرية؛ أن تؤثر في مجالات دولية واسعة. وهذا التحول قد ثمن موقع كل من ألمانيا واليابان في النظام الدولي. في حين أن الاختلال في القوة الاقتصادية الأمريكية، صار يعطي للولايات المتحدة مرتبة دولية غير متساوية مع إمكاناتها العسكرية.(٢)

وما تقدم، لا ينفي أن هذه القوى صارت تبحث عن منافذ لاختراق السيادة الأمريكية العالمية على النظام الدولي، عبر سياسات التعاون الثنائية (الشراكة): روسيا-الصين، روسيا-

(١) الخثلان، صالح محمد (٢٠٠٣)، روسيا بدأت الخروج من موقعها وسيكون لها صوت مسموع في قضايا العالم، الطبعة الأولى، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

(٢) بدوي، محمد طه ، (١٩٧١)، مدخل إلى علم العلاقات الدولية ، (بيروت، الدار المصرية للطباعة والنشر).

الهند، الصين-فرنسا، فضلاً عن [1] عمل هذه القوى الدؤوب من اجل تعزيز مفـردات قوتهـا الذاتية العسكرية، الاقتصادية، وحتى مجالاتها الثقافية التابعة، حتى يسهل عليها في وقت لاحـق فرض أنموذجها للنظم والتفاعلات الإقليمية، وبالتالي للنظـام والتفـاعلات العالميـة (اسـتخدام إستراتيجية احتواء المجالات الإستراتيجية المهمة: المنطقة العربية، أفريقيا، وربما آسيا.(٢)

ولعل روسيا، هي قوة رائدة، تحاول الإسراع في معدلات نمو قواها، لكي تجد لها مكاناً يتوازى وما كانت تتمتع به في النصف الثاني من القرن الماضي. وهنا من الضروري الإشـارة إلى مضمون عناصر التأثير في إعادة دفع القوة الروسية إلى النهوض، المتمثلة بالرئيس السابق فلاديمير بوتين- بعد مرحلة الانحسار عن الأدوار السوفياتية، والضعف والولاء للغـرب الـذي تميز به عهد الرئيس السابق بوريس يلتسن. إلا أنه علينا في العمل الأكاديمي أن لا ننساق وراء الخطاب السياسين ولا وراء تحديات يطلقها سياسيين من قبيل :اختبار روسيا لـصاروخ S-٢٤ المتعدد الرؤوس، القادر على اختراق أي جهاز دفاعي مضاد للصواريخ؛ والغواصات الروسـية كبرهان على عودة روح المنافسة والنتاج العلمي، وزرع علم روسي فـي القطـب الـشمالي، وتحليق القاذفات الروسية في سمائه، الذي يمثل التحدي السافر للتوسع الأميركي، مثلمـا كانـت تفعل أثناء الحرب الباردة..(٣)

تظهر روسيا في صورة القوة العظمى في مختلف ميادين العلم والثقافة. أو إثبات قـدرة روسيا على استعادة ثقفها الاستراتيجي، إنما يمكنه أن يسعف في القول إنه يرمـي إلـى إيقـاظ

---

(١) Thomas Gomart,(٢٠٠٧), "France's Russia Policy: Balancing Interests and Values", Washington Quarterly, vol. ٣٠, no. ٢ , pp. ١٤٧-١٥٥.

(٢) السيد ساسين، المرجع السابق.

(٣) محمد ابراهيم عبد الرحمن، المرجع السابق.

روسيا من غيبوبتها السياسية التي وقعت فيها عقـب تفكـك منظومـة الاتحـاد الـسوفييتي[1].

خصوصاً أن الولايات المتحدة استفادت من هذا النوم العميق، لتقوم بمحاصرة روسيا عن طريق توسيع نشاطات الحلف الأطلسي إلى عشر دول كانت داخل تلك المنظومـة، وراقبـت روسـيا بخوف هذا التوسع في القوقاز وآسيا الوسطى وأوروبا الشرقية، وزاد التحـدي إدراك روسـيا لمخاطر نشر الولايات المتحدة لمنظومات الدرع الصاروخي في بلدان شرق أوروبا في بولنـدا وتشيكيا، في حين كانت لا تزال متمسكة بمعاهدة إزالة الصواريخ المتوسطة والقصيرة المـدى. وأعلن الرئيس الروسي السابق بوتين أن سياسة الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش في نشر الدروع تجعل أوروبا برميل بارود، وأن ملأها بأسلحة جديدة أمر خطر وضار. [2]

كانت القوات الإستراتيجية الروسية في عام ٢٠٠٦ تتألف من ٧٦٢صاروخ استراتيجي، في مقدورها تحميل ٣٣٧٣ رأس نووي. وكان فقط في حوزة القوات الصاروخية الإسـتراتيجية ٥٠٣ نظام صاروخي تحمل ١٨٥٣ رأس نووي. وإذا ما انتهى مفعول معاهدة (سالت-١) كما يتجه الأمر إليه منذ فترة، فإنه من المتوقع أن تعود فاعلية القوات الصاروخية الاستراتيجية فـي الفترة ٢٠١٦-٢٠١٨[3].

إن سياسات الولايات المتحدة دفعت بالرئيس الروسي بـوتين إلـى إطـلاق تحـذيرات صريحة، غير مبهمة، ابتدأها في مؤتمر ميونيخ للأمن في شباط/فبراير ٢٠٠٧، ثم في مـستهل أيار/مايو، ثم في نهاية الشهر ذاته، عندما قامت روسيا بإجراء التجربة الـصاروخية (إطـلاق الصاروخ Rs-٢٤ العابرة للقارات) في ٢٩ أيار/ مايو، ما يعكس رسالة موجهة إلى الولايـات

---

(١) Dmitrii Trenin,(٢٠٠٧), "Russia Redfines Itself and Its Relations with the West", Washington Quarterly, vol.٣٠,no.٢, pp. ٩٥-١٠٥.

(٢) محمد السيد سليم ، المرجع السابق.

(٣) فيكتور ليتوفكين، (٢٠٠٧)، "الدفاع الروسي المضاد للصواريخ ينتظر انتهاء مفعول "سالت -٢""، الحياة ٢٠٠٧/٢/٢٨، من موقع الانترنت التالي:http://www.daralhayat.com/culture/media/٠١-٢٠٠٧،

المتحدة بأن روسيا ستعيد التوازن الاستراتيجي العالمي، وأنها تستطيع تهديد العمق الاستراتيجي الأمريكي. واستغل الزعيم الروسي عوائد النفط والغز ليجدد علمية التسلح، برفع الموازنة العسكرية لسنة ٢٠٠٧ إلى ٦٠ مليار دولار، وإعلان تخصيص ٢٠٠ مليار دولار لبرنامج تحديث المعدات العسكرية الروسية في الفترة ٢٠٠٧- ٢٠١٧ (١)

بل إن روسيا سعت إلى أبعد ما يتعلق بمحيطها(٢) ونظرت إلى مناطق كانت تتنافس فيها بوضوح مع الولايات المتحدة، وأهمها المنطقة العربية. وقد يكون موقفها مفهوماً من قضية احتلال العراق عام ٢٠٠٣، كون هذا البلد قد أصبح في صلب الاهتمام الأمريكي، وأمر مجاراتها فيه يفوق قدرات روسيا، إلا أنها حاولت استغلال تورط الولايات المتحدة فيه وفي أفغانستان لتكسب تنازلات من الولايات المتحدة في قضايا عدة في تخومها، بل إنها أرادت أداء أدوار في قضايا المنطقة ومعضلاتها.(٣)

إلا أنه، وإزاء الموقف الأمريكي لحدود ما مسموح به من سياسات ومصالح للقوى الأخرى في منطقة تعتبرها واقعة تحت نفوذ مصالحها، فإنها لجأت إلى إيران، باعتبارها الخصم المناوئ للولايات الأخرى في منطقة تعتبرها واقعة تحت نفوذ مصالحها، فإنه لجأت إلى إيران، باعتبارها الخصم المناوئ للولايات المتحدة، والجسر الإقليمي الذي ينقلها إلى سورية ولبنان وفلسطين، على رغم عدم الاتفاق العقائدي بين نظام روسيا الاتحادية ونظام جمهورية إيران الإسلامية؛ ونتج من ذلك: تعهد باستكمال العمل في مفاعل بوشهر النووي؛ والذي أكملت تجهيزه بالوقود النووي في نهاية كانون الثاني/يناير ٢٠٠٨، ومحطات توليد الطاقة الهيدروكهربائية بعقد

---

(١)Nicholson Micheal(١٩٩٦), Causes and cousquences In International relation :acconceepetual study , (New york, printer).

(٢) جورج حداد، (٢٠٠٧)، "بوتين يحقق نقلة نوعية في النفوذ الروسي"، الحياة، ٢٠٠٨/١/٣٠، ص ٧.

(٣) محمد طه بدوي ، المرجع السابق.

قيمة ٠,٨ مليار دولار، وعقد اتفاق لتصدير السلاح بقيمة ٠,٤ مليار دولار، إضافة إلى عقد وقع عام ٢٠٠٦ بقيمة ٠,٧ مليار دولار تتعهد روسيا بموجبه تأمين قوارب خفر السواحل وتحـديث طائرات الميغ والسوخوي-٢٤، وتزويدها بأسلحة للدفاع الجوي.[١]

ولم يتوقف الأمر عند ذلك، فتطور ونمو روسيا كـان واضـحاً فـي مجـالات حجـم الاستثمارات التي زادت عام ٢٠٠٦ بنسبة ٢٠ بالمئة. وبلغ حجم التبادل التجـاري الخـارجي ١٥٨ مليار دولار، أي بزيادة نسبتها ١٨ بالمئة عن العام ٢٠٠٥ واحتلت روسيا المرتبة الثالثـة في العالم من حيث حجم احتياطي الذهب والعملات الأجنبية بعد الصين واليابان، ووصل حجـم الاحتياطي في آب/أغسطس ٢٠٠٧ إلى ٤٠٤ مليار دولار[٢].

ورغم وجود المؤشرات أعلاه، فإن التمحيص في الواقع الروسي يـشير إلـى وجـود صعوبات تقف عائقاً أمام نهوض روسيا، وقيامها بأدوار مهمة في العلاقات الدولية، ومنها[٣]:

عسكرياً: لا يزال إنفاق روسيا (٦٠ مليار دولار عام ٢٠٠٧) مقارنة بإنفاق الولايـات المتحدة (٥٤٠ مليار دولار عام ٢٠٠٧) يعد محدوداً جداً، وهو لايسمح بالقيام بأعمال تدريب أو تطوير واسعة، تتيح الوصول إلى قدرة تنافسية جدية. مقابل معدلات إنفاق أمريكية عالية علـى البحث والتطوير، وانتشار واسع في الأقاليم المختلفة.[٤]

اقتصادياً: لا زالت نصف إيرادات الدولة الروسية معتمدة على عوائد تـصدير معـادن وقودية (نفط وغاز)، وليس تصدير سلع وخدمات قائمة على المعلوماتية. كما إن قدرة روسـيا على الاستمرار في معدلات التصدير الحالية للمعادن الوقودية غير مؤكدة (حيث ارتفـاع كلفـة

(١) محمد السيد سليم ، المرجع السابق.

(٢) عدنان محمد هياجنة، (٢٠٠٧)، "أثر القوة الروسية في الدور الروسي في الشرق الأوسط"، آراء حول الخليج، العدد ٣٨ ، ص ٦٤-٦٦.

(٣) سليم نصار، (٢٠٠٧)، "بوتين يعيد روسيا إلى عهد ستالين"، الحياة، ٢٠٠٧/١٠/٦، ص ٩.

(٤) محمد السيد سليم ، المرجع السابق.

الاستخراج والإنتاج والتصدير) ، وهي مزدهرة بسبب ارتفاع الأسعار، وإجمالاً، لا يشكل الاقتصاد الروسي سوى ١,٢٥ بالمئة من حجم الناتج الإجمالي العالمي، مقارنة بـ ٢٥ بالمئة حجم الاقتصاد الأمريكي منه.[1]

سكانياً: تعاني روسيا ثلاث مشاكل: انخفاض أعداد السكان من ١٥٠ مليون عام ١٩٩١ إلى ١٤٤ مليون عام ٢٠٠٢، ويتوقع أن يصل إلى ١٢٦ مليون عام ٢٠٢٥ مقابل انخفاض في أعداد السكان الشباب، تحت طائل السبب أعلاه، إذ لا يتوقع أن تبلغ الفئات العمرية (١٥-٢٤) الـ بالمئة من سكان روسيا عام ٢٠٢٥، والفئة العمرية (٢٥-٤٠)الـ ١٣,٨ بالمئة من سكان روسيا في العام ذاته. والأهم، يتوقع حدوث تغير في نسب التكوينات القومية والدينية داخل الدولة الروسية، إذ يتوقع أن يرتفع أعداد المسلمين من نحو ٣٠-٣٥ بالمئة من إجمالي سكان روسيا عام ٢٠٠٧، إلى نحو ٤٥ بالمئة عام ٢٠٣٠[2].

جغرافياً: إن سعة الأرض الروسية تجعلها تعاني إرهاقاً في توفير الإمكانات المناسبة لتأمين حدودها، وضمان توافر اتصال فاعل بين الأجزاء الروسية، كما أن ظروف موقع روسيا المناخية تجعل إمكانات البلاد مستنزفة بنسب مرتفعة، وهي ليست يسيرة في مجال توفير المواد والخدمات واستمرار أداء الأعمال... كما توجد في روسيا في ظل هذه المساحة، ٨٩ قومية، وأغلبها له خصوصية جغرافية ودينية، مما يجعل السياسة الروسية قائمة على التوافقات الداخلية في أحيان، وهذا عامل يؤثر سلباً في روسيا.[3]

تمتلك روسيا مقومات القوى الكبرى وقد كان ذلك عاملاً مساعداً لها في النهوض من كبوتها، واستعادة مكانتها بوصفها قوة كبرى إبان أزمات عديدة مرت بها على مدار تاريخها، وذلك حين

---

(١) محمد طه بدوي ، المرجع السابق.

(٢) ممدوح طه، المرجع السابق ، ص ٧٣-٧٤.

(٣) محمد السيد سعيد ، مرجع سابق.

توافرت القيادة السياسية الواعية القادرة على استغلال هذه المقومات على نحو أمثل، وأهم هـذه العناصر ما يلي[١]

أولاً: المقومات الجغرافية والديموجرافية :

روسيا هي أكبر دول العالم من حيث المساحة (١٧,٠٧٥) مليون كـم٢، وهـذه المـساحة الشاسعة تعد أحد أهم عناصر القوة الروسية وذلك بالنظر إلى جانبين: [٢]

أولاً: أمني، فقد نجحت روسيا دون غيرها من الدول الأوروبية الكبرى –بفضل هذا العمق الجغرافي- في هزيمة نابليون في العام ١٨١٢م، وهتلر في العام ١٩٤١م، وبالرغم من التقـدم في التقنية (التكنولوجيا) العسكرية والصورايخ عابرة القارات، فإن العمق الجغرافي يظـل أحـد عناصر القوة الروسية وإن لم يكن الأكثر أهمية. .[٣]

ثانياً: اقتصادي، فهذه المساحة غنية بالثروات الطبيعية والمعدنية، وفيها حـوالي (٢٢٠) مليون هكتار من الأراضي الزراعية، موزعة على إحدى عشرة منطقة اقتصادية، هذا إلى جانب (١٢) ألف نهر، يبلغ طول كل منها ١٠كم فأكثر، وأهمها نهر الفولجا [٤].

ومن ناحية أخرى، تعد روسيا خـامس أكبـر دول العـالم مـن حيـث عـدد الـسكان (١٤٤,٩٧٨,٥٧٣) نسمة وفقاً لتقديرات العام ٢٠٠٥م [٥].

حيث تحتل روسيا المرتبة السابعة في العالم من حيث عدد السكان البالغين حوالي ١٤٥ مليون نسمة, يعيش ١٢ مليونا منهم في موسكو العاصمة وكـادت الدولـة تتعـرض لكارثـة ديمغرافية حيث تناقص السكان بعد تفكك الاتحاد السوفياتي بنسبة كبيرة ، وهذا ما جعل الحكومة

---

(١) محمد طه بدوي ، مرجع سابق.

(٣) الشيخ، نورهان، مرجع سابق، ص ٣٢٠.

(٣) ناصيف حتي، مرجع سابق.

(٥) RIA NOvosti.((٢٠٠٩), "Russia Freezes Warplane Contract with Syria", May٢٠.www.En.rian.ru

(٦) http://www.cia.Gov/cia/publications/factbook/geos/rs.html.

المركزية تقيم برامجا لتشجيع الإنجاب وتدعم العائلة وتمنح الأم ميزات من دعم مالي واجتماعي خاص .وتعود أسباب تناقص عدد السكان في روسية إلى العزوف عن الانجـاب وتـأخر سـن الزواج إضافة إلى ارتفاع نسبة الوفيات بين الذكور . كما أن روسيا الاتحادية تعرضت أيـضا إلى كارثة ديموغرافية نتجت عن الحرب الأهلية والحربين العالميتين التي نالت منهمـا روسـيا أكبر عدد من الخسائر البشرية أكثر من عشرين مليون قتيل من سكان الاتحاد السوفياتي السابق. ([1])

ثانياً: القدرات الاقتصادية:

تعد روسيا من أغنى دول العالم من حيث الموارد المتاحة، فهي تمتلك سابع أكبر احتياطي نفطي في العالم بعد دول الخليج العربي وفنزويلا، ويقدر بـ(٤٨) مليار برميل، أي ما يعـادل (٤,٦%) من مجموع الاحتياطي العالمي، مما جعلها ثاني أكبر منتج ومصدر للنفط في العالم بعد السعودية، حيث تنتج (٧,٥) مليون برميل يومياً، وتصدر ما يقرب من (٣,٢) مليون برميل من النفط الخام، أي حوالي (٤٠%) من إجمالي الصادرات الدولية، وما يصل إلى (٧٠) مليون طن من منتجات التكرير سنوياً، كما أنها أكبر دول العالم من حيث احتياطات الغاز الطبيعي المتوافر فيها، والتي تقدر بحوالي (٥٤,٣) تريليون متر مكعب، أي ما يعادل (٣٥%) مـن الاحتيـاطي العالمي [٢] .

ومن ثم فإنه من المنظور النفطي تعد روسيا قوة اقتصادية كبرى، ولها تأثيرها في أسواق النفط وأسعاره العالمية، وتزداد أهمية ذلك بالنظر إلى تأكيد الرئيس الروسي استعداد بـلاده لأن تحل محل الشرق الأوسط كمركز رئيسي للنفط للولايات المتحدة والغرب.([٣])

---

(١) ميخائيل جورباتشوف، المرجع السابق.

(٢) الشيخ، نورهان، مرجع سابق، ص٣٢٥.

(٣) محمد ابراهيم عبد الرحمن، مرجع سابق.

فإن الأزمة الاقتصادية التي اعتصرت روسيا منذ ما قبل انهيار الاتحاد الـسوفيتي وعلـى مدى السنوات العشر التي تلت الانهيار لم تكن نتيجة ضعف القدرات الاقتصادية الروسية، وإنما نتيجة سوء إدارة الموارد المتاحة وتوظيفها، وعدم الاستقرار السياسي، وانشغال القيادة الروسية بالصراع على السلطة مع القوى السياسية الأخرى. (١) انهت روسيا عام ٢٠١٠ بنتائج اقتصادية وذلك وسط خيبة آمال من اعتمدوا في تنبؤاتهم على أسعار الذهب الاسود، والتي استقرت فـوق ٩٠ دولارا للبرميل، فيما يشير خبراء الى استحالة تحقيق نمو أكبر في الاقتصاد ما لم تقم الدولة باصلاحات اقتصادية هيكلية.

شهد الاقتصاد الروسي نموا كبيرا في الناتج المحلي الإجمالي في الربع الثاني من عـام ٢٠١٠, وهو ما يشير إلى أنه بدأ يتجه نحو التعافي, بعد الانكماش الكبير الذي سجله في سابقاً.و إن الناتج المحلي الإجمالي ارتفع في الربع الثاني بنسبة ٥,٤% على أساس سنوي, مشيرا إلى أن هناك تسارعا في النمو, الذي سجل نسبة ٢,٩% في الربع الأول من العام، وتـضرر اقتـصاد روسيا-الذي يعتمد على النفط والغاز- من جراء الأزمة الاقتصادية، حيث عانى مـن انكمـاش اقتصادي بلغ ٧,٩% في عام ٢٠٠٩ بعد نمو وصل إلى ٥,٦% في عام ٢٠٠٨.

أن عملية البيع قد تشمل حصة قدرها ٢٧,١% في شركة ترانسنفت التي تحتكر شبكة أنابيب النفط في البلاد، و٢٤,١٦% في شركة روسنفت أكبر منتج للنفط في البلاد، وشـملت عمليـات البيع نسبة ٢٤,٥% ، إضافة إلى ظان الحكومة تسعى لتـوفير مبـالغ كبيـرة لخفـض عجـز الموازنة[٢].

(١)Kingeson Topgorn(١٩٩٠), History of International and Nationalizm socity comb side ,(New york ,Cambridge polity press)

(١) انتعاش الاقتصاد الروسي ،(٢٠١٠).نقلاً عن الرابط الالكتروني www.idlal.com

ثالثاً: القدرات العسكرية:

ظلت روسيا منذ منتصف القرن العشرين وحتى انهيار الاتحاد السوفيتي قوة عسكرية عظمى مكافئة للولايات المتحدة الأمريكية، بل وأكثر تميزاً في مجال الأسلحة التقليدية، إلا أن السنوات العشر التي تلت تفكك الاتحاد السوفيتي شهدت تدهوراً واضحاً في الجيش الروسي، وتقلصاً في قدرات البحرية الروسية؛ حيث انخفض عدد السفن الحربية والغواصات في العام ٢٠٠٠م إلى عشر المتاح في العام ١٩٩٠م، كما انخفضت المقاتلات بنسبة (٨٠%) وقد كانت ذلك من حالة التدهور العام الذي أصاب روسيا في تلك الفترة. ".[١]

وقد أصدر بوتين وثيقتين:

الأولى: حول مفهوم للأمن القومي، نشرت في ٢٠٠٠/١/١٤م. **والثانية**: حول العقلية الجديدة للقوة البحرية للسنوات العشر القادمة، ونشرت في ٢٠٠٠/٣/٤م.

وتمت ترجمة الوثيقتين إلى مجموعة من الإجراءات، التي تضمنت ما يلي: ([٢])

أ . رفع رواتب العسكريين بدءاً من يوليو ٢٠٠٠م بنسبة (٢٠%)، ودفع الرواتب المتأخرة.

ب . التحول نحو تشكيل الجيش الروسي من المتطوعين بدلاً من المجندين الذي يؤدون الخدمة العسكرية الإلزامية وذلك بهدف رفع كفاءة الجيش الروسي، ومواجهة ظاهرة التخلف عن أداء الخدمة العسكرية، والهروب الجماعي للجنود من وحدات الجيش، والذين قدر عددهم بحوالي (٥٠٠٠) جندي سنوياً، ووفقاً لخطة وزارة الدفاع، من المفترض أن ينشأ جيش محترف في روسيا قبل العام ٢٠١٣م، وقد تم البدء في المرحلة الأولى بفرقة

---

(٢) Reviving Russia's navy(٢٠٠٠), putin's new doctrinal, IISS strategic comments, vol.٦, issue٦. July

(٢) محمد السيد سعيد ، المرجع السابق.

الإنزال (٧٦) في إقليم بسكوف غرب روسيا، ويتم التنفيذ في (٩٢) وحدة من القوات البرية، والإنزال الجوي والأسطول العسكري، في الفترة من ٢٠٠٤-٢٠٠٧م.

ج . تحديث طائرات سلاح الجو الروسي في إطار برنامج للتحديث يمتد حتى العام ٢٠٢٠م.

د . تطوير إنتاج روسيا من الأسلحة والمعدات العسكرية، وتمويل المخترعين والمصممين ودعمهم، بهدف إنشاء وإنتاج منظومات دفاعية متطورة وبالغة الدقة، وتعزيز مكانة روسياً في السوق العالمية للسلاح.

ويأتي هذا متسقاً مع توجه الرئيس الروسي السابق فلاديمير بوتين للتوسع في مبيعات الأسلحة، ليس فقط إلى الأسواق التقليدية للسلاح الروسي ولكن بفتح أسواق جديدة، الأمر الذي أدى إلى زيادة صادرات السلاح من (٣,٦٨) مليارات دولار في العام ٢٠٠٠م إلى (٤,٤) مليارات دولار في العام ٢٠٠١، وتعد الصين أكبر مستوردي السلاح الروسي، نظراً لاعتماد ترسانتها العسكرية على المعدات السوفيتية، وكذلك الحال بالنسبة إلى الهند التي تستأثر بثلث صادرات السلاح الروسي، وتحتل المرتبة الثانية بعد الصين بين مستوردي الأسلحة الروسية، وفي إطار العالم الإسلامي تبرز العديد من الدول منها إيران وسوريا، وأيضاً ماليزيا التي تعد أحد أهم شركاء روسيا في تجارة الأسلحة، ويعود التعاون العسكري بينهما إلى العام ١٩٩٤م عندما باعت لها روسيا طائرات قتالية من طراز ميج (٢٩)، كما وقع البلدان في مايو من العام ٢٠٠١م اتفاقا يقضي بتصدير أنظمة صواريخ مضادة للدبابات إلى ماليزيا. [(١)]

رابعاً: المكانة الدولية:

روسيا هي الوريث الشرعي للاتحاد السوفيتي بوصفه قوة كبرى، وورثت قدراته العسكرية النووية والتقليدية، ورثت مكانته الدولية ومقعده الدائم في مجلس الأمن الدولي أيضاً،

---

(١) الشيخ، نورهان، مرجع سابق، ص ٣٢٦.

كما حصلت روسيا في يونيو من العام ٢٠٠٢م على العضوية الكاملة في مجموعة الدول الثمانية الصناعية الكبرى، وكذلك تم في مايو من العام ٢٠٠٢م إنشاء مجلس مشترك بين روسيا وحلف الأطلنطي يسمح بمعاملة موسكو بوصفها شريكا متكافئاً مع باقي دول الحلف، مما يسمح باتخـاذ قرارات مشتركة في عدد من المجالات وهي: مكافحة ما يسميه الغرب (الإرهاب الدولي) وإدارة الأزمات، ومنع انتشار أسلحة الدمار الشامل، ومراقبة التسلح، والتعـاون العـسكري، وإجـراء مناورات مشتركة، وتطوير القوات المسلحة، ويعكس هذا حقيقتين أساسيتين:**(١)**

أولاً: الصحوة الروسية، والتقدم في المجالات الاقتصادية والعـسكرية، وعلـى صـعيد الاستقرار السياسي والداخلي

ثانياً: تنامي النفوذ الروسي على الصعيد الدولي، واستعادة روسـيا لمكانتهـا بوصـفها إحدى القوى الدولية الكبرى الفاعلة والمؤثرة في الشؤون الدولية، وإن ظل هذا التأثير مرتبطـاً بالمصالح الروسية.

إن استعراض عناصر القوة الروسية يوضح أن روسيا تمتلك مقومات القوة الكبرى من المنظور الجغرافي، والديمغرافي، والعسكري، كما أن الاقتصاد الروسي أخذ في التحـسن ممـا يتيح لروسيا ممارسة دور أكبر وأكثر فاعلية في الشؤون الدولية. [٢].

ولا شك أن لهذا انعكاسه على الأدوات المتاحة لروسيا لتنفيذ سياستها الخارجيـة، فـإذا كانت الصعوبات الاقتصادية التي تواجه روسيا تحد من قدرتها على استخدام الأداة الاقتصادية، فإن روسيا بحكم مكانتها الدولية ومقعدها الدائم في مجلس الأمن تجيد استخدام الأداة الدبلوماسية،

---

(١) محمد ابراهيم عبد الرحمن، مرجع سابق.

(١). جبر، رائد، المرجع السابق، ص ١٩.

كما أن قدرتها العسكرية تمكنها من استخدام الأداة العسكرية، وتوظيف ترسانتها العسكرية الضخمة لخدمة مصالحها وأهدافها. [١]

المطلب الثاني: التهديدات التي تواجه الخارجية الروسية والأمن القومي الروسي:

ويمكن تقسيم التهديدات التي تواجه الأمن القومي الروسي إلى مجموعتين رئيسيتين: التهديدات على الصعيد المحلي، والتهديدات على الصعيد العالمي.

أولاً: التهديدات على الصعيد المحلي: فعلى الصعيد الداخلي تواجه روسيا مجموعة من التهديدات، ويمكن إيجازها فيما يلي[٢]:

١- يولد الوضع الحالي للاقتصاد الروسي، وعدم كفاءة تنظيم سلطة الدولة والمجتمع المدني، والاستقطاب الاجتماعي -السياسي داخل المجتمع الروسي، انتشار الجريمة في إطار العلاقات الاجتماعية، ونمو الجريمة المنظمة والإرهاب، وتفاقم العلاقات القومية، وتدهور العلاقات الدولية عدداً كبيراً من التهديدات الداخلية والخارجية للأمن القومي للاتحاد الروسي.

٢ - تعد التهديدات التي تواجه روسيا في المجال الاقتصادي تهديدات شاملة، وتتحدد في المقام الأول بالانخفاض الكبير في الناتج المحلى الإجمالي وفي الأنشطة الاستثمارية والابتكارية والإمكانات البحثية التقنية، وبركود القطاع الزراعي، وبالنظام المصرفي غير المستقر، وبنمو الديون المحلية والأجنبية، وبهيمنة الوقود والطاقة والمواد الخام

(٢) سعيد، عبد المنعم، مرجع سابق، ص ٢٥.

(٣) يوسف، أيمن طلال (٢٠٠٨)، روسيا البوتينية بين الأوتوقراطية الداخلية والأولويات الجيوبوليتيكية الخارجية، ٢٠٠٠ – ٢٠٠٨، الجامعة العربية الأمريكية، جنين.

على هيكل الصادرات الروسية، والأطعمة والسلع الاستهلاكية، بما فيها السلع الضرورية الأساسية، على هيكل الواردات[١].

٣ - يهدد ضعف الإمكانات البحثية التقنية والتكنولوجية للدولة، وتضاؤل البحث في المجالات الإستراتيجية الخاصة بالتقدم البحثي - التقني، وهجرة المتخصصين إلى الخارج بفقدان مركز روسيا القيادي في العالم، وتدهور الصناعات كثيفة العلم، وتنامي اعتماد روسيا تكنولوجياً على الدول الأجنبية وإضعاف قدرتها الدفاعية[٢].

٤ - التفكك الاقتصادي، والتباين الاجتماعي، وتراجع مكانة القيم الروحية في زيادة التوترات في العلاقات بين الأقاليم والعاصمة، ويهدد النظام الفيدرالي والبناء الاجتماعي والاقتصادي. وتسهل الهجرة نمو التطرف الديني والسياسي، وتساعد على انتشار الانقسامات العرقية وعلى تهيئة الظروف الملائمة لنمو الصراعات.

٥ - كان لإغفال الالتزام بدستور الاتحاد الروسي وإعطاء الأولوية لغيره من التشريعات وللمفاهيم الخاصة بأعضاء الاتحاد على المفاهيم القانونية للاتحاد نفسه أثر في تقويض الكيان القانوني للدولة، وساعد على ذلك ضعف توجيه الدولة على المستويات كافة[٣].

٦ - يتعاظم أثر انتشار الجريمة في العلاقات الاجتماعية التي تنغمس في عملية إحداث إصلاح النظام السياسي والاجتماعي والأداء الاقتصادي للدولة. ومن العوامل الرئيسية التي عملت على نمو الجريمة، خصوصاً الجريمة المنظمة، وانتشار الفساد، الأخطاء التي وقعت في أثناء المراحل الأولى للإصلاح في المجالين الاقتصادي والعسكري، وكذلك ضعف نظم الدولة الخاصة بالتنظيم والسيطرة وعدم وجود أساس قانوني كافٍ،

---

(١) يوسف أيمن طلال، المصدر نفسه.

(٢) مغايري، مازن (٢٠٠٤)، أطلس العالم، ط٢، المكتبة الوطنية، نابلس.

(٣) السيد، احمد، مرجع سابق، ص ١١٠.

وغياب سياسة قوية من جانب الدولة إلى جانب تضاؤل الإمكانات الروحيـة والمعنويـة للمجتمع.

٧ - ضعف السيطرة القانونية للدولة على الوضع في البلاد، وتعاون بعـض عناصـر القـوى التنفيذية والتشريعية مع عناصر الجريمة، ووصـول الجريمـة إلـى قطاعـات البنـوك والمشروعات الكبرى في الدولة وكذلك المؤسسات التجارية وشبكات الإنتاج. ومن ثم لـم تعد مقاومة الجريمة المنظمة مهمةً قانونية حسب، وإنما مهمة سياسية أيضاً. وقد تفاقمـت بالفعل معدلات الإرهاب والجريمة المنظمة بسبب الصراع الدائم حـول تغييـر أشـكال الملكية وتزايد الصراع على السلطة بسبب اختلاف مصالح الجماعات والمصالح العرقيـة والقومية. ومما يزيد من أثر هذه التهديدات على الفرد والمجتمع والدولة غياب نظام قوي يعمل على منع التعدي، وعدم كفاية المواد القانونية والأسس التكنولوجية اللازمـة لمنـع الإرهاب والجريمة المنظمة، وكذلك انعدام الجدوى القانونية وخروج العناصر المؤهلة من المؤسسات القانونية[١].

٨ - إن تقسيم المجتمع إلى مجموعة صغيرة من الأغنياء وقطاع كبير من محـدودي الـدخل، وتزايد عدد المواطنين الذين يعيشون تحت خط الفقر، وزيادة معـدلات البطالـة، تهـدد جميعها الأمن القومي لروسيا من الناحية الاجتماعية.

٩ - إن تفاقم الأزمة على الصعيد المحلى، والسياسي، والاجتماعي، والروحي من الممكـن أن يسفر عن تقويض إنجازات الديمقراطية[٢].

ثانيا: التهديدات على الصعيد العالمي: ويمكن إيجازها فيما يلي:

---

(١) سعيد، عبد المنعم، مرجع سابق، ص ٢٠.

(٢) اللاوندي، سعيد، (٢٠٠١). مجلة السياسة الدولية، القاهرة: مؤسسة الأهرام، العدد (١٤٢)، ص١٢٨-١٣٠

١ - عمل بعض الدول منفردة وبعض المنظمات الدولية على التقليل من دور الآليات القائمة لضمان الأمن القومي، خصوصاً الأمم المتحدة ومنظمة الأمن والتعاون الأوروبي.

٢ - إضعاف التأثير السياسي والاقتصادي والعسكري لروسيا عالمياً.

٣ - دعم الاتحادات العسكرية - السياسية، خصوصاً توسع حلف شمال الأطلنطي "الناتو" شرقاً. (١)

٤ - إمكانية ظهور قواعد عسكرية أجنبية وقوات عسكرية كبيرة بالقرب من الحدود الروسية.

٥ - انتشار أسلحة الدمار الشامل ووسائل نقلها.

٦ - إضعاف عمليات الاندماج بين أعضاء كومنولث الدول المستقلة.

٧ - ظهور الصراعات وتفاقمها بالقرب من حدود الاتحاد الروسي ومن الحدود الخارجية للدول الأعضاء في كومنولث الدول المستقلة.

٨ - محاولة بعض الدول منع روسيا من تقوية موقفها كمركز من مراكز الثقل في النظام العالمي متعدد الأقطاب، والحيلولة دون تنفيذ مصالحها القومية، وإضعاف وضعها في أوروبا والشرق الأوسط والقوقاز ووسط آسيا والباسيفيكي.

٩ - يعد الإرهاب مصدراً لتهديد الأمن القومي الروسي، وقد قام الإرهاب الدولي بشن حملة شعواء من أجل زعزعة استقرار الأوضاع في روسيا.

١٠ - التهديدات في مجال المعلومات، حيث تعمل بعض الدول على فرض سيطرتها في مجال المعلومات على المستوى العالمي وإقصاء روسيا بعيداً عن سوق المعلومات المحلي والأجنبي. إلى جانب قيام البعض باستخدام حرب المعلومات بهدف إيجاد نظم تستطيع

(١) الأصفهاني، نبيه، مرجع سابق.

بمقتضاها الهيمنة على مصادر المعلومات في الدول الأخرى. ومن التهديدات في هذا المجال أيضا، إعاقة النشاط الطبيعي لنظم المعلومات والاتصالات ونظم تأمين مصادر المعلومات ومحاولات الحصول عليها بطرق غير مشروعة.

١١ - وعلى الصعيد العسكري، فإن التهديدات التي تواجه الأمن القومي الروسي في زيادة مضطردة ومستمرة، فتحول الناتو لاستخدام القوة العسكرية خارج نطاق مسؤوليته، وحدوث ذلك دون أدنى عقاب من مجلس الأمن، ينم عن زعزعة استقرار الوضع الاستراتيجي في العالم.

١٢ - إن سعي بعض الدول الكبرى لصنع جيل جديد من الأسلحة والمعدات العسكرية يؤذن ببداية مرحلة جديدة من سباق التسلح، ويؤدي إلى إحداث تغيير جذري في أشكال شن الحروب ووسائلها.

١٣ - ومما يساعد على تفاقم السلبيات التي يعاني منها القطاع العسكري الروسي، خطط الإصلاح طويلة الأجل الخاصة بالمؤسسة العسكرية وصناعات الدفاع، وكذلك عدم كفاية التمويل الخاص بقطاع الدفاع وغياب المعايير القانونية. وقد ظهر أثر ذلك جلياً في تدني مستوى التدريبات القتالية والعمليات للقوات المسلحة الروسية وأيضا في نقص إمداد القوات بالأسلحة الحديثة.

١٤ - التوسع الاقتصادي والديموغرافي والحضاري للدول المجاورة داخل الأراضي الروسية.

١٥ - نمو نشاط الجريمة المنظمة عبر الحدود ونشاطات المنظمات الإرهابية الأجنبية.

مواجهة التهديدات[١].

---

(١) جبر، رائد، المرجع السابق، ص١٥.

وتكمن الأركان الرئيسية لمواجهة التهديدات التي يتعرض لها الأمن القومي الروسي فيما يلي[1]:

- التنبؤ السريع وكشف النقاب عن التهديدات الخارجية والداخلية، والقيام باتخاذ إجـراءات تنفيذية طويلة الأجل لمنع وتقليل مخاطر التهديدات الداخلية والخارجية.
- ضمان سيادة الاتحاد الروسي ووحدة أراضيه وأمن الحدود الروسية.
- إنعاش الدولة اقتصادياً وإتباع سياسات اقتصادية مستقلة ذات توجهات اجتماعية، وتقليـل حجم الاعتماد الروسي- تكنولوجياً - على المصادر الأجنبية.
- ضمان أمن الفرد والمواطن والتأكيد على حقوقه وحرياته الدسـتورية علـى الأراضـي الروسية.
- اتخاذ الإجراءات الفعالة من أجل الكشف عن عمليات المخابرات التي تقوم بها دول أجنبية ضد الاتحاد الروسي، ومنعها والقضاء عليها.
- ضمان الأمن القومي وحماية مصالح روسيا في المجال الاقتصادي بتهيئة ظروف ملائمة لدعم اندماج الاقتصاد الروسي عالمياً، وفتح أسواق جديدة للسلع الروسية، وخلق نوع من أنواع التعاون المشترك من الناحية الاقتصادية بين أعضاء كومنولث الدول المستقلة.
- وفي ظل ظروف تحرير التجارة الخارجية لروسيا، وفي ظل نمو التنافس الـذي يـشهده السوق العالمي على السلع والخدمات، فإنه يجب إعطاء أولوية لحماية مـصالح المنـتج الوطني.

---

(٢) مطر، جميل، مرجع سابق، ص ٣٩.

- إتباع سياسة مالية متوازنة من أجل خفض اعتماد روسيا على القروض الخارجية من ناحية، وتقوية موقفها في المنظمات المالية والاقتصادية العالمية من ناحية أخرى. إذ يجب على الدولة أن تلعب دوراً أكبر من أجل تنظيم عمل البنوك وشركات التأمين والاستثمار الأجنبية، كما أنه من المهم أن يتم وضع حدود ثابتة على عمليات التحويل إلى الشركات الأجنبية الخاصة بالودائع ذات الموارد الطبيعية الإستراتيجية وشركات الاتصالات وشبكات النقل وخطوط الأنابيب(1).

- يجب اتخاذ إجراءات فعالة في مجال تنظيم التعامل بالعملة والسيطرة على هذه العملية، وذلك من أجل تهيئة الظروف التي تساعد في القضاء على عملية التسديد بالعملة الأجنبية داخل السوق المحلي ومنع السحب غير المقنن لرؤوس الأموال من داخل البلد.

- إن الانتقال إلى اقتصاد السوق الذي يتميز بالفاعلية والتوجه نحو المجتمع يستلزم التحرك نحو خلق آليات أفضل للمنظمات التي تعنى بإنتاج وتوزيع السلع والخدمات، التي تضمن أفضل معدلات النمو لرفاهية المجتمع وجميع المواطنين، وضمان أولوية نمو إنتاج السلع الاستهلاكية والعلمية، ودعم الصناعات التي تضمن زيادة الإنتاج، ومن ثم توظيف مزيد من العمالة.

- تشجيع دعم الدولة لنشاطات الابتكار والاستثمار والموافقة على الإجراءات التي تعمل على خلق نظام مصرفي مستقر يفي باحتياجات قطاع الاقتصاد الفعلي، وضمان أكبر قدر ممكن من حصول الشركات على القروض طويلة الأجل من أجل تمويل الاستثمارات الرأسمالية، وتوفير أكبر قدر ممكن من المساعدة الملموسة من الدولة من أجل دعم البرامج المعنية بإعادة الهيكلة الصناعية. ومن المهمات الرئيسية في هذا الإطار ضمان

---

(١) جبر، رائد، مرجع سابق، ص ١٥.

تنمية تنافس الصناعات والشركات وتوسيع سوق المنتجات التي تخدم العلم. ولتحقيق هذه الأغراض يجب اتخاذ عدة إجراءات من أجل تشجيع نقل التكنولوجيا العـسكرية الحديثـة إلى صناعات محلية واستحداث آليات من أجل تطوير التكنولوجيا المتقدمة التـي يـساعد استخدامها على ضمان تنافس الشركات الروسية في السوق العالمي.

ويرى الباحث أن تحقيق هذه المهمات يعمل على توجيه الموارد المالية إلى مجالات تنمية العلم والتكنولوجيا وتوفير مساندة مراكز البحث الرائدة والإسراع في تحقيق نتائج تكنولوجيـة، ومن ثم خلق قاعدة تكنولوجية وطنية. ومن ناحية أخرى يساعد تحقيـق هـذه الأهـداف علـى الاستفادة من رأس المال الخاص، وذلك عن طريق تكوين الودائع والاستفادة من المـنح، كمـا تساعد هذه المهمات على تنفيذ برامج التنمية في مجالات البحث التكنولوجي، وإنشاء بنية تحتية بمساندة الدولة تضمن الاستفادة من إنجازات البحث في مجال التجارة وفـي حمايـة الحقـوق الفكرية، سواء في الداخل أو في الخارج، وضمان توافر شبكة مـن المعلومـات التكنولوجيـة والتجارية. ويجب على الدولة أن تعمل على ضمان توافر المنافسة بين الشركات المختلفة، بغض النظر عن طبيعة ملكيتها، والعمل على تطوير شركات القطاع الخاص أيضاً في شتى المجالات مما يعود بالنفع على رخاء المجتمع وتطور العلم والتعليم وحماية حقوق المـستهلكين. ويجـب أيضا الإسراع في خلق آليات لحفظ بقاء التنمية الاقتصادية وضمانها لمناطق الأزمات والمناطق الشمالية المتطرفة، وإتباع سياسة تضمن الوحدة الاقتصادية للبلاد.

وإن تحسين الأوضاع الاقتصادية له أهمية قصوى في توطيد أركان الدولة، والتأكيد على الضمانات الاجتماعية التي تقدمها، وعلى تنمية آليات المسؤولية الجماعية والعملية الديمقراطيـة لاتخاذ القرار، وعلى المشاركة الاجتماعية. وفي إطار ذلك يجب على الدولـة إتبـاع سياسـة اجتماعية عادلة واقتصادية فعالة من أجل ضمان توزيع أفضل للدخول. ومن ناحية أخرى، فـإن

تنظيم مجهودات الأجهزة الفيدرالية للسلطة التنفيذية وأجهزة السلطة التنفيذية التابعـة لأعـضاء الاتحاد الروسي، والتي تهدف إلى منع التهديدات التي تواجه المصالح الوطنيـة لروسـيا، مـن الناحية الاقتصادية، تشير إلى التحسينات التي أدخلت على الدسـتور الروسـي وعلـى التـزام القطاعات الاقتصادية في الدولة كافة بما ورد في الدستور(١).

وإن تقارب المصالح بين الأفراد في روسيا، وإقامة تعاون فعال فيما بينهم، وإتباع سياسة تتميز بالمسؤولية والتوازن، سواء كانت محلية تجاه الأقليات، أو إقليميـة، يـضمن الاسـتقرار السياسي على المستوى المحلي. والعمل على تحقيق هذه المهمات يجـب أن يـشكل الجـوهر الأساسي للسياسة الداخلية للدولة مما يضمن تطور الاتحاد الروسي ليكـون دولـة ديمقراطيـة متعددة الجنسيات. وتوطيد دعائم الدولة الروسية وتحسين العلاقات الفيدرالية والحكومة المحليـة من شأنه أن يساعد على توطيد الأمن القومي للاتحاد الروسي. وهناك حاجة ماسة لإيجاد حلول للمشكلات القانونية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعرقية، على أن يصاحب ذلك رؤيـة متوازنة لمصالح الاتحاد الروسي وأعضائه(٢).

واحترام الشعب للمبادئ الدستورية للحكومة يعمل على ضمان تناسق العمل وعلى تفاعل أجهزة الدولة كافة، كما أنه يضمن نمو هيكل السلطة التنفيذية وتماسك النظام القضائي الروسـي ووحدته. وعلى رأس هذه المبادئ الفصل بين أجهزة الدولة، وفصل المسؤوليات بين مؤسـسات الدولة، ودعم الهيكل الفيدرالي لروسيا بتحسين العلاقات مع أعضاء الاتحاد في إطار وضـعهم الدستوري.

---

(١) صالح، محمد، مرجع سابق، ٤٢.

(١) السيد، احمد، مرجع سابق، ص ١١٥.

وإن ضمان الأمن القومي لروسيا يتضمن الحفاظ علـى الميـراث الثقـافي والروحـي والمعنوي والتقاليد التاريخية والحياة الاجتماعية أيضاً . ويتضمن الحفاظ على موروثات الشعوب الروسية كافة والتوسع في السياسة التعليمية للدولة في المجالات الروحية والأخلاقية، إضافةً إلى تقنين عرض وسائل الإعلام للبرامج التي تتضمن عنفاً وتسيء استغلال الغرائز[1].

(٢) مظلوم، غسان، مرجع سابق، ص ٢٣٨.

الفصل الثالث

المتغيرات الدولية والإقليمية المؤثرة على السياسة الخارجية الروسية

تترابط الدول التي كانت جزء من الاتحاد السوفييت سابقاً في أبنيتها وهياكلها الاقتصادية والاجتماعية ، فضلاً عن تداخلها الجغرافي، الأمر الذي يفرض عليها تبني صورة مـن صـور التكامل ، ويمكن تحديد مجموعة من الأهداف الروسية في هذه الدول بـ :

١- الحفاظ على صيغة من صيغ التعاون تكفل لروسيا الحصول على المواد الأولية الزراعية واحتكار السوق ذات الطاقة الاستيعابية.

٢- الحفاظ على النفوذ الروسي وتدعيم مكانته في مواجهة الدول الغربية.

٣- التحكم في المواقع الاستراتيجية والمضايق البحرية التي تمكنها من الوصول إلـى الميـاه الدافئة.

٤- الاستفادة من وضع هذه الجمهوريات باعتبارها حلقة الوصل بين روسـيا فهـي بمنزلـة الحزام الذي يحيط بروسيا من الجنوب والغرب [١].

ومما يساعد روسيا الاتحادية على تحقيق مثل هذه الأهداف وجود أقليات روسية كبيـرة نسبياً في هذه الجمهوريات كافة، وهو ما يفرض ثقلاً ونفوذاً بالغين لروسيا الاتحادية ويعطيهـا مسوغاً دائماً للتدخل في الشؤون الداخلية للدول التي انفرطت من عقد الاتحاد السوفيتي بحجـة الدفاع عن حقوق الروس الذين يشكلون نسبة لا يستهان بها في جمهوريات الاتحـاد الـسوفيتي السابق[٢].

---

(١) كاطو، عبد المنعم سعيد (٢٠٠٧). الإتجاهات الراهنة لتطور القوة العسكرية الروسية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٧٠، المجلد ٤٢، تشرين الأول، القاهرة.

(٢) الأصفهاني، نبيه، مرجع سابق، ص٣٩.

وعلى هذا الأساس قامت روسي بمحاولات لبسط نفوذها فـي دول الاتحـاد الـسوفيتي السابق، وكثفت جهودها من أجل إبرام عدد من الاتفاقيات تضمن لها اليد العليا على هذه الدول، ومن بينها اتفاقيات للأمن الجماعي تمكن روسيا من السيطرة على حـدود الاتحـاد الـسوفيتي السابق، ولاسيما أن بعض هذه الدول تعتمد اعتماداً كلياً على روسيا في مجـال الـدفاع، مثـل طاجاكستان. فضلاً عن اتخاذها مساراً آخر لضمان العلاقة الأمنية بينهـا وبـين دول الاتحـاد السوفيتي. فعلى سبيل المثال رمت زيارة سيرجي إيفانون ويزر الدفاع وسكرتير مجلس الامـن القومي الروسي بتاريخ ١٧ نيسان / إبريل ٢٠٠١ إلى مينسك عاصمة بيلاروسيا والتقاؤه مـع الريس ألكسندر لوكاشينكو وكبار المسولين إلى تنسيق التشريعات في المجال العسكري وتوحيدها بين البلدين وتحويل الجزء العسكري من معاهدة الوحدة بين روسيا وبيلاروسيا على بنـود ذات حيز ملموس ومضمون قابل للتنفيذ، وهو الجزء الذي يطلق عليه مصطلح "العقيـدة العـسكرية" للاتحاد بين روسيا وبيلاروسيا، ويأتي مضمونها تكريساً للجهود التي بذلها الـرئيس فلاديميـر بوتين لتقوية علاقات التعاون بين روسيا ودول الاتحاد السوفيتي السابق واستعادة نفوذ روسيا في العالم. وقد اكتسبت هذه الزيارة أهمية خاصة كون رئيس مولدافيا الجديد فلاديميـر فـورونين تطرق في إحدى محادثاته مع الرئيس بوتين إلى موضوع التقارب بـين روسـيا وبيلاروسـيا كخطوة نحو التكامل مع البلدين، وهو ما قد يؤيد في نهاية الأمر إلى الوحدة بين الدول الـثلاث. [١]

المبحث الأول: المتغيرات الإقليمية

إن روسيا ربما تريد أن تكون علاقتها بدول الاتحاد السوفيتي السابق أكثر شبهاً بعلاقـة الولايات المتحدة الأمريكية مع دول أمريكا الوسطى واللاتينية والكاريبي. وقد شبه الكثير مـن

(١) عبد البديع، أحمد عباس، مرجع سابق، ص٢٤.

المحللين مبدأ "الخارج القريب" و "الخارج البعيد" في السياسة الروسية "بمبدأ مونرو" الأمريكـي تجاه أمريكا اللاتينية، وقد أطلق بعضهم على مبدأ "الخارج البعيد" مبدأ "مونرو روسـي" إشـارة إلى تقاربه والمبدأ الأمريكي. وبمقتضى هذا يكون لروسيا حق التدخل في بقاع التـوتر، وهـو الأمر الذي أكده بريماكوف عندما كان وزيراً للخارجية الروسية، حيث قـدمت هـذه الـوزارة بصورة علنية ثلاثة تحليلات للوضع داخل جمهوريات الاتحـاد الـسوفيتي الـسابق وعلاقتهـا بالغرب. ويمكن تلخيص هذه العناصر الأساسية التي ظهرت نتيجة لهذه التحليلات بـ [1].

١- ضرورة إعادة دمج اقتصادات جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق.

٢- إنشاء قيادة عسكرية مشتركة بين جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق.

٣- دور الجيش الروسي في السيطرة على حالات عدم الاستقرار واستخدامه الحدود القديمة للاتحاد السوفيتي، والتي هي تحت سيطرة جمهوريات مختلفة، حيث أكد بريماكوف بوضوح "أن روسيا لا يمكن أن تكون شريكاً أصغر لأي أحد بل هي شريك يعتمد عليه" [2].

بلورة روسيا في إطار علاقاتها الخارجية ، في السعي لتأكيد أمن الدول المجاورة لهـا، وذلك ضمن إطار الإستراتيجية الروسية التي أعلنت في ٢ كانون الثاني ١٩٩٤ وهي : " التدخل بحسم استخدام القوات المسلحة لحماية مصالح روسيا في جمهوريـات الكومنولـث والمنـاطق الاخرى التي كانت تابعة للاتحاد السوفيتي". ومما لا شك فيه أن أحد الدوافع المهمة وراء هـذا التوجه هو أمن إمبراطوريتها وظروفها السياسية وأوضاعها الاقتصادية المرتدية والمحافظة على هذا الاعتقاد. وهذا الأمر يعني أولاً البحث عن مجال نفوذ، وأن يكون لروسيا الحق في التـدخل في هذه الجمهوريات وإن عسكرياً، ولاسيما حينما تمس المصالح القومية الروسية، وفـي هـذا

---

(١) إبراهيم، حسين توفيق، مرجع سابق، ص١٠.

(٢) أديب، نعمة، مرجع سابق، ص٥٩.

السياق يمكن فهم دوافع تصريح اندريه كوزيريف وملابساته في ١٨ كانون الثاني ١٩٩٤ بشأن الإيحاء باعتزام إبقاء الوجود العسكري الروسي فيما أسماه أسرة الدول المستقلة حديثاً عن الاتحاد السوفيتي، بوصفه ذلك أنه المهمة الإستراتيجية لروسيا لمواجهة ما وصفه بالأخطار الأساسية على مصالحها الحيوية في منطقة الجوار القريب [١].

إثر تفكك الاتحاد السوفيتي أواخر عام ١٩٩١ وبعد الإعلان عن إقامة كومنولث يجمع جمهوريات الاتحاد السوفيتي الاثنتي عشرة التي أطلق عليها إسم رابطة الدول المستقلة أو "الكومنولث الروسي"، وجدت هذه الجمهوريات نفسها أمام الاستقلال العملي، وبدأت التساؤلات تطرح عن مستقبل الوجود والنفوذ الروسيين في هذه الدول ولاسيما أن هناك بعض الروابط ما بين روسيا وهذه الدول، خاصة إذ علمنا عدم امتلاك هذه الجمهوريات جيوشاً خاصة قوية باستثناء أفواج صغيرة من الحرس الوطني تعمل بمنزلة حرس جمهوري للرئاسات الجديدة. وهو ما دفع روسيا إلى أن تصر عام ١٩٩٢ على أعضاء رابطة الدول المستقلة من أجل توقيع اتفاقية للأمن المتبادل عهدت بمسألة الدفاع عن الحدود الإقليمية للاعضاء إلى قوة عسكرية واحدة هي في الحقيقة الجيش الروسي، إثر ذلك قامت روسيا بتوزيع قواتها العسكرية في كل دولة من دول رابطة الدول المستقلة، فمثلاً وصل عدد القوات الروسية إلى ٢٤ ألفاً في طاجيكستان، ١٥ ألفاً في تركمانستان، ٥ آلاف في أوبكستان، وكذلك هي الحال في بقية الجمهوريات السوفيتية السابقة [٢].

وبهذا فإن هذه الجمهوريات ستبقى تعتمد على القوات المسلحة التابعة لما يسمى رابطة الدول المستقلة التي هي قوات روسية أصلاً. وبذلك فإن تحركات الدول الخارجية. سواء

---

(١) الشيخ، نورهان، مرجع سابق، ص١٥.

(٢) شعيبي، عماد فوزي، مرجع سابق،، ص١٠.

الإقليمية أو الدولية، تجاه دول آسيا الوسطى والقوقاز وبقية دول الاتحاد السوفيتي السابق يثيـر استياء روسيا الاتحادية وانزعاجها، وهذا دفع بها في النهاية إلى أن تتطالب هـذه الـدول – أي دول الاتحاد السابق- بأن تختار بين الاتحاد الذي تقوده روسيا أو أي اتحاد بديل بينها وبين بقية الدول الإقليمية المجاورة لهذه الجمهوريات ولاسيما تلك التي رأت في توجهاتها السياسية عناصر مشتركة وتقارباً مع بضع توجهاتها السياسية كإيران مثلاً، التي تشترك معها في رؤيتهـا فـي ضرورة التصدي للنفوذ التركي الذي تدعمه الولايات المتحدة الأمريكية ولاسيما أن أحد أهـداف الاندفاعية الأمريكية نحو دول آسي الوسطى والقوقاز السيطرة على نفط قزوين ومنع الآخـرين من استثماره، فالولايات المتحدة الأمريكية تهدف إلى [1]:

١- إنشاء البنية التحتية لما تسميه "التعددية الجيوسياسية" في منطقة القوقـاز (فـي جنوبـه المستقل أولاً، وربما في شماله الروسي لاحقاً) في إطار مخطط أمريكي شامل بدأ بتوسيع حلف شمال الأطلسي نحو التخوم الغربية لروسيا، ومن المقرر أن يشتمل على الامتـداد فـي عمـق "الخاصرة الآسيوية" لروسيا في منطقة كانت على مدى قرون ضمن دائرة المـصالح الحيويـة لروسيا[2].

٢- إنشاء منظومة لممرات أورو/آسيوية – غير مقصورة بالضرورة على أنابيـب الـنفط وحدها من دون المرور عبر أراضي روسيا أو إيران. وفي هذا المجـال وضـعت الولايـات المتحدة الأمريكية خطة شاملة لاستثمار ثروات المنطقة، أطلق عليها اسـم "طريـق الحريـر-١٩٩٧"، وتنص الخطة على مواجهة "التوسع الروسي- الإيراني". أي إننا هنا أمام خطة أخرى لاحتواء كل من إيران وروسيا هذه المرة، بعد أن انتهجت الولايات المتحدة الأمريكيـة سياسـة

(١) الأصفهاني، نبيه، مرجع سابق، ص٧٠.

(٢) أديب، نعمة، مرجع سابق، ص٤٠.

"الاحتواء المزدوج" ضد كل من العراق وإيران. وقد ظهرت مؤشرات هذه السياسة في أذربيجان وكازاخستان وتركمانستان بشكل واضح، حيث بدأت الولايات المتحدة الأمريكيـة تهـتم بآسـيا الوسطى ومناطق القوقاز – أذربيجان وجورجيـا وتركمانـستان، وعلـى وجـه الخـصوص كازاخستان التي هي منطقة ثروة نفطية هائلة تطل على بحر قزوين- سـعياً مـن الولايـات المتحدة الأمريكية لتأمين مصادر جديدة للطاقة خارج منطقة الخليج، وهو أمر من شـأنه كـسر طوق روسيا على هذه المصادر [١].

وإذ تدرك روسيا أهمية نفط منطقة قزوين، استخراجاً وتسويقاً، في المحافظة على مواقعهـا ومصالحها الإستراتيجية في المنطقة، فإنها تسعى لاستخدام كل الوسـائل والإمكانـات المتاحـة للحؤول دون خسارة هذه المنطقة نهائياً.[٢].

فتمارس مرة الضغوط السياسية والاقتصادية، بل العسكرية ايضاً على بعض هذه الـدول، وتوطد علاقتها مع بعضها الآخر مثل أرمينيا، وتعمل على إبعاد بعضها من الحلـف المنظـوم ضدها في منقطة قزوين مثل تركمانستان وكازاخستان وعلى صعيد آخر، تسعى روسيا لتطوير علاقاتها مع إيران التي يتزايد اهتمامها بمحيطها الإقليمي، خاصة بعد أن دخلت إيـران إطـار التنافس للدخول إلى جمهوريات آسيا الوسطى مع كل من تركيا المدعومة من الغرب، وروسـيا التي تعد هذه المنطقة مجالاً حيوياً لها، تدفع إيران دوافع ومحركات عدة منها دوافـع وأهـداف أمينة وسياسية واقتصادية. إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية، إمعاناً منها في زيادة عزلة إيران عن محيطها الإقليمي [٣]، قامت بإيجاد قطيعة بين روسيا وإيران، ولاسيما ي المدة التي كان فيها الرئيس الروسي بوريس يلتسن يسير خلف سياسة الولايات المتحدة الأمريكية بـدءاً مـن عـام

---

(١) إبراهيم، حسين توفيق، مرجع سابق، ص٦٠.

(٢) شعيبي، عماد فوزي، مرجع سابق،، ص١٠.

(٣) الشيخ، نورهان، مرجع سابق، ص١٥.

١٩٩١ حتى نهاية عام ١٩٩٣ عندما بدأت مؤشرات التباعد بين روسيا الاتحاديـة والولايـات المتحدة الأمريكية تظهر في الأفق مجدداً فإن الاخيرة علمت على تخويف روسيا من "الإسـلام الإيراني" بدأت تتلاشى تدريجياً بسبب سلوك إيران الذي اتسم بالهدوء إلى حد ما، وذلـك فـي ثلاث أزمات كان لها تأثير مباشر في الأمن القومي الروسي وهي:

١- الحرب في طاجيكستان التي اندلعت في شـتاء عـام ١٩٩٢ بـين قـوات الحكومـة والمعارضة الطاجيكية التي يغلب عليها التيار الإسلامي بزعامة حزب النهضة، فـإيران التـي أعلنت انزعاجها الشديد من تصفية المعارضة الإسلامية في طاجيكتسان طمأنت روسيا إلى أنها سوف تقف على الحياد ولن تتدخل في الشؤون الداخلية لطاجيكستان.

٢- النزاع حول إقليم قره باخ بين أذربيجان وأرمينيا، يحث قامت إيران بدور الوسيط لحل الأزمة بالطرائق السلمية بينهما، لدرجة اتهام إيران بأنها تؤيد أرمينيا المدعومة دائماً من جانـب روسيا.

٣- الحرب في الشيشان، إذ لم تصل الإدانة الإيرانية للهجوم الروسي على أرض جمهورية الشيشان في كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٩٤ إلى درجة جعل مـا يجـري فـي الجمهوريـة الإسلامية حرباً بين الإسلام والمسيحية، بما يعني عدم التزام إيران بتقديم الدعم للمقـاتلين فـي الشيشان، وعندما طالب أكاديميون شيشانيون من إيران أنت قوم بإدانة الهجوم الروسـي علـى جروزني عاصمة الشيشان في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٤ كان رد المسؤولين الإيرانيين هـو الدعوة إلى حل سلمي للنزاع، وجاء الاحتجاج الرسمي لإيران علـى الغـزو محـدوداً جـاعلاً

المشكلة مشكلة روسية داخلية، وانصب الهجوم الإيراني على الغرب وإسرائيل أكثر منه على روسيا[١].

إن عدم تورط إيران في أزمات طاجيكستان وقره باخ والشيشان ليس وحده الذي أقنع روسيا بعدم خطورة الدور الإيراني على المصالح الروسية وجعل نقاط التقارب تزداد، بل إن السياسة الإيرانية غير المندفعة في آسيا الوسطى والقوقاز هي التي جعلت روسيا تشعر بالاطمئنان. لقد كانت إيران حريصة على أن تكون علاقاتها متوازية مكملة لعلاقاتها مع روسيا، وهو أسلوب يختلف جوهرياً عن السياسة التركية المدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية والغرب إزاء هذه الجمهوريات التي اصطدمت بالمصالح الروسية في المنطقة. وهو ما يوضح وعي إيران للأهمية الاستراتيجية لعلاقاتها مع دولة بحجم روسيا وقوتها، فعلى الرغم من كل الظروف التي تمر بها روسيا، فضلاً عن كل المشكلات والأزمات التي تواجهها فإنها تبقى قوة كبرى. وهذا أمر ظهر جلياً في حذر إيران الشديد عند استقبالها الإشارات الاولى لتفكك الاتحاد السوفيتي، حيث فضلت إيران مدة إبداء الحرص- على حد قول مسؤوليها- والالتزام بالمعاهدات والاتفاقات القائمة بينها وبين روسيا، ولم تعترف بالجمهوريات المسلمة أو تقم علاقات دبلوماسية معها إلا بعد الإعلان الرسمي عن حل الاتحاد السوفيتي في كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٩١، حرصاً منها على استمرار تعاونها مع روسيا [٢].

وبعد ذلك أخذ يظهر بالفعل بعض الالتقاء في المصالح بين روسيا وإيران فكلتا الدولتان تشترك في الخوف من عدم الاستقرار في منطقة الجمهوريات الإسلامية العازلة بين بلديها، وربما تجد روسيا المهتمة بلجم الصحوة الإسلامية، أنه من المفيد لها تعزيز علاقاتها بإيران

---

(١) الأصفهاني، نبيه، مرجع سابق، ص٦٩.

(٢) إبراهيم، حسين توفيق، مرجع سابق، ص٢٧.

ضماناً لها، كما أن إيران غير القادرة على الحصول على الأسلحة والتكنولوجيا من الغرب ربما تجد في الروابط مع روسيا بارقة أمل لها، وقد يتعين عليها أن تنتهج خطاً معتدلاً في سياساتها مع الجمهوريات الإسلامية لكي تحصل على هذه الأسلحة والتكنولوجيا. كما يتقاسم البلدان الرغبة في الحد من النفوذ الغربي ولاسيما النفوذ الأمريكي في المنطقة، ومواجهة الدعوة القومية التركية الموجهة إلى آسيا الوسطى وأذربيجان التي عدها المفكرون الإيرانيون دعوات تنتمي إلى عصر الإمبراطوريات الكبرى التي انقضى عهدها وحكموا عليها بالفشل.

كما يشارك الإيرانيون الروس الرغبة في إبقاء الحدود الحالية على حالها خوفاً من أن يتأثر مجتمعهم بطريقة لا يريدونها، فالروس والإيرانيون يشتركون في الخشية من هدف الولايات المتحدة في ربط المنطقة المذكورة بالغرب عبر خطوط أنابيب متعددة وممرات نقل خارج روسيا او خارج مجال سيطرتهم. ولاسيما بعد الوجود الأمريكي المكثف في أفغانستان بحجة القضاء على الإرهاب، إذ يرى الشعبان ضرورة أن يتم حل الوضع بإشراف الأمم المتحدة.

مما تقدم نستطيع أن نستنتج أن روسيا تسعى لتوجه نحو إيران وإقامة علاقات بها لأنها تعد تركيا لا غيران القوة المنافسة لها في منطقة آسيا في منطقة آسيا الوسطى. حيث تشير بعض الوثائق الخاصة بمجلس الدوما الروسي إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا تسعيان لتحويل روسيا إلى جزيرة محاطة بشبه طوق تركي والحيلولة دون استعادة دورها في دول الاتحاد السوفيتي السابق أو الدفاع عن نفسها باتجاه دول أوروبا الشرقية.

وهنا يتلاقى التوجه الروسي مع الاحتياجات الإيرانية لإيجاد حليف روسيا والخروج من العزلة المفروضة عليها ولاسيما من جانب الولايات المتحدة الأمريكية التي تسعى لعزلها أيضاً داخل إقليمها الجغرافي والحيلولة دون استعادة مكانتها من حيث هي قوة منافسة للولايات المتحدة

الامريكية. وهنا لاحظت روسيا، في ظل التحولات الدولية والإقليمية، واشتداد التنافس الدولي وتزايد القوى الاقتصادية حولها لبسط النفوذ حول آسيا الوسطى، أن توجهها نحو إيران في الجنوب هو أنسب بديل، ولاسيما أن إيران تتميز بموقع جغرافي فريد بوصفها جسراً يربط منطقة آسيا الوسطى بمنطقة الخليج. ويعود ذلك بفائدة كبيرة على روسيا الاتحادية التي تعد دولة شبه مغلقة. إذ يساعدها تعاونها مع إيران على الستغلال موقع إيران المتميز من الخليج لكي تكون منفذاً لها إلى المياه الدافئة، وهو الحل الذي كان يراود الروس منذ زمن القياصرة[1].

ونوجز ما تقدم بأن نقول: إن الإمبراطورية الروسية ظلت طوال القرون الثلاثة الماضية في صراع دائم مع أقاليم الجوار الجغرافي في آسيا الوسطى والشرق الأدنى والشرق الأوسط- وضمنه الخليج- وأوروبا معاً،وكانت الإخفاقات او الانتصارات التي تمنى بها أو تحققها في إحدى الجبهات محددة لطبيعة توجهاتها إزاء الجبهات الاخرى، ولهذا لمتعرف الحدود السياسية بين روسيا وجيرانها إقليمياً نوعاً من الجمود والاستقرار، وإنما شهدت حالة من الانسيابية المطلقة، بسبب وجود قوى إقليمية ودولية أخرى منافسة لها. ويبدو أن هذا الوضع لم ينتهي. فبتفكك الاتحاد السوفيتي وظهور دولة روسيا الاتحادية من حيث هي وريث شرعي له، واستقلال الدول التي كانت خاضعة لسيطرة المركز في موسكو رأينا تجدد حالة المنافسة والصراع على هذه المنطقة لدى قوى دولية وإقليمية عدة تحاول مد نفوذها إلى هذه المنقطة والسيطرة عليها. كما مارست روسيا القيصرية ومن بعدها الاتحاد السوفيتي السابق نوعاً من الهيمنة الإقليمية على المناطق المجاورة لهما فظلت بمنزلة التوابع التي تدور في فلكهما وشكلّت مبادئ جوهرية عدة للسياسة الروسية منها[2].

---

(١) الأصفهاني، نبيه، مرجع سابق، ص55.

(٢) إبراهيم، حسين توفيق، مرجع سابق، ص٣١.

١. المحافظة على البينان القومي الروسي وصونه بالتصدي لأي محاولات لتغلغل والاختراق الخارجيين.

٢. إبقاء الأقاليم المجاورة في وضع من الضعف الشديد حتى لا تصبح عامل تهديد للأمـن القومي الروسي، ولذلك أصبح هدف المحافظة على اطراف الإمبراطوريـة لـه أهميـة المحافظة نفسها على العمق الإستراتيجي.

وظلت السياسة الخارجية لروسيا ذات شقين في توجهاتها الأول: الشق الآسيوي الـذي يتمثل في التوجه نحو الدول الآسيوية، والثاني يتمثل في الوصول إلى الميـاه الدافئـة والـتحكم بالممرات والمضايق البحرية، وذلك لمعاناتها من حالة العزلة إزاء انعدام القيمـة الإسـتراتيجية لشواطئها البحرية التي تغطيها الثلوج مدة طويلة من السنة، ولهذا فهي تتجه نحو منطقة الخلـيج وإقامة علاقات طيبة ووثيقة بدورها [1].

نخلص من كل ما تقدم إلى أنه قد طرأت متغيرات داخلية وخارجية عدة علـى وضـع روسيا الاتحادية حيث ابتعدت جغرافياً عن منطقة الخليج، واصبح يفصل بين الاثنتين الدول التي كانت خاضعة لسيطرة الاتحاد السوفيتي السابق، أما من الناحيـة الاقتـصادية فـإن الاقتـصاد الروسي يعاني أزمات اقتصادية كبيرة نتيجة التحول من الاقتصاد الاشتراكي إلى اقتصاد السوق دفعة واحدة من دون وجود سياسات حكيمة وواضحة لرفع المستوى الاقتصادي، وهو أمر دفـع بالنتيجة روسيا الاتحادية إلى تبني سياسات مختلفة عن سياسات الاتحاد السوفيتي السابق. وأبرز ما يميز هذا الاختلاف هو التخلي عن تقديم المساعدات الاقتصادية إلى دول عالم الجنوب وإقامة علاقات على أساس تحقيق المنفعة الاقتصادية وهو أمر دفع بها بالنتيجة إلى تطـوير علاقاتهـا

(١) الشيخ، نورهان، مرجع سابق، ص١٦.

الاقتصادية بدول الخليج. أما على الجانب العسكري فقد بقيت روسيا الاتحادية دولة قويـة مـن الناحية العسكرية، حيث ما زالت تملك السلاح النووي، [١]

فضلاً عن سعيها المستمر لتطوير قدراته العسكرية. ولأجل المحافظة على هذه القدرات تسعى لبيع المعدات العسكرية والحصول على العملة الصعبة من أجل الاستفادة من هذه العملات لتطوير هذا الجانب فضلاً عن حل بعض المشكلات الاقتصادية[٢].

أما على صعيد النظام الدولي، فنجد أن تفكك الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب البـاردة وتخلي روسيا عن النهج الأيديولوجي أمور أدت إلى نوع من التحسن في العلاقات الروسـية – الأمريكية، وانعكس ذلك إيجابياً على علاقات روسيا بدول الخليج ولاسيما الدول المحافظة منهـا التي كانت ترفض إقامة علاقات مع الاتحاد السوفيتي بسبب نهجه الأيديولوجي. أما على الصعيد الإقليمي فيبدو أن روسيا رأت أن التقارب مع إيران سيكفل لهـا مواجهـة المنافـسة الدوليـة والإقليمية على دول الاتحاد السوفيتي السابق، وخاصة دول آسيا الوسطى، ولاسيما بعد أن رأت أن هناك بعض نقاط التقارب ما بين وضع روسيا وإيران، ويضمن لها كذلك موطئ قدم علـى الخليج من خلال كسب إيران حليفاً لها.

أما كيفية إدراك صنع القرار السياسي الروسي لهذه المتغيرات، ورد فعله إزاءها فسوف نقوم ببحثهما في الفصل القادم [٣].

لقد مرت روسيا الاتحادية منذ إعلانها الاستقلال وتفكك الاتحاد السوفيتي بثلاث حقـب رئاسية، تولى الرئيس يلتسن الحقبتين الأولى والثانية فيها، ويعود إليهـا الفـضل فـي إعـلان الاستقلال واكتساب روسيا الاتحادية الشخصية الدولية المعترف بها، ووراثتها للـدول الكـوني

---

(١) "السياسة الخارجية الروسية: تذييل للأمريكيين"، مرجع سابق، ص٤٥.
(٢) الأصفهاني، نبيه، مرجع سابق، ص٩٦.
(٣) إبراهيم، حسين توفيق، مرجع سابق، ص٣٢.

للاتحاد السوفيتي السابق وتبعات ذلك الدول السلبية والإيجابية. ونتيجة لمرض الرئيس يلتـسن، وهو الأمر الذي حدد إمكاناته في القيام بمهامه الرسمية، ومن ثم اضطره ذلك إلى تقديم استقالته قبل انتهاء مدته الرئاسية، فقد رئي تقديم موعد الانتخابات الرئاسية التي خاضعا مجموعـة مـن المرشحين فاز عليهم بفارق كبير فلاديمير بوتين الذي شغل منصب رئيس الوزراء فـي الأيـام الأخيرة من حكم الرئيس يلتسن، ثم وصل الرئيس الحالي ديميترون إلى الحكم .[(١)]

١-بوريس يلتسن:

ولد بوريس نيكولاي يلتسن عام ١٩٣١ لأسرة ريفية في مدينة يكاتيرنبورج في منطقـة الأورال. وتؤكد أغلب الروايات أنه كان تلميذاً وعرف عنه العصيان والتمـرد[(٢)]. وقـد عمـل مهندساً معمارياً حتى أصبح المدير العام لمصنع المباني الجاهزة عام ١٩٦٣[(٣)].

وانضم يلتسن إلى الحزب الشيوعي في الثلاثين من عمره، أي عام ١٩٦١. ولم يـصبح مسؤولاً سياسياً متفرغاً إلا عام ١٩٦٨. واعتلى في مناصبه حتى عينه بريجنيف سـكرتيراً أول للحزب الشيوعي في مقاطعة سفيردلوفسك عام ١٩٧٦. ومنذ ذلك الحين أخـذ يلتـسن يكتـسب شعبية واسعة نظراً إلى ما قام به من إصلاحات وما قدمه من خدمات لمقاطعته، فضلاً عن أنـه كان أول سكرتير للحزب الشيوعي يتحدث إلى الجماهير عبر التلفزيون بانتظام، ويتبادل الحوار مع شرائح الشعب كافة، ويلتقي بهم ليجيب على أسئلتهم واستفساراتهم[(٤)].

وفي عام ١٩٨٥ انتقل يلتسن إلى العاصمة الروسية موسكو بعد أن اسـتدعاه ميخائيـل جورباتشوف لتعيينه سكرتيراً أول للحزب الشيوعي في العاصمة موسكو، حيث رأى فيه الرجل

---

(١) مظلوم، غسان، مرجع السابق.
(٢) جبر، رائد، مرجع السابق.
(٣) الشيخ، نورهان مرجع سابق، ص٢٩.
(٤) الشيخ، نورهان المصدر نفسه، ص٢٩.

المناسب لنفض الجمود الذي اعتلى الجهاز الحزبي في العاصمة، فأصبح يلتسن عند ضمه إلى المكتب السياسي للحزب من أقوى الساسة وأوسعهم نفوذاً في الاتحاد السوفيتي السابق[١].

وكان يتلسن من المؤمنين بضرورة الإسراع في التغيير[٢]، فانشق على جورباتشوف وقيادات الحزب الشيوعي مما أفقده سلطته داخل الحزب، إلا أنه حظي بشعبية واحترام كبيرين، ولاسيما داخل التيار الإصلاحي الليبرالي، فمكنه هذا من تزعم هذا الجناح الذي كان يختلف مع جورباتشوف في ضرورة الإسراع في إدخال التغييرات المطلوبة للتخلص بسرعة من الاشتراكية والافكار الماركسية اللينينية وتحول الاتحاد السوفيتي إلى دولة ليبرالية على النمط الغربي.

وفي عام ١٩٨٩ وقع عليه الاختيار في مجلس السوفييت الأعلى ليتزعم الكتلة الإصلاحية ذات النفوذ المتغلغل في مختلف مناطق الاتحاد السوفيتي، ثم انتخب رئيساً للبرلمان في ٢٩ أيار/ مايو عام ١٩٩٠، وكان لاستقالته من الحزب الشيوعي في تموز/ يوليو عام ١٩٩٠ بعد ما يقرب من ثلاثين سنة من العمل به دور كبير في زيادة شعبيته وبروزه كأحد دعائم التيار الإصلاحي في مواجهة التيار الشيوعي وتيار البيستوريكا[٣]. وفي حزيران عام ١٩٩١ تم انتخاب يلتسن في انتخابات تنافسية مباشرة رئيساً لجمهورية روسيا الاتحادية، حيث فاز بـ (٥٧،١%) من الأصوات[٤].

وقد ساعدت يلتسن السمات الشخصية التي يتمتع بها والتي تميزت بالحيوية والإقدام والشجاعة والصرامة والاستقلالية والقدرة على تحمل المسؤولية والوضوح، فضلاً عن أنه برغم

---

(١) جبنون، نور الدين، (٢٠٠٧)، صراع الإستراتيجيات في آسيا الوسطى، مجلة الأيام، ٢٠٠٧/٤/١٢، فلسطين.
(٢) زلوبن، نيكولاي، مرجع سابق.
(٣) الشيخ، نورهان ، مرجع سابق، ص٣٠.
(٤) محمود، أحمد إبراهيم، المرجع السابق.

اعتماده على الكثير من مصادر المعلومات عند اتخاذ قرار ما، فإنه عادة ما ينفرد باتخاذه مـن دون التأثير بمن حوله، فهو لا يقرر إلا ما يمليه عليه عقله، فضلاً عن تميزه بـالحزم والقـدرة على غلق باب المناقشة ووضع حد للجدل الدائر حول أي موضوع، وذلك باتخاذ قرار بـشأنه، وعند اتخاذه للقرار فلا مجال لإعادة التفكير فيه أو العدول عنه، ويكون شغله الشاغل هو كيفيـة تنفيذ هذا القرار ومواجهة المشكلات التي تكتنف تنفيذه.

وبما أن اهتمام صانع القرار بالشؤون الدولية متفاعلاً مع خبرته السابقة بفـتح مجـالاً واسعاً لتأثير أسلوبه الفردي في صنع القرار السياسي، فإننا نستطيع القـول: إن خلفيـة يلتـسن السياسية والسلطات التي تقلب فيها في حياته قد رفدتاه بخلفية جعلته أكثر تمرساً وخبـرة مـن غيره في إدارة شؤون البلاد السياسية. ومن ضمنها شؤون السياسة الخارجية، ولاسيما أنه كلمـا كان القائد السياسي حساساً للمحيط الخارجي تزايدت مرونته وتكيفـه مـع مختلـف الأوضـاع المحيطة به، وهو أمر قد تميز به الرئيس يلتسن من خلال تمكنه من إظهار مهارة فائقـة فـي التكيف مع التطورات الجارية حوله، بإجادة نفسه بطاقم من المستـشارين والإصـلاحيين مـع الاحتفاظ لنفسه بالسلطة الواسعة، بل إنه أبدى مهارة أخرى في دفع هـؤلاء المـساعدين إلـى التصارع حوله، وكلما اقتنع بان أحدهم لم يعد له فائدة بادر إلى الاستغناء عنه،[1] وفـي بعـض الأحيان قد يعاود اللجوء إليه إذا اقتضى الأمر ذلك[٤].

ومما سبق نلاحظ ان ما يوصف بالديمقراطية الرئاسية في روسـيا الاتحاديـة يختلـف اختلافاً كبيراً عن الديمقراطية الرئاسية في بقية دول العالم، فهو في الحقيقـة حكـم فـردي[٢]،

(١) اللاوندي، سعيد، المرجع السابق.

(٤) ليتوفكين، فيكتور (٢٠٠٧)، الدفاع الروسي المضاد للصواريخ ينتظر إنتهاء مفعول "سالت -٢"، صحيفة الحياة، ٢٠٠٧/٢/٢٨، لندن.

(٢) مبيضين، مخلد، (٢٠٠٧)، الموقف الأمريكي تجاه البرنامج النووي الإيراني، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، عمان.

تميزت فيه شخصية الرئيس يلتسن بالنزعة الأوتوقراطية والسلطوية[1]، قاصراً تطلعه إلى النظام الديمقراطي على الدعوة إلى استفتاء عام[2]، مستغلاً الاتساع التدريجي لسلطات الـرئيس التـي منحها له البرلمان الروسي في تشرين الثاني/ نوفمبر عام١٩٩١ عندما كان الاتحاد السوفيتي في مرحلة التفكك الأخيرة- لكي يتمكن من ممارسة مهامه. فعمد إلى تصفية المعارضة مبكراً، ولم يكن يتردد في استخدام القوة العسكرية ضدها عندما تتجاوز الحد المسموح لها .

وبرغم استمرار الخلاف بين الرئيس والبرلمان، [3]فإن السلطات الواسعة التـي منحهـا دستور عام ١٩٩٣ للرئيس، وبخاصة سلطة حل البرلمان، والقيود التي وضعها على صـلاحية البرلمان في توجيه الاتهام له حسمت هذا الخلاف لمصلحة الرئيس، فضلاً عن اتفاقيـة الوفـاق المدني في نيسان/إبريل عام ١٩٩٤ التي عدت الحدث الرئيسي الثاني الذي قصد به يلتـسن أن يكتسب أهمية دستورية، وهذه الاتفاقية لا تشكل قانوناً بل تعهداً أو عهداً بين المؤيدين لها، وهي في جوهرها وعد من جانب الموقعين عليها بتجنب تكتيكات المجابهة التي أوصلت إلى الطريق المسدود، ومن ثم أعمال العنف التي اندلعت في تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٩٣، وقد وقعـت عليها أغلبية كبيرة من الأحزاب والحركات السياسية في روسيا. وبذلك تمكن الرئيس يلتسن من تخليص الرئاسة من ضغوط برلمان يزداد عواؤه بشكل مستمر له ولسياساته وتتـصاعد قوتـه، ومن ثم أصبح للرئيس يلتسن اليد العليا في صنع السياستين الداخلية والخارجية. [4]

ومن هنا فإن صنع القرار السياسي انحصر متمركزاً بين يدي الرئيس يلتـسن والطـاقم الحكومي التابع له، وكان الرئيس كلما اشتد الخلاف بين المعارضة وبينه هدد بحل مجلس نواب

---

(1) نبيه الأصفهاني، مرجع سابق، ص١٥٥.

(2) طه، ممدوح، المرجع السابق.

(3) الشيخ، نورهان ، مرجع سابق، ص١١٢.

(4) عابدين، صدقي (٢٠٠٧). السياسة الروسية في آسيا: الأهداف والتحديات، السياسة الدولية، السنة ٤٤، العدد ١٧٠، تشرين الأول، القاهرة.

الشعب (الدوما) وإجراء انتخابات جديدة. وأمام خطر احتمال فقدان هذا النحـو تمثلـت اللعبـة السياسة في روسيا الاتحادية طوال سنوات من حكم الرئيس يلتسن في حركة تحاول ان تعترض على القرار الرئاسي، تليها مدة تفاوض ومساومة تجري حول مائدة تجمع ممثلين مـن مجلـس الدوما والرئيس مع التلويح بحل المجلس المذكور وإجراء انتخابات جديدة لكـي ينتهـي الامـر بموافقة المعارضة البرلمانية على مضض على القرار الرئاسي[١].

إن ميل الرئيس يلتسن إلى السلطوية قد حول الدستور الروسي "الديمقراطي الجديد" إلى وثيقة يمكن استخدامها لإعطاء شرعية شخصية للحكم ولاسيما أن الثقافـة الـسياسية لروسـيا الاتحادية ما زالت بعيدة عن تقبل مبدأ الموازنة كأساس للحوار السياسي[٢]. ومـن هنـا يـصح الوصف الذي أطلق على الرئيس يلتسن وجماعته بأنهم "ديمقراطيون" عند إطلاق الـشعرات و "قياصرة ديكتاتوريون" في الفعل والممارسة[٣].

ومن المناسب تقسيم توجهات الرئيس يلتسن في ساسته الخارجية إلى مرحلتين:

أ) **مرحلة السنوات الأولى من حكم الرئيس يلتـسن،** وكان الجدل يثور فيهـا بـين الـساسة وصانعي القرار في روسيا حول السياسة الواجب اتباعها وأولوياتها بين اتجاهين: [٤]

- اتجاه رأي ضرورة الاهتمام بالمشكلات الداخلية وإيجاد لهاذ قبـل الانـصراف إلـى الشؤون الخارجية وأن على روسيا تطبيق مبدأ العزلة خلال المرحلة الانتقالية الصعبة كي تتفرغ لعملية إعادة البناء في الداخل، وقد مثل هذا الاتجاه عدد مـن الكتـاب ذوي النزعـة "القوميـة

---

(١) عابدين، صدقي (٢٠٠٧). السياسة الروسية في آسيا: الأهداف والتحديات، السياسة الدولية، السنة ٤٤، العدد ١٧٠، تشرين الأول، القاهرة.

(٢) Zbigniew Brzezinski, "The Premature Partnership", op. cit., P٧١.

(٣) النجار، مصطفى عبد القادر، المرجع السابق.

(٤) إبراهيم عرفات، "إعادة التعريف الإقليمي في رابطة الدول المستقلة واثرها على النظام الإقليمي العربي"، في : مصطفى علوي (محرر)، ندوة الوطن العربي وكومنولث الدول المستقلة، مرجع سابق، ص٤٤٥.

الرومانسية" مثل فالنتين راسبوتين والكسندر سولجنيتسين وفاسيلي بيلوف، علاوة على بعـض قطاعات الكنسية الأرثوذكسية.

- اتجاه رأي ضرورة إتباع سياسة خارجية نشيطة وفعالة، والحفاظ على المكانة الدوليـة لروسيا كإحدى القوى الكبرى. إلا أنه لم يكن هناك اتفاق بين أصحاب هذا الاتجاه حول مضمون هذه السياسة وأولوياتها. فبعضهم رأى ضرورة إعطاء الأولوية لدور روسيا الإقليمي في إطـار رابطة الدول المستقلة، بوصفها المجال الحيوي والنطاق الطبيعي للنفوذ الروسي يمثلـه نائـب الرئيس الروسي آنذاك الكسندر روتسكي، على حين أكد بعضهم الآخر أهمية ممارسـة روسـيا لدور نشيط على الصعيد الدولي، وإعطاء الأولوية لإقامة علاقات قوية مع الغرب وتـأتي دول رابطة الدول المستقلة في المرتبة الثانية، مع تأكيد ضرورة إتباع سياسة غير توسعية تجاههـا، والتعامل معها على أساس المساواة والاحترام. وكان من أصحاب هذا الاتجاه الأخيـر الـرئيس الروسي بوريس يلتسن ووزير خارجيته آنذاك اندريه كويزريف، فضلاً عن بعـض المقـربين الآخرين إلى يلتسن من جماعة القوى الديمقراطية ذات التوجهات الغربية الرأسمالية(١).

وكان من نتيجة هذا الجدل في تلك المرحلة ترتيب لأولويات السياسة الخارجية الروسية يأتي في مقدمتها إقامة علاقات مع الغرب عموماً والولايات المتحـدة الأمريكيـة علـى وجـه الخصوص، على حين تراجع المحيط الإقليمي لروسيا المشتمل على دول الكومنولث ودول شرق أوروبا إلى المرتبة الثانية، وهو ما انعكس سلبياً على اهتمام روسيا بمنطقة الخليج ودورها، فلقد اتبع يسلتسن وطاقمه الحكومي خلال السنوات الأولى التي تلت تفكك الاتحاد الـسوفيتي سياسـة خارجية ذات توجه غربي- أمريكي(٢). ويعود السبب في ذلك، إلى هؤلاء الذين تـسلموا زمـام

(١) الخثلان ، صالح محمد، المرجع السابق.
(٢) ذياب، أحمد، المرجع السابق.

السلطة في روسيا الاتحادية بعدما خاضوا كل "المنازلات" مع السلطة الـسوفيتية، بـدعم مـن الولايات المتحدة الأمريكية، قد ورثوا عن جورباتشوف سياسته الموالية للغـرب فـساروا وراء ركاب السياسة الأمريكية بوجه خاص، والغربية بوجه عام، فلا حاجة لديهم إلى العلاقـات مـع الدول العربية، فهي دول فقيرة على أية حال، أما تلك الدول الغنية (دول الخليج العربية) فهـي خاضعة بشكل عام للنفوذ الغربي[١].

وكذلك صاغ الرئيس يلتسن سياسته الخارجية على أساس التقارب مع الولايات المتحـدة الأمريكية، بل التحالف معها إن أمكن، فجعل هذا العامل الأمريكي حاضراً في محددات السياسة الخارجية الروسية وتوجهاتها بصفة عامة[٢]. كما أسهم بدور محوري في التحولات والتطورات الجذرية التي أُدخلت على الأيديولوجية السوفيتية القديمة، وبدء مرحلة التحولات "الديمقراطي"، والانتقال إلى السياسات الليبرالية، وهي سياسات حظيت بدعم وتأييد كبيرين من لدن الغرب. هذا التوجه أكده الرئيس يلتسن في خطابه الأول أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في كانون الثاني/ يناير عام ١٩٩٢، بقوله: "إن روسيا سوف تهتدي بالديمقراطية كقيمة عليا، وبحقوق الإنـسان، والحرية والشرعية، وإن القوى الغربية هي من حلفاء روسيا الطبيعيين"[٣].

كما أعلن أن بلاده سوف تتبع سياسة خارجية متحررة من القيود الأيديولوجيـة، وأنهـا ستبذل جهودها للتعاون مع الغرب لإعادة بناء روسيا، وما يؤكد ذلك هو العرض الـذي قدمـه بوريس يلتسن في شباط/ فبراير عام ١٩٩٢ على الولايات المتحدة الأمريكية في أثناء زيارتـه لها لبناء درع عالمي ضد الصواريخ يحمي "العالم الحر" ويعتمد على تكنولوجيا حرب النجـوم

---

(١) العريدي، خيري، (٢٠٠٩)، العلاقات العربية الروسية تاريخ وحاضر ومستقبل، مركز الجزيرة للدراسات، قطر.

(٢) معتز محمد سلامة، "العلاقات الأمريكية الروسية وقمة فانكوفر"، ص٢١٥.

(٣) Bruce D. Porter, op. cit., P٥١.

الأمريكية والتكنولوجيا الروسية[1]. كما يأتي اقتراح الرئيس بوريس يلتسن ووزير خارجيته أندريه كوزيريف آنذاك على الغرب لعمل مشروع مارشال[2] آخر لروسيا، وأيضاً اقتراح تأسيس وكالة أو بنك أمريكي – روسي لضمان الاستثمارات في الجمهوريات المستقلة[3]. وكان هذا بمنزلة تحول جذري في نظرة روسيا إلى العالم الخارجي[4].

وقد أدى هذا التحول في السياسة الخارجية الروسية وانتفاء المواجهة والصراع بين روسيا والغرب أولاً، وتصاعد المشكلات الداخلية الاقتصادية والسياسية التي أثرت على وضعه الدولي[5] ثانياً، وقيام أندريه كوزيريف بعملية تطهير" داخل وزارته لإبعاد المحافظين الذين من شنه عرقلة عمله، [6]، فضلاً عن اشتداد الصراع بين الرئيس والبرلمان وهو الصراع الذي استحوذ على الاهتمام الاكبر لدى الجنوب، ومنها دول الخليج، وإلى مزيد من تراجع روسيا عن شغل دورها كقوة وارثة لدور الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط والخليج. بل بالعكس اتبعت روسيا سياسة موالية لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية، ولاسيما في منطقة الخليج، سعياً منها لإرضاء الولايات المتحدة ودول الغرب، فأبدت مواقف داعمة لموقفها خصوصاً في بعض الأزمات التي حدثت في المنطقة قبل منتصف التسعينيات وابرز مثال على ذلك إقدام الحكومة الروسية على إرسال قطعتين من أسطولها الحربي إلى الخليج لدعم القوات العسكرية الأمريكية

---

(١) محمد السيد سليم، مرجع سابق، ص١٤٩.

(٢) مشروع مارشال: اسم يطلق على مشروع لإنعاش الدول الأوروبية الغربية لمكافحة "الفقر والجوع والبؤس والفوضى" أعلن عنه مارشال كاتلات مارشال في خطاب ألقاه بجامعة هارفارد في ٥ حزيران/ يونيو ١٩٤٧، يهدف هذا المشروع في صميمه إلى وقف المد الشيوعي إلى أوروبا الغربية من خلال تقديم مساعدات مالية لإعادة بناء اقتصادات الدول الراغبة في التعاون مع مجموعة الدول الحرة" الرأسمالية" .

(٣) معتز محمد سلامة، مرجع سابق، ص٢١٦.

(٤) الشيخ، نورهان مرجع سابق، ص٧٨.

(5) Sberman Granett, op. cit., p٦٢.

(٦) "السياسة الخارجية الروسية: تذيل للأمريكيين"، ص٤٥.

في تكل المنطقة عام ١٩٩٢، وكان ذلك دليلاً على تخلي روسيا عن سياستها السابقة في دعم القوى التحررية والراديكالية[١].

أن السياسة الخارجية الروسية ظلت تسير وفق النهج الذي وضعه الرئيس السوفيتي ميخائيل جورباتشوف ويتمثل في مقايضة المواقف السوفيتية القديمة من قضايا وصراعات في العالم الثالث بمكاسب اقتصادية من الولايات المتحدة الأمريكية أي الحصول على ثمن إعادة توجيه السياسة الخارجية الروسية لتتواءم مع مكونات السياسة الخارجية الأمريكية[٢]. وأدى ذلك أخيراً إلى انجرار روسيا وراء سياسات الولايات المتحدة الأمريكية، وإخفاقها في إقامة علاقات متوازنة في الشرق الأوسط عموماً ومنطقة الخليج العربي خصوصاً، فأدى ذلك إلى فقدانها لدورها في هذه المنطقة في هذه المرحلة، على نحو مأساوي[٣].

ب) **المرحلة الثانية:** سعت خلالها روسيا لانتهاج سياسة خارجية أكثر إثباتاً للذات حملت صبغة روسية واضحة وارتكزت على التفسير القومي للمصالح الروسية[٤]. خاصة بعد تضافر مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية دفعت بالرئيس يلتسن وطاقمه الحكومي تجاه منطقة الشرق الأوسط عموماً ومنطقة الخليج على وجه الخصوص في محاولة منه لإعادة نوع من "التوازن النسبي" في سياسته الخارجية، وإعادة هيكلة أولويات هذه السياسة. هذا التحول يرتبط، إلى حد كبير بالتطورات السياسية داخل روسيا ذاتها، وبتغير موازين القوى لمصلحة التيارين القومي المتطرف والشيوعي، وتراجع التيار الإصلاحي الليبرالي على النمط الغربي الذي حاول فرض تصوراته على مسار السياسة الخارجية الروسية، ولكنه لم ينجح في ذلك إلا

---

(١) حسين، عدنان السيد (٢٠٠٣)، نظرية العلاقات الدولية، الطبعة الأولى، دار أمواد للنشر والتوزيع، بيروت.

(٢) "السياسة الخارجية الروسية: تذييل للأمريكيين"، مرجع سابق، ص٤٥.

(٣) التركي، ماجد بن عبد العزيز (٢٠٠٦)، العلاقات السعودية الروسية " في ضوء المتغيرات الإقليمية ١٤٢٦-٢٠٠٤"، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

(٤) "السياسة الخارجية الروسية: تذييل للأمريكيين"، مرجع سابق، ص٤٥.

في خلال المدة القليلة فقط التي أعقبت تفكك الاتحاد السوفيتي[1] من نهاية عام ١٩٩١ حتى عام ١٩٩٣، ولاسيما بعد ما ظهرت وثيقة التدابير الرئيسية لمفهـوم الـسياسة الخارجيـة لروسـيا الاتحادية.

وفي هذه المدة ذاتها تزايدت الضغوط على الرئيس الروسي يلتسن وحكومته وبخاصـة وزير خارجيته آنذاك أندريه كوزيريف، من أجل التخلي عن التوجه الغربي للسياسة الخارجية، والتركيز بدلاً من ذلك على إتباع السياسات التي تخدم مصالح روسيا وأهدافها كدولة يعتد بهـا على الساحة الدولية[2]، ولاسيما بعد ما جاءت الفضيحة التي أثارتها جريدة ديـن المعارضـة، بنشرها بعض مراسلات وزيري الخارجية الأمريكي جيمس بيكر والروسي كوزيريـف، لتثيـر ضجة في الأوساط السياسية في روسيا، حيث كشفت الوثائق التي نشرتها الجريدة المذكورة، بما لا يقبل الشك، تبعية روسيا وانجرار قيادتها وراء السياسة الأمريكية[3]، وهو الأمر الـذي أدى إلى أن يواجه الرئيس الروسي بوريس يلتسن ووزير خارجيته آنذاك انتقادات شديدة من جانـب القوميين والشيوعيين – ذوي الأغلبية في البرلمان- واتهامات باتباع سياسة "مذلة" لدولة كانـت القوة العظمى الثانية في العالم حتى وقت قريب، وأن الولايات المتحدة الأمريكية – بحسب قولهم – ل يمكن أن تساعد روسيا لكي تستعيد قوتها الاقتصادية وتنافـسها مـن جديـد، وأن هـدف الولايات المتحدة الأمريكية هو تقويض القوة العسكرية الروسية وإنهاء المنافسة الروسية علـى

---

(١)Gat, Azar, (٢٠٠٧). The Return of Authoritarian Great Powers, Foreign Affairs, vol. ٨٦, no٤,. July/August.

(٢)Gomart, Thomas (٢٠٠٧), France's Russia Policy: Balancing Interests and Values, Washington Quarterly, vol.٣٠, No٢.

(٣)Egypt News.٢٠٠٩, "Russia Eyes Long Term Wheat Contracts with Egypt". June ٢٣, ٢٠٠٩/ www.New.egypt.com.

الصعيد الدولي، وهم بهذا يحملون الشعور نفسه بالكره للغرب، ويطالبون بضرورة أن تـستعيد روسيا موقع الدولة العظمى.

ومما يثبت صدق ادعاءات التيارات المعارضة عدم تقديم الغرب- ولاسـيما الولايـات المتحدة الأمريكية- إلى روسيا ما كانت تنتظره من مساعدات واستثمارات وتكنولوجيا متقدمـة تساعدها على تجاوز أزمتها الاقتصادية والنهوض من جدد، بل عدم الرغبة في دمج روسيا في "الحضارة الغربية" فعلى الرغم من كونها دولة أوروآسيوية فإنها لن تكون بـأي حـال دولـة غربية، فأوروبا كانت تشعر دائماً بأن روسيا لا تنتمي إليها حيث كانـت دائمـاً أقـرب إلـى الشرق[1]. هذا إلى جانب محاولة الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكيـة تجاهـل روسـيا دولياً، واستبعادها عن ممارسة دورهما في بعض القضايا ذات الحساسية والأهمية لروسيا، وفي مقدمتها قضية توسيع حاف شمال الاطلسي بالاتجاه شرقاً، وهو الذي رأت فيه الحكومة الروسية تهديداً لأمنها القومي، فأدى هذا إلى ظهور تحذيرات قوى سياسية مختلفة، ولاسـيما مـن بـين القوى السياسية الرسمية ضد أي توسع لحاف شمال الأطلسي يشتمل على جمهوريـات الاتحـاد السوفيتي السابق[2].

هذه العوامل وغيرها دفعت القيادة الروسية إلى إعادة هيكلة سياستها الخارجية واتبـاع سياسة أكثر استقلالية وتوازناً، وتمثل ذلك من خلال شواهد عدة منها قيام الحكومة الروسية عام ١٩٩٣ بالإعلان عن أنها ستتبع سياسة جديدة ومتزمتة تجاه من لا يحترم أهدافها أو يتعـارض معها[3]، كذلك يتأكد هذا التوجه الجديد لروسيا من خلال قراءة تصريح الرئيس يلتسن الذي قال فيه: "إن روسيا تريد أن تتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية على أساس التكـافؤ بوصـفهما

---

(١) Richard Pipes, Op. cit., P٦٧-٦٨.

(٢) مظلوم، غسان ، المرجع السابق.

(٣) إبراهيم عرفات، مرجع سابق، ص١١٨.

دولتين عظميين.. فالتنازلات تهين مشاعرنا الوطنية"[١]. وقوله أيضاً: "إن روسيا ليست الدولة التي يمكن الاحتفاظ بها في غرفة الانتظار، وإنها ليست الدولة التي تقول نعم فقط".

٢- الرئيس الروسي فلاديمير بوتين:

تسلم فلاديمير بوتين سلطته من الرئيس الروسي السابق بوريس يلتسن الذي أعلن استقالته فجأة في ٣١ كانون الأول، أي قبل ستة أشهر من موعد الانتخابات الرئيسية المقرر في ٤ حزيران ٢٠٠٠[٢].

وتم تقديم موعد الانتخابات بموجب الدستور الروسي الذي يحدد طول الفترة الانتقالية بما أقصاه ثلاثة أشهر، على أن تجري الانتخابات في يوم الأحد الأخير قبل انتهاء هذه المدة. وجاء قرار مجلس الاتحاد للبرلمان الفيدرالي الروسي في مطلع كانون الثاني بإجراء الانتخابات في ٢٦ آذار ٢٠٠٠[٣].

ولد فلاديمير بوتين، الروسي الأصل في ٧ تشرين الأول ١٩٥٢ في مدينة سان بطرسبرغ العاصمة الشمالية لروسيا الاتحادية التي كانت وقتذاك تدخل في قوام الاتحاد السوفيتي، وكانت عائلة بوتين متواضعة الحال، إذ كان والده يشتغل عاملاً في مصانع المدينة، وأدرك بوتين من صغر سنه أنه يجب أن يعتمد على النفس في شق طريقة في الحياة. وليس من جراء المصادفة أن بدأ بوتين مزاولة رياضة المصارعة من النوع "سامبو" الروسي الأصل المخصص للدفاع عن النفس بال سلاح. ومع مرور الزمن أتقن بوتين هذه الرياضة إلى جانب بعض الفنون الشرقية الأخرى من المصارعة[٤].

---

(١)Richard Pipes, Op. cit., P٦٥.

(٢) وكالة الصحافة الفرنسية (١ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٠).

(٣) "الانتخابات الرئاسية الروسية: بوتين المرشح الأول"، محطات إستراتيجية، العدد ٢٢ (بغداد: ٢٠٠٠) ص١.

(٤) الانتخابات الرئياسية الروسية، المصدر نفسه، ص١ .

إلا أن هواية الرياضة لم تتحول إلى الاحتراف، خاصة وأن بوتين التحق بكلية الحقـوق في جامعة لينينجراد (سانت بطرسبرج حالياً) وكان من المتفوقين في الدراسة وكان من أسـاتذته أناطولي سوبتشاك، الذي لعب فيما بعد دوراً كبيراً في مصير بوتين[١].

وعقب تخرجه، التحق بوتين عام ١٩٧٥ بجهاز لجنة أمن الدولة (كي.جي.بي)، وانخرط في سلك الدائرة الأولى (الاستخبارات الخارجية) وبالتحديد في فرعها بمدنية لينينجـراد مـسقط رأسه، حيث اشتغل في مناصب مختلفة حتى تم إيفاده عام ١٩٨٥ إلى مجموعة القوات السوفيتية بألمانيا الديمقراطية ليزاول نشاطه الخاص في مدينة ليبزج خلال خمس سـنوات تحـت سـتار وظيفة مدير دار الصداقة السوفيتية- الألمانية[٢].

في مطلع عام ١٩٩٠ عاد بوتين إلى لينينجراد كضابط احتياط برتبة مقدم، ووظف فـي الجامعة التي كان قد تخرج فيها بصفة مساعد رئيسها للشؤون الدولية، وذلك بعد أن شهد انهيار سور برلين وتوحيد ألمانيا وزوال جمهورية ألمانيا الديمقراطية عن الخريطـة الـسياسية عـام ١٩٨٩، وسقوط خطوط الدفاع الأمامية للإمبراطورية السوفيتية التي كان الذود عنهـا واجـب السوفييت المقدس[٣].

وقد اختار أناطولي سوبتشاك الذي كان قد انتخب رئيساً لمجلس نواب الشعب في مدينة لينينجراد، بوتين للعمل بصفة مستشار للشؤون الدولية، ثم أصبح بوتين رئيـساً للجنـة المدينـة للعلاقات الخارجية بعد انتخاب سوبتشاك عمدة لمدينة لينينجراد التي غير اسمها لاحقاً إلى سانت بطرسبرغ (وهو اسم المدينة الأصلي). وخلال المدة الممتدة من حزيران / يونيـو ١٩٩١ إلـى

(١) المصدر نفسه، ص١.

(٢) http://abcnews.go.com/reference/bios/putin.html.

(٣) Ibid.

حزيران / يونيو ١٩٩٦ تحول بوتين إلى إحدى الشخصيات المهمة والمتنفذة في الحياة السياسية، والاقتصادية لهذه المدنية الكبرى التي يقطنها حوالي ٤ ملايين نسمة[1] .

في عام ١٩٩٤ رقي بوتين إلى منصب النائب الأول لرئس حكومة سـانت بطرسـبرج ليحصل على صلاحيات واسعة شملت مكاتب التمثيـل الدبلوماسـي والجمعيـات الاجتماعيـة والشرطة وغيرها من الاجهزة، وفي الوقت ذاته كـان بـوتين يـشرف علـى المـشروعات الاستثمارية الكبرى في المدينة.

وفي خريف عام ١٩٩٥ حين انطلقت عملية إنشاء البنى التنظيمية لحركة بيتنا روسـيا بزعامة فيكتور تشيرنوميردين رئيس الحكومة الروسية آنذاك، وجاءت توجيهات مـن المركـز بشأن تعيين المحافظين و نوابهم على رأس المنظمات الإقليمية للحركة التي عدت حينذاك حزبـاً للسلطة، قرر سوبتشاك إيفاد بوتين لرئاسة مجلس فرع مدينة سانت بطرسـبرغ لحركـة بيتنـا روسيا وتنظيم حملتها الانتخابية في العاصمة الشمالية في إطار انتخابات مجلس الدوما في كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٩٥ [2]. وهكذا بقي بوتين مع سوبتشاك طوال مدة ولايته حتى هزيمـة الأخير في انتخابات محافظ المدينة عام ١٩٩٦

وفي مطلع عام ١٩٩٧ تم استدعاء فلاديمير بوتين إلى موسكو حيث عين في منـصب نائب مدير شؤون الدولة وتولى بإشراف مديره بافل بـورودنين معالجـة المـسائل القانونيـة والخاصة بالعلاقات الخارجية، وكان من بين اختصاصاته تقرير مستقبل أملاك وزارة العلاقات الاقتصادية الخارجية في تكل البلدان التي تم إغلاق مكاتب تمثيلهـا فيهـا بموجـب القـرارات الحكومية، وسرعان ما اكتسب بوتين شهرة في الكرملين فأسفر ذلك عن انتقاله في آذار ١٩٩٧

(١) http://news.bbc.co.uk/low/english/world/europe/newsid-٤١٥٠٠٠/٤١٥١٢٤stm.

(٢) مغايري، مازن، مرجع سابق.

إلى العمل في ديوان رئيس الدولة في منصب رئيس إدارة الرقابة لدى رئيس روسيا الاتحادية. وفي أيار عام ١٩٩٨ رقي بوتين إلى وظيفة النائب الأول لمدير ديوان رئيس الدولة ليصبح مسؤولاً عن الاتصال بمناطق روسيا وأقاليمها والإشراف على أجهزتها الإدارية والتنفيذية[١].

وفي ٢٨ حزيران عام ١٩٩٨ تم تعيين فلاديمير بوتين مديراً لدائرة الأمن الفيدرالية في روسيا بموجب مرسوم خاص صدر عن رئيس الدولة آنذاك بوريس يلتسن، وحدث هذا التطور مع تأزم الوضع في البلاد من جديد، وفي البداية أثار مجيء بوتين وهو برتبة مقدم احتياط عدم الرضى في صفوف المخابرات الروسية قبل أن يتأكدوا من المستوى الرفيع من تأهيل بوتين المهني وكفاءته الإدارية. ويكفي القول: إن مدير الدائرة الجديد خلاص سنة واحدة من توليه منصبه أعاد تنظيم جهاز الدائرة المركزي، وقلص عدد العاملين فيه من ٦٠٠٠ عنصر إلى ٤٠٠٠ مع تعزيز فروعها الإقليمية في آن واحد[٢].

ومن ثم عين بوتين في ٢٩ آذار عام ١٩٩٩ سكرتيراً لمجلس الأمن القومي الروسي مع حفاظه على منصب دائرة الأمن الفيدرالية. وشارك في تشكيل حكومة سيرجي ستيباشين الذي حل محل بريماكوف في أيار ١٩٩٩ عندما أخفق الأخير في محاولة إقناع مجلس الدوما بعدم تصعيد التوتر في البلاد أو التخلي عن سعيه لإقصاء رئيس الدولة من منصبه عن طريق توجيهه التهم إليه[٣].

وضاق الرئيس يلتسن صبراً بعد أن ارتكب ستيباشين أخطاء فادحة في شمال القفقاس، وتجاهل خطورة الوضع في المنطقة، ولم يأخذ على محمل الجد إنذارات الأجهزة الأمنية الروسية باحتمال إقدام قادة التشكيلات الشيشانية المسلحة على تنفيذ غارة مفاجئة على داغستان

(١) Ibid.

(٢) http://abcc.news.go.com/reference/bios/putin.htoml.

(٣) Ibid.

بأعداد كبيرة من المقاتلين. وكان ستيباشين على اعتقاد بأن القوات المسلحة الروسـية سـتكون قادرة على لجم المعتدي خلال أيام عدة دون خسائر تذكر، وأثبتت التطورات اللاحقـة بطـلان حجج رئيس الوزراء. ومن ثم توصل يلتسن إلى استنتاج حول استحالة بقاء ستيباشين في منصبه فقام بتعيين بوتين رئيساً جديداً للحكومة الروسية في ٩ آب عام ١٩٩٩. واقر مجلـس الـدوما مرسوم الرئيس بهذا الخصوص في ١٦ آب ، بل أكثر من ذلك، إذ أعلن يلتسن أنه "يعد بـوتين خليفة له". وسرعان ما تأكدت النخبة السياسية الروسية من أن مثل هذا الإعلان لا يمـت بأيـة صلة إلى أهواء يلتسن المألوفة[١].

صحيح أن يلتسن جرب مختلف المرشحين لتولي قيادة البلاد بعد رحيله الحتمي إن آجلاً أو عاجلاً، وكان معجباً في فترة من الفترات بالثنائي المكون من الإصلاحيين الشابين بـوريس نيمتسوف وأناطولي تشاوبايس وهما النائبان الأولان في حكومة فيكتور تـشيرنوميردين، إلا أن آماله خابت وتغير رأيه فيهما بعد أن رأى تصرفاتهما غير المـشرفة مـن النـاحيتين العمليـة والأخلاقية. ثم وقع اختياره على شخصية سيرجي كيرينيكو الذي كان يبلغ من العمر ٣٥ سـنة فقط ليعينه فجأة على رأس الحكومة الروسية قبل أن يسقط معها تحت هزات الأزمة المالية، هنا جو دور نيكولاي بورديوجا المدير السابق لدائرة حراسة الحدود الفيدرالية وسـكرتير مجلـس الأمن الروسي فيما بعد. إلا أنه لم يبد أية جاهزية لخوض الصراعات السياسية الداخلية. [٢].

ولم ينجح سيرجي ستيباشين في إرضاء الرئيس بدوره إذ بدا ناعماً ومقبلاً على عقـد صفقات وإيجاد حلول وسطى مع المعارضة غير حاسم في الدفاع عن أمن الدولة. ووقع اختيار

---

(١) Ibid.

(٢) Ibid.

الرئيس أخيراً على فلاديمير بوتين بوصفه رجلاً قوياً ومخلصاً. وهكذا أصبح رئيس الحكومة قائماً بأعمال الرئيس أو رئيساً بالوكالة بدءاً من ٣١ كانون الأول ١٩٩٩ .[1] .

ومن صفات بوتين المميزة الأخرى تمسكه بالنظام في كل شيء، وقدرته على رباطة الجأش، والتصرف بشكل عقلاني وتفضيل المناورات الدبلوماسية على الهجوم الجبهوي. وفي علاقاته مع الرؤساء والمرؤوسين ومع الأصدقاء والاعداء يعرف بوتين حدود التصلب ذي المرونة والتوافق والاستقامة. والمعروف عن بوتين أيضاً انه يراعي الجوانب الشكلية والرسمية بدقة معاملاته متجنباً اللجوء إلى المستشارين العاملين في الظل، وفي الوقت نفسه يتسم نمط سلوكه بالبساطة والانفتاح مع المرؤوسين. لم يعمل بوتين في الساحة الأيديولوجية، ولم يتقدم بأية برامج سحرية واعدة بتحقيق التحولات والإصلاحات الجذرية والراديكالية التي من شأنها تغيير وجه البلاد بين ليلة وضحاها. ويسترشد بوتين بالقيم الحضارية مثل: الديمقراطية وحقوق الإنسان، وحرية التدبير الاقتصادي، وتنوع الملكية، وضرورة وجود الدولة القوية القادرة على الدفاع عن الوطن والمواطن، ومراقبة العمليات الجذرية الجارية في الحياة الاقتصادية وضبطها[2].

وبهذا، وبعد مرور مدة من الشكوك والتردد في دبلوماسية روسيا الاتحادية- في المرحلة التي تلت تفكك الاتحاد السوفيتي- تجاه منطقة الخليج بسبب التوجهات الغربية للقيادة الروسية نجد أنه حل شيئاً فشيئاً في الأوساط الروسية المسؤولة داخل الكرملين نوع من الإجماع حول بحث فكرة التزام روسيا الاتحادية بضرورة حماية الشعوب الصغيرة في الشرق الأوسط ومساندتها في مواجهتها للغرب السالب والنهاب لثرواتها ولم يقصر هذا التحول على القائمين

---

(١) نقلاً عن عبدالوهاب محمد، مرجع سابق، ص١٢٣.

(٢) Ibid.

بالدبلوماسية الروسية ولكن امتد إلى الصفوة الروسية باتجاهاتها كلها، التي كانت أكثر اهتماماً بعملية تحويل البلاد إلى نظام ليبرالي ديمقراطي[1].

وبغض النظر عن كل ما تقدم فإنه يمكن ان نرصد أهم سمات السياسة الخارجية الروسية، من خلال تحديد أهم معالم التوجهات العامة لسياسة روسيا الاتحادية في :[2]

أ- أنها تسعى لبناء سياسة خارجية براجماتية، عن طريق المزيد من التباعد عن الحجج الأيديولوجية التي كانت في الماضي القريب أساس التحرك الدبلوماسي السوفيتي، مع إحلال مسوغات اقتصادية وإستراتيجية أكثر وضوحاً وتعبيراً عن تطلعات روسيا المستقبلية محلها، وهو أمر يمكننا ملاحظته في الإعلان الذي كان قد ألقاه الرئيس السابق يلتسن عشية تفكك الاتحاد السوفيتي، أمام المؤتمر غيرا لعادي لنواب الشعب لجمهورية روسيا (البرلمان الروسي) في تشرين الأول عام ١٩٩١، فقد أعلن يلتسن عن بدء مرحلة جديدة يتلخص جوهرها في التحول من الدعوة إلى إعادة بناء الاشتراكية إلى الدعوة إلى إقامة بناء جديد[3]. وفي خطاب آخر له عشية انتخابات عام ١٩٩٥ انتقد الرئيس يلتسن الدعوات التي أطلقها الشيوعيون لإعادة الاتحاد السوفيتي، وأضاف إلى ما بنته بلاده من العلاقات الودية مع الدول المجاورة سيتحول إلى مأساة في حالة مناقشة مثل هذه الأفكار، وأشار في خطابه إلى الإصلاحات السياسة التي قامت بها حكومته، والتي دعا المواطنين إلى دعمها والتفكير في مستقبلها بقوله: "إننا لا نحتاج إلى ثورات جديدة، بل إلى مزيد من حياة جديدة تتميز بالنظام والأمن"[4]. وصحيح أن يلتسن لم يذكر الشيوعيين صراحة ولكنه دعا إلى الاعتبار بالنتائج التي قادت إليها ٧٠ عاماً ماضية من

---

(١) http://abcc.news.go.com/reference/bios/putin.htoml.

(٢) Karen Dawisha and Bruce Parrott, op. cit., P٢٠١-٢٠٢.

(٣) نبيه الأصفهاني، مرجع سابق، ص٢٦٧، ٢٧٠.

(٤) الأصفهاني، نبيه، مرجع سابق.

الدمار في تاريخ روسيا ووصف بعض الأحزاب بأنها "تسعى لإعادة البلاد إلى ذلـك الماضـي المخيف"[١].

أن نستشف القيم التي بدأ يلتسن يعمل بها، فعمد إلى إظهار قطع علاقات بلاده بالماضـي الشيوعي وتأكيد ذلك، والتخلي عن ركائز الحرب الباردة كافة بما يها الأيديولوجية الماركسية – اللينينية فقم بوقف نشاط الحزب الشيوعي في روسيا. وهنا أشار أحد المحللين السياسيين بقولـه: "لم يشهد التاريخ من قبل إمبراطورية تقوقعت من دون حرب، من دون ثورة، ودون غـزو"[٢] وهو يعود بأحد أسبابه إلى الطريق أو النهج الذي اتبعه يلتسن للوصول إلى نتيجة كهذه، تبنيـه لقيم مختلفة عن قيم أسلافه، فهذا الرئيس التشكي فاكلاف هافل يذكر: "لم يزل جورباتشوف أسير الشيوعية، بينما حرر يلتسن نفسه من قيدها"[٣]. حيث شهدت التسعينيات في روسيا انقلاباً عميقاً في سياستها الخارجية، فكان أهم ما طرأ عليها من تغيير هو الـتخلص النهـائي مـن مبـادئ الماركسية اللينينية التي كانت تحكم تحرك النظام السوفيتي المخصص للسياسة الخارجية الـذي كان ينص على المبادئ الإيديولوجية التي هيمنت على السياسة الخارجية، مثل ضرورة العمـل من أجل دعم المبادئ الاشتراكية الدولية ونصرتها[٤]. وهو الخط نفسه الذي يـسير عليـه الآن فلاديمير بوتين إذْ يؤكد أن "روسيا تسعى لبناء سياسة خارجية ترتكز على الثبات والقابلية للتنبؤ والبرجماتية ذات المزايا المشتركة للطرفين، إن هذه السياسة هي سياسة ذات شـفافية قـصوى

(١) الإمارة، لمى مضر (٢٠٠٥)، المتغيرات الداخلية والخارجية في روسيا الإتحادية، ط١، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبو ظبي.

(٢) ن. د. تينجي، مرجع سابق، ص٢١٠؛ كذلك راجع: لطفي الخولي، مرجع سابق، ص١٤٢.

(٣) ريتشارد نيكسون، مرجع سابق، ص٥٣.

(٤) نقلاً عن: المرجع السابق، ص٥٧.

تأخذ في حسابها المصالح المشروعة للدول الاخرى، وتهدف إلى التوصل إلى قرارات مشتركة تخدم مصالح كل الاطراف"[١].

ب- الضمان الاكثر جدية بعدم العودة إلى الـوراء منـذ تـواري عـصر الأيـديولوجيات المتصارعة على الساحة الدولية، وهنا يقف يلتسن وخليفته فلاديمير بوتين فـي نظـر الغـرب الحماة للخط الدبلوماسي الجديد الذي انتهجته روسيا في عصر العولمة وحرية الأسواق[٢].

ج- وضع هدف جديد للسياسة الخارجية الروسية وهو هدف المنافسة على الأسواق، حيـث أحل الدستور الجديد هدف المنافسة على الأسواق العالمية محل المواجهة الأيديولوجية. وقد جاء هذا التحول نتيجة اقتناع المسؤولين الروس باستحالة تولي قيادة الثورة الاشتراكية في العـالم[٣]. وبرغم أن تحقيق هذا الهدف لا يخلو من الصعوبات التي سرعان ما انعكـست علـى الـسياسة الخارجية الروسية، فإن ما استوجبه من إعادة ترتيب الأولويات كان يعكس خطط الإصـلاحات البنيوية الجديدة وحركة الانفتاح المالي والاقتصادي على الخارج[٤].

وهنا يظهر الفرق بين القادة الروس الحاليين وغيرهم من القادة السوفييت السابقين، فخلافـاً للاتحاد السوفيتي فإن روسيا الاتحادية تفضل – لأسباب اقتصادية أولاً- إرسـال المـزي مـن الأسلحة إلى الدول التي تستطيع دفع ثمنها، ومن هنا تلقى منطقة جنوب غرب آسـيا، وتحديـداً غيران ودول الخليج العربية الغنية اهتماماً أكبر لدى تجار الأسلحة في روسيا من أجـل زيـادة

---

(١) الإمارة، لمى مضر (٢٠٠٩)، الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

(٢) V. Putin, "The Foreign Policy Concept of the Russian Federation", Strategic Digest, Vol. xxx, No.٩., (September ٢٠٠٠): ١٢٥١-١٢٥٤.

(٣) نبيه الأصفهاني، "انطلاقة جديدة لدبلوماسية روسيا الاتحادية"، مرجع سابق، ص٢٧٠.

(٤) نبيه الأصفهاني،"السياسة الخارجية الروسية في مرحلة التحول الديمقراطي"، مرجع سابق، ص٢٢٥.

مبيعاتهم، ويعد هذا الأمر أحد الأسباب الرئيسية التي كانت وراء حدوث خلافات بين الفينة والأخرى بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية[١].

د- الرفض الحازم لعالم يحكمه قطب واحد، والتطلع الشديد إلى إقامة عالم متعدد الأقطاب، بحث قال الرئيس السابق يلتسن: "إن السياسة الخارجية الروسية ترمي إلى بناء منظومة من العلاقات الدولية أساسها التصور بأن عالمنا متعدد الأقطاب، ولا ينبغي أن يهيمن فيه مركز قوة واحد بعينه، وقد أوضحت بلادنا رؤيتها إلى النظام العالمي الجديد في مناسبات عدة، كما أوضحناه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، وملخصها ببساطة أن عالم القرن الحادي والعشرين يجب أن يقلل من اعتماده على القوة العسكرة ويزيد من اعتماده كثيراً على قوة الحق، ولذلك نقترح عقد معاهدة الاستقرار والأمن النووي باشتراك كل الدول النووية"[٢].

ولا نجد أي اختلاف بين توجهات يلتسن وفلاديمير بوتين، إذ يذكر بوتين في إحدى المقالات التي كتبها بعد توليه الرئاسة أن "تحديات وتهديدات جديدة للمصالح القومية لروسيا قد بدأت تظهر على الصعيد العالمي، فهنالك سعي متزايد نحو تأسيس هيكلية عالمية أحادية القطبية تسيطر بموجبها الولايات المتحدة الأمريكية عسكرياً واقتصادياً على العالم وباستخدام القوة. إن روسيا ستسعى لتحقيق نظام عالمي متعدد الأقطاب يمكن فعلاً أن يعكس التنوع الموجود في العالم الحديث بمصالحه المتنوعة الكبيرة".

ومن هذا المنطلق الجديد تصاعدت المنافسة بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، حيث اتسم التحرك الروسي بالتميز المتزايد في محاولة تحدي القرارات الأمريكية لإنهاء الأزمات التي اندلعت منذ نهاية الحرب الباردة. ففي مختلف الأزمات التي اندلعت في أوروبا وفي منطقة

---

(١) نبيه الأصفهاني، المصدر نفسه، ص٢٢٥.

(٢) بريماكوف يفغيني، روسيا من أركان أنابوليس، صحيفة الحياة، ٢٠٠٧/١١/٢٨.

الخليج العربي كان التحرك الروسي دائماً يحاول التخفيف من صرامة القرارات التي تـصدرها الولايات المتحدة الأمريكية من منطلق قوة القطب الواحد الذي بقي على الساحة الدولية، ويتقرح الحلول الوسطى التي تتوافق أكثر مع تطبيق التسويات السلمية، كذلك لم يخل هذا التحرك مـن توجيه انتقادات إلى السياسات الأمريكية[١].

٥- تفعيل دور الأمم المتحدة، فقد كان يلتسن يؤمن بفكرة الجهود الجماعيـة لنـزع فتيـل النزاعات في كل مناطق العالم الساخنة، ويستند منطقه هذا إلى العمل على ألا تؤدي النزاعـات المحلية أو الإقليمية على حدوث مواجهة أو خلق توتر بين القوى الكبرى[٢]، فهو باستمرار يعيد تأكيد ضرورة إعطاء الأمم المتحدة دوراً فاعلاً في الساحة الدولية، ويظهر دعماً كبيراً لإجمـاع واسع في الأمم المتحدة حول إعطاء دور أكثر فعالية للأمني العام في حل الخلافات والتعاون مع المنظمات الإقليمية لخلق بيئة مثلى للمفاوضات. وهو الشيء نفسه الذي يؤكده فلاديمير بـوتين أيضاً، إذ يذكر أن "إستراتيجية الفعل المنفرد يمكن أن تؤدي إلى الإخـلال باسـتقرار الوضـع الدولي وتثير حالات من الشد في العلاقات الدولية، وتشجع سباق التسلح تسيء إلـى العلاقـات المتبادلة بين الدول. إن استخدام وسائل القوة متجاوزين الآلية الشرعية الدولية الراهنة سـيؤدي إلى تخريب أسس القانون الدولي والنظام. وينبغي أن تبقى الأمم المتحدة المركز الرئيسي لتنظيم العلاقات الدولية في القرن الحادي والعشرين، وستبقى روسيا الاتحادية تقاوم بحزم المحـاولات الهادفة لتقليل دور الأمم المتحدة ومجلس الأمن في الشؤون الدولية"[٣]. ويؤكد بوتين أن ترصين دور الأمم المتحدة في العالم يحتاج إلى:

---

(١) V. Putin, op. cit., P١٢٥٣.

(٢) نبيه الأصفهاني، "السياسة الخارجية الروسية في مرحلة التحول الديمقراطي"، مرجع سابق، ص٢٢٧.

(٣) V. Putine, op. cit., P١٢٥٤.

- التنفيذ الحازم للمبادئ الأساسية الواردة في ميثاق الأمم المتحدة، ومنها حماية موقع الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن.

- إصلاح عقلاني لمنظمة الأمم المتحدة يهدف إلى تطوير آليات الفعل السريع للأحداث الدولية، ويضمن ذلك ترصين قدرتها على تسوية الأزمات والنزاعات.[١]

- العمل على تفعيل كفاءة مجلس الأمن الذي يتحمل المسؤولية الرئيسية لإدامة السلم والأمن في العالم ولإعطائه تمثيلاً أوسعن وذلك بضم أعضاء دائمين جدد إلى تشكيلته.

- أن إصلاح الأمم المتحدة ينبغي أن يرتكز إلى حق النقض غير القابل لأن يخرقه الأعضاء الدائمون في مجلس الأمن الدولي.

و - تأكيد القادة الروس الدور الأساسي للسلاح النووي لمستقبل الامن القومي الروسي، فقد نقلت وكالة أنباء انترتاس قول أحد كبار المسؤولين في الكرملين بمناسبة انعقاد الدورة الاولى لمجلس الأمن القومي الروسي إن: "القوات النووية تشكل، وستبقى كذلك، العنصر الأساسي لأمننا وقوتنا العسكرية"[٢].

الرئيس الروسي ديمتري ميدفيديف

يعتبر ديمتري ميدفيديف أصغر رئيس /ملك روسي أو سوفيتي منذ تولي نيكولاس الثاني(٢٨ عاما آنذاك) حكم روسيا سنة١٨٩٦، في الأصل بدأ حياته العملية كمحامي لامع يكره المخاطرة ،وفيما يلي نبذة عن سيرته : في ١٤-٩-١٩٦٥ ولد ديمتري ميدفيديف في لينينجراد التي أصبح اسمها الحالي (سان بيترسبورج)، كان أبوه يعمل بروفيسور في الهندسة وأمه مدرسة لغات وهو الابن الوحيد لوالديه، وقد تعلم ديمتري بالمدارس حتي التحق بكلية للقانون

(١) Ibid.

(٢) طه، ممدوح، المرجع السابق.

وفي عام١٩٨٧ تخرج في كلية القانون جامعة لينجراد الحكومية وفي عام١٩٩٠ حصل علي شهادة الدكتوراه في القانون الخاص من جامعة لينجراد الحكومية ، وفي ١٩٩٠ عمل في مجال التدريس محاضرا في جامعة لينجراد الحكومية ، وبعد سقوط الشيوعية في روسيا تم تغيير اسم الجامعة الي جامعة بيترسبورج بعد تغيير اسم المدينة إلي بيترسبورج، وفي الفترة من عام١٩٩٠ حتي عام١٩٩٥ عين مستشارا لرئيس المجلس التشريعي في المدينة, ومستشارا قانونيا في لجنة العلاقات الخارجية في مكتب عمدة مدينة بيترسبورج. وفي ذلك الوقت, كان فلاديمير بوتين نائبا للعمدة ومسئولا عن الشئون الخارجية في البلدية وكان ميدفيديف مستشارا قانونيا.[1]

واختار بوتين ميدفيديف كصديق حميم عن قناعة وثقة, لأنه احتك به في قاعة بلدية مدينة سان بطرسبرج, ونسج الاثنان منذ ذلك الحين صداقة مستمرة. وكون ميدفيديف لنفسه صورة الليبرالي الكلاسيكي في زمن تسود فيه المشاعر القومية المناهضة للغرب، وعمل ميدفيديف محاميا رئيسيا لدى شركة اليم بالب للورق وساعد في تأسيس الشركة على الرغم من أن زملاءه يقولون انه لم يعامل قط كند لملاك الشركة. وصارت الشركة واحدة من أبرز الشركات الروسية في القطاع الذي تبلغ قيمته مليارات الدولارات.[2]

وقال زميله السابق "كان يتقاضى راتبا ودخل في التجارة الحقيقية في التسعينيات. لقد رأى الواقع." وأضاف:" لكن ميدفيديف تبنى موقفا غير معتاد آنذاك فلم يكن يدفع الرشوة وخسر قضية في المحكمة خاصة بالشركة لانه رفض أن يعطي القاضي مالا." في ١٩٩٩ تولي

---

(١) الرئيس الروسي الجديد ديمتري ميدفيديف، ٢٠٠٨/٣/٣، نقلاً عن موقع لآلئ على الرابط التالي:
http://lalipost.jeeran.com/archive/٤٨٨٣٩٧/٣/٢٠٠٨.html

(٢) ديمتري ميدفيديف الرئيس الثالث لروسيا الاتحادية، ٢٠٠٩/٨/١٤، نقلاً عن موقع روسيا اليوم على الرابط التالي:
http://arabic.rt.com/news_all_info/٣٣٢٣

فلاديمير بوتين منصب رئاسة الوزراء في روسيا, في نوفمبر ١٩٩٩,عين بوتين المذكور نائبا لرئيس المؤسسات الحكومية, وبعد شهر صار بوتين رئيس روسيا بالوكالة فقام بتعيين المذكور نائبا لرئيس موظفي الكرملين، وفي عام٢٠٠٠ رقي ليصبح نائبا أول للديوان الرئاسـي، كمـا تولي ادارة حملة بوتين الانتخابية الرئاسية التي أجريت في مارس٢٠٠٠، وفـي يونيـو٢٠٠٠, انتخب لمنصب رئيس مجلس إدارة شركة "غازبروم" عملاق صناعة الغاز في روسـيا التـي تسيطر عليها الحكومة وهي أكبر شركة للغاز في العالم.

فلما تولى أعلى منصب في شركة جازبروم أظهر قوته أمام الكرملين من خلال اجرائه اصلاحا جوهريا للشركة سمح للحكومة بتعزيز سيطرتها ولكن في الوقت نفسه فـتح المجـال للاجانب بتملك أسهم الشركة وكذلك خلال خدمته في جازبروم غضب من تـصرفات أوكرانيـا فقطع امداد أوكرانيا بالغازالروسي، وفي نوفمبر٢٠٠٥ عينه بوتين نائبا أول لـرئيس الـوزراء الروسي، يعرف عن ميدفيديف أنه من الخبراء بالأمور الاقتصادية, وكان هذا واضـحا عنـدما تسلم رئاسة المجلس المسئول عن تنفيذ المشاريع الوطنية الكبري, ومنها الاشراف علـي حملـة توزيع عائدات بيع الغاز الروسي علي مشاريع لتحسين قطاعـات الـصحة العامـة والاسـكان والزراعة والتعليم والخدمات الاجتماعية، وميدفيديف ليس عضوا في (حزب روسيا الموحدة).

وجاء عام ٢٠٠٧ حيث لا يسمح الدستور الروسي للرئيس الروسي بوتين، بترشح نفسه لولاية رئاسية ثالثة وبعد إمعان التفكير قرر بوتين العاشق للسلطة إدخال نائب رئيس الوزراء ديمتري ميدفيديف الى سباق الرئاسة بترشـيحه لـه فـي وقـت متـأخر مـن العـام٢٠٠٧ حيث أعلن ١٢-١٢-٢٠٠٧ دعمه بكل قوة لترشيح ميدفيديف لخوض الانتخابـات الرئاسـية، ليخلفه في رئاسة جمهورية روسيا الاتحادية، بعد نهاية فترته الرئاسية الحالية العام ٢٠٠٨.

وفي ١٧-١٢-٢٠٠٧ أعلن حزب "روسيا الموحـدة" ترشـيح ميدفيـديف، لخـوض انتخابات الرئاسة، وفي نفس اليوم اجتماع ضم قادة الأحزاب الأربعة الرئيسية التي تسيطر على الكرملين، وهي أحزاب "روسيا العادلة"، و"القوة المدنية"، و"الحزب الزراعي"، بعده أعلنوا أن ميدفيديف سيكون مرشحهم أيضاً.(١)

ومقابل ترشيحه للرئاسة تعهد ديمتري لبوتين بتعيينه رئيسا للوزراء في حـال فـوزه بالانتخابات الرئاسية، ولتوريط ميدفيديف،طلبوا منه أن يلتزم بهذا الشرط للشعب فقال ميدفيديف في رسالة تلفزيونية، "بعدما أبديت استعدادي لقبول طلب (بوتين) الترشح لمنصب الرئاسة، أتقدم الآن منه للحصول على موافقته المبدئية على قبول رئاسة الحكومة التي ستتشكل بعد الانتخابات لأن على روسيا المحافظة على السياسات التي رسمها بوتين"، ثم نوه بدور الرئيس الروسـي بوتين في إعادة موسكو إلى الخارطة الدولية التي غابت عنها بعد سـقوط الاتحـاد الـسوفيتي وإبرازها كقوة عظمى.

وفي ١٨-١٢-٢٠٠٧ أعلن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أنه سيقبل بمنصب رئيس الوزراء العام المقبل في حال انتخب حليفه دمتري ميدفيديف خلفاً له كرئيس للبلاد في الانتخابات الرئاسية في شهر مارس/آذار المقبل، تحدد يوم ٢-٣-٢٠٠٨ لاجـراء الانتخابـات الرئاسـية الروسية ودعي نحو ١٠٩ ملايين ناخب الى اختيار الرئيس الثالث لروسـيا مـا بعـد الاتحـاد السوفياتي بعد بوريس يلتسين (١٩٩١-١٩٩٩) وفلاديمير بوتين (٢٠٠٠-٢٠٠٨).

وتنافس في هذه الانتخابات أربعة هم: ميدفيديف والزعيم الشيوعي جينادي زيوجانوف وفلاديمير جيرونوفسكي (سياسي قومي متشدد) ، بالإضافة إلى أندريه بوجدانوف(رئيس الحزب الديموقراطي) الذي يدعو الى انضمام روسيا للاتحـاد الاوروبـي، فـأظهرت النتـائج فـوز

(١) الرئيس الروسي الجديد ديمتري ميدفيديف، المرجع السابق: /http://lalipost.jeeran.com/archive٢٠٠٨/٣/٤٨٨٣٩٧.html

ميدفيديف بانتخابات الرئاسة في روسيا بأغلبية ساحقة، وبعد إعلان فـوزه رسـميا بانتخابـات الرئاسة طالب ميدفيديف من بوتين تولي رئاسة الحكومة، وأكد أنه سيـضع تـشكيل الـوزارة بالتشاور مع بوتين. وكان الرجلان خرجا سويا من الكرملين بعد ساعتين فقط من إغلاق آخـر مراكز الاقتراع، وأعلن بوتين أمام حشد من المحتفلين في الميدان الأحمر فوز ميدفيديف وهنـأه بالفوز، ثم التقي ميدفيديف بوسائل الاعلام وهو الذي سيتولى مهامه كرئيس لروسيا اعتبـارا من مايو٢٠٠٨فقال: إن سياساتي ستكون استمرارا مباشرا لنهج بوتين لكنني المسؤول عن وضع وإدارة الشؤون الخارجية للبلاد بموجب الدستور الذي يحدد مهام الـرئيس ورئـيس الـوزراء و الدفاع عن مصالح روسيا يأتي على رأس أولوياتي. (١)

وتميزت فترة حكم بوتين بمحاولة إعادة دور روسيا إلى الواجهة كقوة عظمـى فـي العالم وبحالة الانتعاش في الاقتصاد الروسي المدعوم بارتفاع سعر برميل البترول أدى أيـضا لزيادة شعبيته في الداخل، ويعتقد أن هذا سر فوز ميدفيديف الكبير فقـد رأي النـاخبون فيـه أفضل شخص يمكنه تحقيق املهم في رخاء طويل الأمد. وكان ميدفيدف قد أكـد مـرارا علـى ضرورة الاستفادة من ارتفاع عائدات روسيا من صادرات النفط لتحسين مستوى معيشة المواطن الروسي -لكن المودة بين الرجلين قد لاتستمرطويلا فمازال الاقتصاد الروسي يعاني من ارتفاع نسبة التضخم كما سيتأثر بأي انخفاض متوقع في سعر برميل البترول الغير مسبوق.

تزوج ميدفيديف عام١٩٨٢ من (سفيتلانا لينيك) التي أحبها منذ أن كانا زميلـين فـي ذات المدرسة، واختيرت فيه فتاة مثالية علي مستوي مدرستها ، وقد تزوجا بعد وقت قـصير مـن إعلان نجاحهما في المدرسة الثانوية, وأنجب منها عام١٩٩٦ ابنهما (إيليا) عرف عنه بأنه محب

---

(١) ديمتري ميدفيديف الرئيس الثالث لروسيا الاتحادية، ٢٠٠٩/٨/١٤، نقلاً عن موقع روسيا اليوم على الرابط التالي:
٣٣٢٣٤http://arabic.rt.com/news_all_info/

للكتب، ويقول أن أفضل كتاب كان الموسوعة السوفيتية التي تماثل موسوعة بريتانيكا ولكنه عشق فرقة الروك البريطانية بلاك ساباث والمغني ليد زبلين وديب بوربل.

في خطاب تلو الآخر، أمام جماهير في الداخل والخارج، تحدث ديمتري ميدفيديف بحزم عن وضع حد لثقافة الفساد في روسيا وتنويع الاقتصاد الروسي خارج إطار صناعة النفط والغاز ودمج روسيا في الاقتصاد العالمي، وإرساء سيادة القانون وضمان حرية التعبير. وقال إنه يجب أن يسمح للناس العاديين في روسيا بأن يؤدوا "دوراً أكثر فعالية في الحياة السياسية للبلاد". لكن في الوقت نفسه، انتقد واشنطن بشدة لزعزعتها الأوضاع المالية في العالم وحمّل الولايات المتحدة مسؤولية التسبب بالحرب مع جورجيا وزعم أن لدى روسيا "مصالح ذات امتيازات" في دول الجوار واقترح تحولاً كبيراً في "الهندسة" العالمية من شأنه أن يمنح روسيا رأياً أشد وقعاً في الشؤون العالمية. وفي وقت سابق، أعرب في أول خطاب له عن حالة إلتزام الأمة بالقيم الليبرالية بصورة أقوى من كل ما سبق أن عبر عنه سلفه فلاديمير بوتين. وقد وصف مستشار بوتين، سرغي كاراغانوف، الكلمة التي ألقاها ميدفيديف بأنها "الخطاب الرئاسي الأكثر ليبرالية في تاريخ روسيا". لكنه ظهر أيضاً أكثر صقورية من بوتين نفسه عبر توجيه تهديدات مباشرة إلى الغرب بنشر الصواريخ.(١)

عقيدة ميدفيديف هي بمنزلة خطة طموحة لإصلاح المجتمع الروسي المحطم في الداخل واستعادة مكانة روسيا في العالم. وهي من منظار أوسع خطة لإعادة رسم البنى التحتية الأمنية والمالية في العالم، بحسب الشروط الروسية. ويعتبر ميدفيديف أن إحدى الطرق للقيام بذلك هي

---

(١)أوين ماثيوز وآنا نيمتسوفا، صحيفة نيوزويك، عقيدة ميدفيديف، ٢٠٠٨/١١/٢٩، نقلاً عن موقع المركز الإعلامي على الرابط التالي: http://www.shebacss.com/ar/media-center

أن يجري على الأقل استبدال بعض من التأثير الأمريكي في أوروبا بتأثير روسي مـن خـلال مزيج من التهديدات العسكرية واستعمال احتياطي الغاز الضخم الذي تملكه روسـيا لممارسـة الضغوط.

وقبل كل شيء، يريد أن يمنع أمريكا وأوروبا من التدخل في الخارج القريب لروسـيا، ويسعى إلى إعادة إرساء توازن في الدبلوماسية العالمية من خـلال تعزيـز منظمـة شـنغهاي للتعاون، وهي هيئة غير محكمة التنظيم مؤلفة من دول آسيوية بينها روسيا والصين، وتحويلهـا كتلة شبيهة بحلف شمال الأطلسي (الناتو). وتشمل الأهداف الأخرى تحويل موسكو مركزاً مالياً عالمياً وإنشاء كارتل جديد لمنتجي الغاز على طريقة منظمة البلدان المصدرة للنفط (أوبك)، على أن تكون روسيا، المنتجة الأكبر للغاز في العالم، عضواً قيادياً فيه. يقول ميخائيل مـارغيلوف، رئيس لجنة الشؤون الخارجية في المجلس الأعلى في البرلمان الروسـي المعـروف بمجلـس الإتحاد: "العالم الأحادي القطب يحتضر. تظهر تشكيلات نفوذ جديـدة فـإلى جانـب الولايـات المتحدة نرى القوة الصاعدة للبرازيل والصين والهند والاتحاد الأوروبي، وبالتأكيد روسيا".

من الواضح أن أهداف ميدفيديف الطموحة إلى حد كبير تطورت انطلاقا من الخطة التي وضعها الرئيس الروسي السابق بوتين، وتهدف إلى استعادة عظمة روسيا، في الداخل والخارج. وهذا ليس مفاجئا بما أن بوتين لا يزال يقود روسيا من المقعد الخلفي انطلاقاً من منصبه كرئيس للوزراء، ومن المتوقع على نطاق واسع أن يعود إلى الرئاسة بعد انقضاء فترة مقبولـة، لكـن هناك اختلافات واضحة بين الرجلين. فقد كان بوتين يستعمل لغة الديموقراطية والليبرالية عندما تناسبه، كي يساوي أخلاقياً، على سبيل المثال، بين التصرفات الأمريكية في كوسوفا والعـراق والسياسة الروسية في جورجيا. أما ميدفيديف فقد تبنى أسلوباً أكثر انفتاحـاً وعـصرية. يوجـه ميدفيديف أيضا رسالة ليبرالية مدوية حول الاقتصاد والديموقراطية المحلية وحرية التعبير، ليس

لأنها شعبية، بل لأنه يعتبر أنه في سبيل أن تستمر العجلة الروسية في الدوران، فهي بحاجة إلى سيطرة سياسية حازمة في أعلى الهرمية وشيء قريب من المجتمع المنفتح على مستوى أدنـى، مع مساءلة البيروقراطيين ومنح حرية أكبر للأعمال. وهكذا حتى بينما كان يعمل من أجل إقرار مشروع قانون في مجلس النواب يزيد مدة الولاية الرئاسية من أربع إلى ست سنوات وعد أيضا بأن يحيي من جديد الديموقراطية البرلمانية المحتضرة في روسيا من خلال فرض تناوب منتظم على قيادة الأحزاب عن طريق الانتخابات. فضلاً عن ذلك، عمد إلى ترقية ليبراليين اقتصاديين والدفاع عنهم مثل النائب الأول لرئيس الوزراء إيغور شوفالوف المدافع عـن حقـوق حـاملي الأسهم، والمستشار في الشؤون الاقتصادية أركادي دفوركوفيتش، المعارض الـشديد للتـأميم، ووزير المالية ألكسي كودرين الذي أنشأ صندوق الاستقرار الروسي الذي يصل حجمه إلى ١٥٠ مليار دولار ودافع عنه ضد محاولات السيطرة عليه لتنفيذ مشاريع إنفاق شعبوية.[١]

أن ميدفيديف يعي تماماً المشاكل التي تواجهها روسيا، ولا يخشى التحدث عنها. في عهد بوتين، ظل النمو الاقتصادي السنوي ثابتاً عند حدود ٧ بالمائة، بفضل ارتفاع أسعار النفط التـي تحرك الاقتصاد الروسي. لكن بدا أن بوتين لا يهتم كثيراً بتنويع الاقتصاد أو كبح الفساد الـذي يجعل ريادة الأعمال مستحيلة وحتى محفوفة بالمخاطر. فـي المقابـل، كانـت إحـدى أبـرز الخصائص في خطب ميدفيديف انتقاداته الجريئة للقضاء والبيروقراطية الفاسدين في روسيا، مع العلم بأنه يتوخى دائما الحذر الشديد كي لا يوحي أبداً بأن بوتين أخطأ عندما لـم يعـالج هـذه المشاكل في وقت سابق. وقد ألقى ميدفيديف في خطبه اللوم على البيروقراطيين لأنهم "يشككون في المبادرة الحرة تماماً كما كانوا يفعلون في ظل النظام السوفييتي"، ولأنهم يتحكمون بوسـائل الإعلام ويتدخلون في الانتخابات، وقد يبدو غريباً أن يصدر مثل هذا الكلام عن شـخص أفـاد

(١) أوين ماثيوز وآنا نيمتسوفا، المرجع السابق: http://www.shebacss.com/ar/media-center

كثيراً من سيطرة الدولة على الصحافة وصناديق الاقتراع على السواء، لكنه انتقاد حاد لمكـامن الخلل في روسيا. وشدد في خطاب ألقاه أمام وزراء كبار في الحكومة على أن تشجيع الابتكـار والحد من العوائق الإدارية وغيرها من العقبات التي تعترض إنشاء شركات صغيرة ومتوسـطة الحجم وتطويرها، هما "أولوية وطنية".[١]

حرص ميدفيديف على تفادي الظهور بأنه أضعف من بوتين. تحدث بوتين عـن "عـالم متعدد الأقطاب"، لكن في عهد ميدفيديف، وضعت روسيا يدها على القـانون الـدولي وتقـدمت الدبابات الروسية نحو أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا. وبذلك أعاد الكرملين ضمناً تأكيد طموح روسيا التوسعي بأن تصنع ــ وتبتلع ــ دولاً من خـلال الاعتـراف بالجمهوريـات الجورجيـة المنفصلة. في أعقاب الحرب، قطع ميدفيديف خطوة إضافية نحو الأمام مقترحاً تعديل القواعـد الأساسية للدبلوماسية الدولية من أجل الاعتراف بـ"المصالح ذات الامتيازات" التي تتمتـع بهـا روسيا في بلدان حيث لا يرحب أبداً بتدخل الناتو، قال إنه يجب الاعتراف بـ"الروابط التاريخية والثقافية" بين روسيا والبلدان الكثيرة الواقعة على حدودها، وهذا تأكيد واضح للمبدأ الـسوفييتي القديم عن دائرة نفوذ موسكو. فكما يقول النائب في الدوما الموالي للكرملين سرغي مـاركوف: "لا نحاول إعادة بناء الاتحاد السوفييتي، لكن يجب أن تحاط روسـيا، كإمبراطوريـة عظمـى، بالأصدقاء".[٢]

ليس واضحاً إذا كان بالإمكان تحقيق أي من الأهداف الاستراتيجية الكبرى لميدفيـديف. فنظراً إلى الاستياء الشديد من الغرب وعدم الثقة به، ليست لدى ميدفيديف نماذج كثيرة يستطيع أن يقتدي بها في سعيه إلى تحقيق أهدافه الاقتصادية. ولذلك تحـول نحـو اسـتراتيجيا لـصنع

(١) د. جانا بوريسوفنا, (٢٠٠٩). علي أعتاب القمة الروسية - الأمريكية, صحيفة البيان, ٥ مارس ٢٠٠٩، ص ٢٢.

(٢)أوين ماثيوز وآنا نيمتسوفا، المرجع السابق: http://www.shebacss.com/ar/media-center

السياسات على الطريقة السوفييتية تقريباً، أي الإعلان عن خطط طموحة للإصلاح ومن ثم توليد انطباع بأنه يظن أن بالإمكان إنجازها من خلال إصدار الأوامر بـدلاً مـن المهمـة الـصعبة والمرهقة في معظم الأحيان المتمثلة ببناء ائتلافات والتفاوض وإيجاد سبيل للتعامل مع المصالح المتجذرة التي تسعى إلى إحباط الإصلاح. [١]

مع تراجع أسعار النفط بمعدل الثلثين مقارنة بأعلى سعر وصـلت إليـه، فقـد أصـبح ميدفيديف في وضع محرج ، فالطموحات التي بدأ بها رئاسته لم تعد تتناسب مع واقع الوضـع الروسي الذي يزداد هشاشة. في الأشهر الستة الأخيرة من عـام ٢٠٠٨، تراجعـت بورصـة موسكو أكثر من ٦٥ بالمائة، وانخفضت قيمة الروبل بنسبة ٢٥ بالمائة فـي شـهرين. وتـشير تقديرات البنك الدولي إلى أنه سوف يسجل تراجعاً إضافياً بنسبة ١٥ بالمائة سنة ٢٠٠٩. لكـن في أكتوبر من عام ٢٠٠٨، تحدث ميدفيديف في مؤتمر مالي نظمه الاتحاد الأوروبي في إفيـان عن "تحويل موسكو إلى مركز مالي قوي، والروبل واحدة من عمـلات الاحتيـاطي الإقليميـة الرائدة في العالم"، ربما كانت هذه الأفكار منطقية عندما كان سعر برميل الـنفط ١٥٠ دولارا، لكنها تكاد تبدو صعبة التحقيق الآن.

يحتاج عدد قليل من الأجانب إلى الروبل لأن العملة المتداولة فـي تجـارة الـصادرات الروسية الأساسية ـ ـ النفط والغاز والأسلحة ـ ـ هي الدولار. وحتى بيلاروسيا التي تضم ١٠ مليون نسمة والمعزولة سياسياً عن أوروبا، لا تريد اعتماد الروبل الروسي عملة لها. أما في ما يتعلق بتحويل روسيا إلى مركز مالي، فأفضل ما يستطيع ميدفيديف أن يطمح إليه واقعيـاً هـو زيادة عدد الأسهم الروسية التي يجري تداولها في موسكو بدلاً من لنـدن ونيويـورك، وعـودة

---

(١) ميدفيديف عهد الهيمنة الاقتصادية الأميركية ولى..والعالم بحاجة إلى نظام مالي أكثر عدلاً، ٢٠٠٨/١٠/٣، نقلاً عن وكالة الأنباء السورية سانا، على الرابط التالي: http://www.syriasteps.com/index.php

الرساميل الروسية إلى البنوك الروسية بدلاً من هروبها إلى الخارج كما يحصل بوتيرة مقلقة مع خروج ثلاثة إلى سبعة مليارات دولار من البلاد أسبوعياً منذ سبتمبر ٢٠٠٨. لكن حتى هذه الطموحات بعيدة المنال.

فعادة الإغلاق التي تنتهجها بورصة موسكو عندما تبدأ المؤشرات بالانهيار، لا تطمئن المستثمرين لاسيما أن هذا الإغلاق يستمر أحياناً أياماً عدة.(١)

لقد أعرب ميدفيديف عن نيته العمل على تطبيق الفكرة التي أطلقها بوتين لإنشاء "منظمة أوبك للغاز" بالتعاون مع إيران وقطر من أجل تثبيت الأسعار وتنسيق العرض، الأمر الذي من شأنه أن يُجهز نظرياً على المحاولات الأوروبية للتخلص من الاعتماد على الغاز الروسي من خلال تنويع مصادر التموين. لكن هذا أيضاً يبدو الآن بعيد المنال أكثر فأكثر. فحتى منظمة أوبك نفسها لم تستطع الحؤول دون انهيار أسعار النفط، كما أن طبيعة عقود الغاز التي غالباً ما يتم توقيعها لعشرات السنين نحو الأمام، تجعل من الأصعب بكثير التلاعب بالأسعار. فبحسب تحليل أجراه بيار نويل من المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية، انخفضت الحصة الروسية في واردات الاتحاد الأوروبي من الغاز بمعدل النصف تقريباً منذ عام ١٩٨٠، لتصل إلى ٤٠ بالمائة، إذ تعمد أوروبا إلى تنويع إمداداتها من الغاز وتستورد الغاز الطبيعي المسال من الجزائر ونيجيريا. ولا يشكل الغاز الروسي حاليا سوى ٦,٥ بالمائة من إمدادات الطاقة الأساسية في الاتحاد الأوروبي، وهذه الحصة تنخفض أيضاً.(٢)

هناك ما يشير إلى أن الغرب بدأ يدرك أن بعض الوعيد الذي يصدر عن ميدفيديف فارغ ليس إلا. فمنظمة شنغهاي للتعاون التي رعاها بوتين بكل عطف لتكون بمنزلة كتلة نفوذ آسيوية

---

(١)أوين ماثيوز وآنا نيمتسوفا، المرجع السابق: http://www.shebacss.com/ar/media-center

(٢) د. جانا بوريسوفنا, مرجع سابق, صحيفة البيان, ٥ مارس ٢٠٠٩، ص ٢٥.

محتملة تنافس الناتو، رفضت في نهاية المطاف دعم اعتراف موسكو بأوسـيتيا وأبخازيـا فـي سبتمبر (مما أثار حرج موسكو الشديد، فوحدهما حركـة حمـاس ونيكـاراغوا دعمتـا هـذا الاعتراف). كما دعا أمين عام الناتو، جاب دو هوب شيفر، أوروبا إلى الوقوف إلى جانب "حق كل بلد في اختيار اصطفافاته الأمنية بحرية" وعدم الإذعان للضغوط الروسـية، بينمـا كانـت أوكرانيا تضغط للحصول على خطة عمل للعضوية من أجل تسريع انضمامها إلى الحلف. أمـا في ما يتعلق بتهديدات ميدفيديف حول نشر الصواريخ، فقد بدا أن الأوروبيون مشوشين أكثر من أنهم خائفين. فقد قال ميدفيديف في خطابه عن حالة الأمة إنه سوف ينشر صواريخ إسكندر فـي جيب كالينينغراد الروسي في البلطيق للتصدي للدروع الصاروخية وقواعد الرادارات التي تقترح الولايات المتحدة وضعها في بولندا والجمهورية التشيكية.

يمكن لهذه الصواريخ أن تطلق نظرياً رؤوساً حربيةً زنتها ٤٥٠ كيلوغراماً تصل إلـى عمق أوروبا الوسطى. لكن صاروخ إسكندر استخدم في الحرب الجورجية وتبين أنه غير دقيق، كما يقول المحلل العسكري المستقل بايفل فلغنهاور، ولن يكون فعالاً ضد الصواريخ التي سوف تُستعمل في نظام الدفاع الصاروخي الذي اقترحته إدارة الرئيس الأمريكي السابق جورج دبليـو بوش (ويهدف في ذاته إلى الحماية من إيران ولـيس روسـيا). وبحـسب المحلـل الـسياسي ستانيسلاف بلكوفسكي إنه لا علاقة لهذه التفاصيل بلب الموضوع، فخطة ميدفيديف هدفت إلـى "نزع الخلاف بين الأوروبيين والأمريكيين" عبر استغلال المخاوف الأوروبية من أن جـل مـا سيفعله الدفاع الصاروخي هو استفزاز روسيا. ويقول إنه بهذا المعنـى، كـان التهديـد خدعـة تفاوضية سوفييتية تقليدية: "تتسبب بمشكلة ثم تعرض التخلص منها مقابل شيء تحتاج إليه".(١)

(١) أوين ماثيوز وآنا نيمتسوفا، المرجع السابق: http://www.shebacss.com/ar/media-center

يؤمن ميدفيديف بأن الحرية أفضل من اللاحرية، وربما يبذل مجهوداً أكبر من أي قائد روسي سابق لدمج البلاد في الاقتصاد العالمي ووضع حد لما أسماه "العدمية القانونية" التي تتفشى في بلاده. إذا نجح في هذه الإصلاحات العملية مثل كبح البيروقراطية الفاسدة في روسيا وتطبيق سيادة القانون، فقد يجعل بلاده أكثر ثراء ويسمح لها بأن تعمل بفعالية أكبر. من شأن اقتصاد حقيقي مزدهر وعلاقة جديدة وبناءة مع الغرب أن يجعلا روسيا تتمتع بنفوذ حقيقي أكبر مما توفره لها كل التهديدات الاستقوائية باستعمال الصواريخ.[1]

السياسة الخارجية الروسية في عهد الرئيس الروسي ديمتري ميدفيديف

بدأ الرئيس الروسي الجديد ديمتري ميدفيديف جولاته الخارجية. ففي الثاني والعشرين من شهر أيار اتجه ميدفيديف شرقاً في جولة تبدأ من جمهورية كازاخستان وتنتهي في الصين المحطة الثانية له.في كازاخستان التقى ميدفيديف نظيره الكازاخي نور سلطان نزارباييف. وخلاصة الزيارة أن روسيا وكازاخستان أكدتا من جديد أهمية العلاقات الاستراتيجية بينهما. وبالنسبة لروسيا فإن التوجه نحو كازاخستان ومن ثم الصين يحمل دلالة واضحة على أهمية المحور الشرقي في السياسة الخارجية الروسية. وتجدر الإشارة إلى أن العلاقات الروسية-الكازاخية لم تكن يوماً سلبية ولم تتأثر بأي من العوامل الخارجية أو الداخلية في كلا البلدين، والتي أثرت على عملية بناء علاقات جمهوريات سوفييتية أخرى مع روسيا.ويمكن القول إن كازاخستان كانت، حتى في عهد الرئيس يلتسين، حليفة لروسيا، تقدر أهمية الحفاظ على العلاقات الطيبة معها. والأمر لا يختلف بالنسبة لروسيا التي ترى في علاقاتها مع كازاخستان حجر أساس في سياستها الخارجية، ولاسيما سياستها لكل من منطقة الفضاء السوفييتي السابق

---

(١) د. جانا بوريسوفنا، مرجع سابق، صحيفة البيان, ٥ مارس ٢٠٠٩، ص ٢٤.

ومنطقة آسيا الوسطى على وجه التحديد، وفي منطقة آسيا بشكل عام، وفي شتى المجالات، في السياسة والاقتصاد والأمن[١] .

بعد كازاخستان اتجه ميدفيديف نحو الصين، جارة روسيا، والعملاق الاقتصادي الصاعد. هناك في بكين -حسب رأي كوسيريف الخبير من وكالة نوفوستي- يوجد لدى روسيا ما تبحث بشأنه. على سبيل المثال: ذكرت مصادر مطلعة أن روسيا ستصدر إلى الصين ٣٠ مليون طن نفط ، و ٦٨ مليار متر مكعب غاز سنوياً، في حال توصل البلدان إلى اتفاق نهائي بشأن مشاريع يبحثها الجانبان منذ عشر سنوات. والمشكلة بالنسبة إلى روسيا لا تكمن في توزيع كميات الطاقة بين المستوردين على الجهة الشرقية، بل في كيفية تفادي عدم جعل منطقة سيبيريا، التي سيضخ منها الغاز والنفط إلى الصين، مجرد منطقة تُستثمر في صناعة الطاقة فيها رساميل صينية، موجهة بشكل رئيس لاستخراج المواد الخام، وتصديرها إلى الصين .

هذه واحدة من المسائل التي تعكس جانباً من أسباب اهتمام روسيا بالعلاقات مع الصين، فالمارد الصيني ينمو بسرعة ولا بد من تنظيم العلاقات معه بما يتناسب مع المصالح الروسية، ولاسيما مصالح المجمع الصناعي الروسي العسكري والمدني، كي لا تقتصر العلاقات بين البلدين على جهة مصدر للمواد الخام وجهة مستهلكة. أما الجانب الأهم في التوجه الروسي نحو الصين فهو يكمن في المواقف الروسية-الصينية المتقاربة من القضايا الدولية، ومن النزاعات في بقاع العالم، ومن السياسة الأمريكية بالطبع[٢] .

وبينما كان ميدفيديف يعمل على تثبيت أوتاد محور من محاور السياسة الخارجية، كان بوتين يعمل على تثبيت أوتاد محور آخر لا يقل أهمية عن الأول. في لقاء رؤساء حكومات

---

(١) طه عبد الواحد، ميدفيديف وبوتين معاً لتوطيد أسس السياسة الخارجية الروسية، ٢٠٠٨/٥/٢٨، نقلاً عن صحيفة النور الالكترونية، العدد ٣٤٣، نقلاً عن الرابط الالكتروني التالي: http://an-nour.com/index.php.

(٢) طه عبد الواحد، ميدفيديف وبوتين معاً لتوطيد أسس السياسة الخارجية الروسية: http://an-nour.com/index.php.

جمهوريات رابطة الدول المستقلة حاول بوتين أن يلاطف الأجواء مع يوليا تيموشينكو، رئيسة الحكومة الأوكرانية، الداعية إلى ضم أوكرانيا إلى الناتو، والمعروفة بمواقفها السلبية نحو روسيا. فأكد رئيس الحكومة الروسية أنه لا خلافات مع أوكرانيا بخصوص العمل مباشرة دون وسطاء في مجال الغاز، وأشار إلى ضرورة تسديد أوكرانيا لالتزاماتها المالية أولاً .

الجولات الخارجية الأولى لميدفيديف كرئيس ، تدل على الحفاظ على أسس السياسة الخارجية الروسية التي وضعت في عهد رئاسة بوتين لروسيا، والعمل من أجل تقوية هذه السياسة .

أرسلت موسكو للغرب إشارات واضحة مفادها أنه سيتم اختيار مرشح يتمتع بسمعة سياسي بكامل قواه العقلية، مؤمن بالقيم الديمقراطية، ويؤيد الخيار الأوروبي للبلاد. صحيفة روسية أخرى تضع رهانها على أن يؤدي اختيار بوتين لميدفيديف، إلى تحسين العلاقة مع الغرب. يكاتيرينا غريغوريفا من صحيفة الازفستيا الروسية كتبت بهذا الخصوص: «إن ترشيح ميدفيديف سيلغي كل احتمالات توجيه انتقادات لروسيا، من مثل (روسيا تعود إلى الحقبة السوفياتية) أو (موسكو ابتعدت بلا عودة عن القيم الغربية)». وتتابع غريغوريفا: «إن التوتر في علاقات روسيا على عدة محاور مع العالم الخارجي بلغ ذروته، وميدفيديف سيكون أكثر ليونة في هذا الشأن». (١)

الفقرة السابقة ليست أكثر من عينة مأخوذة عن وسائل إعلام روسية تراهن على تبني ميدفيديف نهجاً أكثر ليونة في السياسة الخارجية لروسيا، وهذا الرهان بحد ذاته يوحي وكأن روسيا هي سبب التوتر في العلاقة مع الغرب، وأنها تعمدت ذلك بحثاً عن إطار تصوغ من

---

(١) طه عبد الواحد، هل ستتغير السياسة الخارجية الروسية بعد مغادرة بوتين وقبل عودته، ٢٠٠٩/٧/٩، نقلاً عن منتديات روسيا اليوم على الرابط التالي: http://forum.rtarabic.com/showthread

خلاله سياستها القومية، التي يقول البعض إنها تطلبت بالضرورة البحث عن عدو يجسد الرئيس الروسي دور البطل القومي في مواجهته، ليتمكن من توسيع صلاحياته وليحظى بتأييد شـعبي لا نظير له في تاريخ روسيا الحديثة.

من جانب آخر فإن رهان إعلاميين وسياسيين روس على تبني ميدفيديف سياسة أكثـر ليونة في التعامل مع الغرب، يعني موافقة غير مباشرة على كل الاتهامات التي يوجهها الغـرب لروسيا والتي اختصرتها الـ (bbc) تحت عنوان (هزيمة موالاة الغرب في روسيا) أو (هزيمة التوجه غرباً في روسيا). إذ يرى القسم الروسي من القناة البريطانية أن «الشيوعيين قد ينتقدون السياسة الداخلية لبوتين لكنهم متضامنون كلياً مع نهج سياسته الخارجية في الالتفاف بعيداً عـن الشراكة مع الولايات المتحدة وحلفائها والمضي نحو مواجهة أكثر حدة تصل إلى حدود حـرب باردة. هذا أمر يرحب به الشيوعيون باعتباره عنصر العودة إلى الايديولوجية الـشيوعية فـي روسيا». وتعمم الـ (bbc) هذا التقييم على كل القوى السياسية الروسية الممثلة فـي البرلمـان الروسي باستثناء تيارات المعارضة المدعومة من الغرب.

لقد أصابت القناة البريطانية حين أشارت إلى توافق بـين القـوى الـسياسية الروسـية الرئيسية (الحزب الشيوعي - الحزب الليبرالي الديمقراطي - حزب روسيا الموحدة - حـزب روسيا العادلة) على نهج السياسة الخارجية في عهد بوتين، لكنها أخطأت في شرح أسباب هـذا التوافق حين أشارت إلى أن كره هذه القوى للغرب واعتبارهـا العلاقـات معـه فـي مرحلـة التسعينيات (ركوعاً روسياً أمام الغرب)، يجعلها تتبنى العداء نحوه. فالسبب الرئيسي المولد لمـا

يصفه الغرب (ظاهرة عداء روسي) نحوه يعود إلى أسلوب تعامل الغرب مع روسيا في مختلف مراحل تاريخها الحديث لفترة ما بعد تفكك الإتحاد السوفياتي.(١)

عندما كانت روسيا مفككة وتنتشر فيها الفوضى والفساد، وتسيطر على زمام الأمور فيها جماعات الجريمة المنظمة، وطبقة (الأليكارخي) مثل غوسينسكي وبيرزوفسكي وخودوركوفسكي وغيرهم، لم يوجه لها الغرب أي انتقادات، بل ذهبت قياداته نحو فتح جسور التواصل مع الفئات والجماعات المسيطرة كي تبقى الأمور في روسيا بعيدة عن الاستقرار الداخلي الذي قد يؤدي إلى استعادة الدولة الروسية عافيتها، وما سيحمله ذلك من تهديد للنظام العالمي وفق الرؤية الأميركية. لكن ما إن بدأ بوتين بإعادة بناء مؤسسة السلطة وفق الأجندة القومية الروسية أخذ الغرب يتهم روسيا بالتوجه نحو بناء نظام حكم ديكتاتوري.

وبعد أن استعادت روسيا عافيتها إلى حد بعيد، وبدت جاهزة للرد على السياسات الأميركية نحوها، وعلى المستوى الدولي عموماً، بدأ الغرب، عبر أبواقه الإعلامية، يتهمها بأنها تتعمد تبني نهج عداء نحوه، وكأن روسيا هي التي وسعت مناطق انتشار نفوذها العسكري عبر توسع الناتو، وهي التي تنوي نصب صواريخ تهدد أمن أوروبا، وهي التي قررت تقويض أسس الاستقرار الدولي بانسحاب أحادي الجانب من اتفاقية العام ١٩٧٢ للحد من الأنظمة الصاروخية المضادة للصواريخ، وغيرها من خطوات قامت بها في واقع الأمر الولايات المتحدة ومعها الحلفاء في أوروبا، استدعت رداً روسيا لا يتجاوز حدود التأكيد على (قدرة روسيا في الدفاع عن مصالحها وأمنها القوميين). من هنا حري بالنخب الإعلامية والسياسية الروسية التي تحاول

(١) طه عبد الواحد، هل ستتغير السياسة الخارجية الروسية بعد مغادرة بوتين وقبل عودته نقلاً عن الرابط الالكتروني: http://forum.rtarabic.com/showthread

ممارسة الضغط على ميدفيديف كي يتبنى نهجاً أكثر ليونة مع الغرب، أن تراهن علـى إعـادة الغرب لترتيب أسس تعامله مع روسيا في عهد ميدفيديف.

أغلب الظن أن السياسة الخارجية الروسية في عهد ميدفيديف لن تشهد تغيرات جوهرية، ولن تبتعد عن مبدأ (روسيا ترغب ببناء علاقات طيبة مع الجميع ولا تسعى إلى المواجهة مع أي طرف، لكنها لن تقف بصمت حيال أي تهديد لمصالحها القومية، وتمتلك القـدرة علـى الـرد بالصورة الملائمة على أي تهديد). وما يدفع إلى مثل هذا الاعتقاد أسباب كثيرة أهمها:(١)

١ - بوتين يعرف ميدفيديف معرفة جيدة من كثب، من خلال العمل معاً طيلة سبعة عشر عامـاً في مختلف المواقع السياسية بدءاً من محافظة بطرسبورغ، وصولاً إلى الكرملين. (انظر السيرة الذاتية لميدفيديف). مع ذلك لم يتخذ بوتين قراره بترشيح ميدفيديف إلا بعد مشاورات مع رئيس الحكومة الروسية (فيكتور زوبكوف) صديق بوتين وميدفيديف، إضافة إلى مشاورات مع رجـل السياسة الروسي الكبير يفغيني بريماكوف.

٢ - مغادرة بوتين لموقع الرئاسة لا تعني مغادرته موقع التأثير في السياسة الروسـية الداخلية والخارجية على حد سواء، فهو سيترأس الحكومة على ما يبدو، ناهيك عن سيطرة حزبه (روسيا الموحدة) على البرلمان، أي إنه سيحافظ على دور مؤثر في صناعة السياسة الروسـية من خلال الحكومة كسلطة تنفيذية، والبرلمان كسلطة تشريعية تمتلك الحق في حجب الثقة عـن الرئيس إذا تطلب الأمر ذلك.(٢)

---

(١) طه عبد الواحد، هل ستتغير السياسة الخارجية الروسية بعد مغادرة بوتين وقبل عودته نقلاً عن الرابط الالكتروني: http://forum.rtarabic.com/showthread

(٢) طه عبد الواحد، هل ستتغير السياسة الخارجية الروسية بعد مغادرة بوتين وقبل عودته ، نقلاً عن الرابط الالكتروني : http://forum.rtarabic.com/showthread

٣ - يدرك ديميتري ميدفيديف أن بوتين قد حاز إعجاب وتأييد الجماهير نتيجة سياسته القومية التي أعادت لروسيا مكانتها الدولية، ولشعبها كرامته، وهو - أي ميدفيديف - سيسعى إلى شغل مكانة في تاريخ روسيا تتجاوز مكانة (رئيس تسيير أعمال لمدة أربع سنوات) الأمر الذي يدفع إلى الاعتقاد بأن يكون نهج سياسته الخارجية أكثر حزماً من نهج بوتين، ولا سيما في ظل غياب أي مؤشرات تدل على أن الولايات المتحدة قد تغير من سياستها نحو روسيا بغض النظر عن الحزب الذي ينتمي إليه خلف بوش في البيت الأبيض. فالجمهوريون والديمقراطيون يتفقون من حيث المبدأ على ضرورة كبح جماح روسيا، وإن اختلفا في الأساليب لتحقيق ذلك. وسيستدعي ذلك رداً من ميدفيديف السياسي المرن الحازم في آن، وتحديداً عندما يتعلق الأمر بكرامة روسيا وهيبتها الدولية.

٤ - أخيراً فإن ميدفيديف الذي شارك، بشكل أو بآخر، في صياغة أسس السياسة الخارجية لروسيا من خلال نهج السياسة الخارجية لشركة غازبروم الروسية العملاقة الأكبر عالمياً التي يترأسها، والتي تسيطر على أسواق الغاز في أوروبا، وكذلك من خلال عمله كنائب أول لرئيس الحكومة، إلى جانب علاقته مع بوتين وإدارة الرئيس هو نفسه ميدفيديف الذي يتحمل المسؤولية المباشرة عن خطة (المشروع القومي) لتنمية روسيا في مجالات عدة، ولن يذهب حين يصبح رئيساً نحو سياسة مختلفة عن تلك التي اعتمدها قبل الرئاسة، وعندما كان في موقع مسؤول يساعده في إدخال تعديلات في السياسة الروسية لو شاء ذلك. ولا بد من التنويه إلى أن ميدفيديف قد وضع الإطار العام للسياسة الخارجية التي وعد بتبنيها حين قال: «أجل سنستمر كما كنا، ندافع بحزم عن مصالحنا القومية، لكننا لن نذهب نحو تحويل المنافسة إلى مستوى المواجهة الدائمة التي يستحيل إيجاد تسوية لها».

إن كل المؤشرات تدل على أن سياسة ميدفيديف الخارجية لن تختلف عن سياسة سلفه، وخلفه المقبل. فهو رجل سياسة قومي بأي حال، كان وما يزال من مؤيدي سياسة بوتين الخارجية الموجهة نحو إنجاز هدفين رئيسيين، الأول: استعادة المكانة والنفوذ الدوليين لروسيا. والثاني: اتخاذ كل الخطوات الدبلوماسية والعسكرية الممكنة لمواجهة أي تهديد لتحقيق الهدف الأول وللمصالح القومية الروسية. هذه هي الخطوط العريضة التي يمكن الجزم بأن تكون الأساس في السياسة الخارجية لديمتري ميدفيديف، مرشح الرئاسة الذي تدل استطلاعات الرأي على فوزه شبه الأكيد بالرئاسة ليصبح الرئيس الثالث لروسيا بعد استقلالها العام ١٩٩١.

في روسيا الحديثة فإن تقليد الخلافة وترشيح خلف للرئاسة جاء بمبادرة من يلتسين، وأتباعه الذين يعرفون باسم (العائلة)، أي الأشخاص الذين كانوا يسيطرون على الإدارة الرئاسية وعلى مساحات كبيرة من قرارات الرئيس يلتسين. وسعى هؤلاء إلى مسألة تعيين خلف على أمل أن يضمنوا الحفاظ على نفوذهم بعد انتهاء رئاسة يلتسين لروسيا. أما يلتسين فقد اشترط على خلفه أن يعطيه ضمانات بالحصانة المطلقة الأبدية له ولأفراد عائلته من أية مساءلة قانونية، وأن يحافظ على منزله الرئاسي الريفي، وعدد من السيارات والحرس الشخصي. وافق بوتين على شروط يلتسين لكنه خيب آمال أصحاب النفوذ الذين نصحوا بترشيحه للرئاسة، حين قام بوتين بإعلان الحرب عليهم منذ أيامه الأولى رئيساً لروسيا.[1]

في ما يتعلق ببحث روسيا وبوتين عن خلف له فإن هذا يصب ضمن التقليد المتوارث، لكن لمسالة الخلافة في حالة بوتين أسباب مختلفة كلياً عن أسباب البحث عن خلف في عهد يلتسين. إذ حازت سياسة بوتين على تأييد شعبي لا نظير له، أدت إلى نشوء حالة جماهيرية

---

(١) طه عبد الواحد، هل ستتغير السياسة الخارجية الروسية بعد مغادرة بوتين وقبل عودته ، نقلاً عن الرابط الالكتروني :
http://forum.rtarabic.com/showthread

تنظر إلى بقاء بوتين نظرة مصيرية باعتبار أن نهج سياسته أخرج روسيا من حالتها المأساوية، وخشية من أن يؤدي ذهابه إلى عودة الأمور إلى ما كانت عليه. هذه الحالة الشعبية ترافقت مع تحركات سياسية تنادي بضرورة تعديل الفقرة التي تحدد ولايات الرئاسة للرئيس الواحد بولايتين دستوريتين، وطالبت مجموعات أخرى بتعديل الفقرة التي تحدد مدة كل ولاية بأربع سنوات لتصبح سبعة.

إلا أن الرئيس بوتين أبى أن يقدم للغرب، على طبق من ذهب، ذريعة إضافية لتوجيه انتقادات حادة له، ومبرراً لإشعال فتيل (ثورة ملونة) في روسيا، كالتي جرت في أوكرانيا وجورجيا، وأصر على التمسك بالدستور كما هو، فاختار طريقة تبقيه في السلطة ويضمن معها الحفاظ على أسس نهجه السياسي باختيار خاف له من بين الأصدقاء الذين يعرفهم معرفة جيدة ويثق بهم ثقة مطلقة، فجاء اختياره لميدفيديف خلفاً له في الرئاسة وعين قبل ذلك صديقه زوبكوف في رئاسة الحكومة، لأن بوتين واثق على ما يبدو من أن ميدفيديف سيتابع مسيرته وسيتخلى له عن كرسي الرئاسة بعد أربع سنوات، حيث يسمح الدستور لبوتين بالترشح ثانية للرئاسة بعد انقطاع لمدة ولاية واحدة،. وكان ميدفيديف قد رشح بوتين لرئاسة الحكومة في حال فوزه في الانتخابات الرئاسية القادمة. [(١)]

سياسة روسيا الخارجية تجاه إيران في عهد ميدفيديف

من المعروف أن روسيا هي الصديق وربما الحليف الأول لإيران على الساحة الدولية، هذا على الرغم مما يبدو أحيانا من فتور أو مشاكل في العلاقات بينهما، والتي يرى البعض أنها أمور متفق عليها بينهما بهدف عدم إحراج روسيا على الساحة الدولية.

---

(١) طه عبد الواحد، هل ستتغير السياسة الخارجية الروسية بعد مغادرة بوتين وقبل عودته ، نقلاً عن الرابط الالكتروني : http://forum.rtarabic.com/showthread

وحتى موافقة روسيا على قرار مجلس الأمن الدولي الأخير رقم ١٨٠٣ بشأن العقوبات الاقتصادية الجديدة على إيران لم يقابل برد فعل حاد من طهران، بل على العكس سمعنا الرئيس الإيراني أحمدي نجاد يصرح للصحافيين في طهران في الثالث عشر من مايو/ أيـار الماضـي قائلا "إن هذا الأمر لن يؤثر على علاقاتنا مع الأصدقاء الروس، ونحن نتفهم الـضغوط التـي يواجهونها ."

ومما لا شك فيه أن العلاقات الروسية - الإيرانية قطعت شوطا كبيرا من النمو والتطور في عهد الرئيس الروسي السابق فلاديمير بوتين، وقد عبر عن هذا السفير الإيراني في موسـكو غلام رضا أنصاري بقوله "لقد كان عهدا ذهبيا في العلاقات بين البلدين."

لقد كان بوتين هادئا في التعامل مع أزمة البرنامج النووي الإيراني، ولم يبد تشددا مـع الأوربيين الاميركيين بشأن الضغط على إيران، لكن رغم هذا أتمت روسيا بناء محطة "بوشهر" النووية الإيرانية وأمدتها بالوقود النووي اللازم لها. كما أن إيران في عهد بوتين حصلت علـى أسلحة روسية بكميات كبيرة ونوعيات دفاعية قوية مثل منظومة الصواريخ المضادة للطـائرات (توبول - إم ١) ويقال إن إيران ستحصل من روسيا على منظومة الـدفاع الـصاروخية (إس ٣٠٠) المعروفة بتفوقها على نظيراتها في الغرب، والتي وعدت موسكو واشنطن من قبل بأنهـا لن تبيعها لأية دولة أجنبية. والجميع يذكر أنه عندما اشتدت الأزمة بين واشنطن وطهران فـي العام الماضي، وبدا أن الضربة العسكرية الأميركية لإيران على وشك الوقوع، وبدأت البوارج الحربية وحاملات الطائرات الأميركية تنشط في الخليج، عندها وجه الرئيس بوتين دعوة عاجلة للدول الخمسة المطلة على بحر قزوين لعقد قمة طارئة في طهران في منتصف أكتوبر /تشرين الأول الماضي كان الهدف منها تأكيد الدعم الإقليمي لإيران، وجازف بوتين بالتوجـه لإيـران لحضور القمة رغم شائعات قوية ومعلومات أمنية روسية كانت تؤكد احتمال تعرضه لمحاولـة

اغتيال في طهران من قبل جهات إيرانية معارضة. وقيل إن زيارة بوتين كانت رسالة واضحة لواشنطن بأن إيران ليست وحدها .

الآن بعد أن رحل بوتين من الكريملين ليحل محله الرئيس الجديد ديمتري ميدفيديف المعروف بعقليته الليبرالية والاقتصادية المنفتحة على الغرب والمختلفة عن العقلية الأمنية والسياسية لرجل الاستخبارات السوفيتية السابق بوتين، يطرح السؤال بجدية وبإلحاح حول مصير العلاقات الروسية - الإيرانية مع ميدفيديف، وخاصة مع عودة التصعيد في أزمة البرنامج النووي الإيراني وعودة تردد صيحات الصقور من المحافظين في واشنطن بضرورة توجيه ضربة لإيران، عندما وافق الرئيس بوتين على قرار مجلس الأمن بالعقوبات ضد إيران في مارس/ آذار الماضي قبل تولي الرئيس الجديد ميدفيديف الرئاسة بيومين فقط، خرجت الشائعات تملأ الصحف ووسائل الإعلام في روسيا والغرب تقول إن "بوتين يريد أن يخلي مسؤولية خليفته ميدفيديف الذي اختاره هو للرئاسة من ملف النووي الإيراني الشائك، فاختار له الطريق الأسهل للغرب ضد إيران."

وأكثر من ذلك كتبت أكثر من صحيفة روسية تقول إن بوتين حصل مقابل الموافقة على العقوبات ضد إيران على توقيع من البيت الأبيض الاميركي على اتفاقية لاستخدام الطاقة النووية للأغراض السلمية، وهذه الاتفاقية تعد حلما بالنسبة لمصدري الوقود النووي الروس، حيث ترفع الحظر المفروض على بيع اليورانيوم الروسي المنخفض التخصيب للولايات المتحدة التي تحتاج منه لكميات كبيرة. وقيل أيضا إن توجهات السياسة الخارجية الروسية في عهد ميدفيديف لا تحتمل العلاقات مع طهران ولا تحتمل المزيد من الخلافات مع الآخرين بسببها.[١]

---

(١) مغازي البدراوي، ميدفيديف والعلاقات الروسية الإيرانية، ٢٠٠٨/٧/٢، نقلاً عن صحيفة الوقت الالكترونية، العدد ٨٣٣، نقلاً عن الرابط الالكتروني التالي: http://www.alwaqt.com/blog_art.php

الواقع أن هذه الآراء والتخمينات تفتقر للتحليل الموضوعي، حيث إن العلاقات الروسية -الإيرانية لها أبعاد إقليمية استراتيجية وأمنية وأيضا اقتصادية على درجة عالية مـن الأهميـة بالنسبة للبلدين، وربما لروسيا أكثر، خاصة في ظل القلاقل والاضطرابات التي تواجهها روسيا في منطقة وسط آسيا والقوقاز وأيضا في بحر قزوين، وهي الأمور التي لا تشك روسيا لحظـة واحدة في الدور الأميركي وراءها، وكذلك توسعات حلف شمال الأطلسي تجاه الحدود الروسـية وتصريحات قادة الحلف بأن منطقة بحر قزوين تدخل ضمن استراتيجية الحلف. وإيران في ظل الأوضاع السياسية القائمة داخلها تشكل بالنسبة لروسيا في المنطقة حليفا موثوقا فيه، وقد ثبـت ذلك من قبل في ممارسات كثيرة مثل موقف طهران من قضية الشيشان، وموقفها المؤيد لروسيا حول قضية تقسيم ثروات بحر قزوين، وموقفها من النزاع بين أذربيجـان المـسلمة وأرمينيـا المسيحية حول إقليم "كاراباخ" المتنازع عليه بينهما، حيث دعمت طهـران أرمينيـا المـسيحية بتوجيهات من موسكو ولم تعير أي اهتمام لانتقادات العالم الإسلامي .

هذه الشواهد وشواهد أخرى كثيرة تؤكد أن العلاقات بين موسكو وطهران لن تتأثر مـع الرئيس الجديد ميدفيديف، هذا إذا لم تتطور أكثر، وهذا ما بدا في الرسالة التي أرسلها بوتين مع سكرتير مجلس الأمن القومي الروسي فالنتين سوبوليف للرئيس الإيراني أحمدي نجـاد عـشية تنصيب الرئيس الجديد ميدفيديف، والذي طمأنه فيها على ثبات مبادئ العلاقات بين البلدين مـع الرئيس ميدفيديف، وهو ما دعا الرئيس الإيراني نجاد للتصريح بـأن العلاقـات مـع روسـيا ستواصل تطورها مع الرئيس ميدفيديف .

وعلى ما يبدو أن بوادر هذا التطور قد ظهرت في زيارة ميدفيديف الأولى للصين منـذ أيام، حيث كتبت بعض الصحف تقول إن ميدفيديف ناقش مع الزعيم الصيني هو جينتاو مـسألة انضمام إيران لعضوية منظمة شنغهاي للتعاون، والتي تتمتع فيها إيران حتى الآن هـي والهنـد

بصفة مراقب، علما أن طهران سبق أن طلبت هذه العضوية من قبل أكثر من مرة، ولكن موسكو وبكين رأتا تأجيل هذه الخطوة حتى لا تثيران الغرب ضد المنظمة، ولو تحقق هذا الأمر، فسيكون انتصار كبير لإيران؛ لأن ميثاق هذه المنظمة ينص على ضمان أعضائها لأمن بعضهم بعضا.(١)

شهد العالم في بداية القرن الحادي والعشرين، حدثا كبيرا، غير مجرى التاريخ والموازين على الساحة الدولية، وهو الهجمات على نيويورك يوم الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١، هذه الهجمات التي انطلقت بعدها الحملة العسكرية الأميركية على ما سمي «الإرهاب الدولي»، وتعاطف الكثير من الدول مع الولايات المتحدة، وانضم البعض منها إلى حملتها العسكرية، سعيا منه للبقاء مع الجبهة الأقوى والمهيمنة في العالم، بينما انضم البعض الآخر اعتقادا منه بأن الهدف الحقيقي من الحملة هو القضاء على الإرهاب الذي يهدد العالم كله، بينما اكتفى البعض من الدول بإبداء مشاعر التعاطف والتأييد، دون المشاركة في أية أعمال عسكرية، ومن هذا البعض الأخير روسيا والصين والهند. هذه الدول الثلاث لم تشأ أن تخوض في نزاعات، لا تعرف بالضبط من هو العدو فيها وما هي أهدافها الرئيسية، خاصة بعد أن ظهرت جبهة معارضة للحرب في العراق داخل حلفاء واشنطن الأوروبيين الكبار، قادتها فرنسا وألمانيا وإسبانيا، لكن هذا لم يؤثر في الاستراتيجيات والمخططات الأميركية، التي استمرت في حملتها غير آبهة للاعتراضات من هنا أو هناك.(٢)

ولم تكد العمليات العسكرية تضع أوزارها وتنفك رحالها في العراق استعدادا لتهدئة الأوضاع هناك، حتى اشتعلت الحرب في أفغانستان، التي اتفق الجميع على فشل السياسات

---

(١) مغازي البدراوي، ميدفيديف والعلاقات الروسية الإيرانية، ٢٠٠٨/٧/٢: http://www.alwaqt.com/blog_art.php

(٢) ليونيد ألكسندروفيتش، موسكو وتغيير سياسة الدفة الخارجية، ٢٠١١/١/١٣، نقلاً عن موقع آراء وأفكار على الرابط التالي: http://www.albayan.ae/opinions/articles

العسكرية فيها منذ البداية. ولم يكن الوضع في أفغانستان سهلا بالنسبة للدول المحيطة والقريبة منها، التي استشعرت خطورة التصعيد هناك، وإمكانية تأثيره في أمن واستقرار الأوضاع بالقارة الآسيوية ككل.

ومن هنا جاء التقارب العسكري والسياسي الذي لم يكن أحد يتوقعه بين الثالوث الأكبر في القارة؛ روسيا والهند والصين. فعلى الرغم من أن الهند والصين هما أكبر مشتريين للسلاح الروسي، الذي يشكل أكثر من نصف تسليح جيشي العملاقين الآسيويين، إلا أنه لم يكن هناك حتى منتصف العقد المنصرم أي تنسيق أو تفاهم عسكري بين هذه البلدان الثلاثة، بل على العكس كانت الخلافات بينهما كثيرة، خاصة بين الهند والصين بسبب دعم الأخيرة لعدو الهند الدائم باكستان، بينما الخلافات بين روسيا والصين كانت وما زالت على الحدود الممتدة بينهما لآلاف الكيلومترات، إلى جانب موروث الخلافات الإيديولوجية بينهما في المنافسة على زعامة العالم الاشتراكي السابق. ورغم هذه الخلافات، إلا أن الخطر الجديد وتكثيف الوجود العسكري لحلف الناتو والولايات المتحدة في أفغانستان، دفع هذه الدول الثلاث إلى التقارب والتفاهم السياسي والعسكري، وشهد العام ٢٠٠٥ أول مناورات عسكرية مشتركة بين الصين وروسيا في إطار منظمة شنغهاي للتعاون، وتوالت بعدها مناورات مشابهة، كما شهد العقد المنصرم أيضا أول مناورات عسكرية مشتركة بين روسيا والهند، والتي تعددت في البر والبحر.

ودار الحديث في الأوساط الدولية حول احتمال تأسيس تحالف استراتيجي جديد بين موسكو وبكين ونيودلهي، خاصة مع تذبذب العلاقات بين واشنطن والهند من جهة، وواشنطن وبكين من جهة أخرى، وظهور بوادر خلافات جوهرية بين واشنطن والعملاقين الآسيويين في قضايا كثيرة، خاصة أثناء إدارة الرئيس بوش الابن في البيت الأبيض، الأمر الذي مهد الساحة الآسيوية لروسيا، في ظل رئاسة فلاديمير بوتين الذي أولى اهتماما كبيرا للهند وروسيا، هذا في

الوقت الذي كانت العلاقات بين روسيا وإيران أفضل منها بكثير عما هي عليه الآن، وكان دعم ودفاع الكريملن في عهد بوتين عن إيران واضحاً للجميع ولا يقبل الجدل.(١)

ومع مجيء الرئيس أوباما للبيت الأبيض ووصـول الـرئيس ميدفيـديف للحكـم فـي الكريملن، بدا أن هناك بعض التغييرات في التوجهات على الساحتين الإقليمية والدوليـة، علـى الرغم من أن الحملة العسكرية التي تقودها واشنطن والناتو في أفغانستان لم تتراجع، بـل زادت حدتها بعد أوامر الرئيس أوباما بتوجيه المزيد من القوات والدعم المالي للحرب هنـاك، ولكـن التغييرات طرأت على العلاقات الأميركية - الروسية ذاتها، حيث بـات واضـحا أن روسـيا أصبحت تحتل مكانة متقدمة في أجندة الرئيس أوباما الخارجية، وبدا أن بين الكـريملن والبيـت الأبيض مؤشرات تفاهم وتنسيق، انعكست بشكل واضح في توقيع اتفاقية الحد من التسلح النووي «ستارت ٣» والتصديق عليها، كما بدا أكثر وضوحا في مشاركة قـوات روسـية مـع قـوات أميركية في عمليات ضد مزارع ومخازن المخدرات في أفغانستان، وبدأت التغييـرات تـنعكس على مواقف روسيا من حلفائها الآسيويين، حيث وافقت موسكو على عقوبات مشددة على إيران، بينما لم تجرِ أية مناورات عسكرية روسية مع الصين منذ وصول ميدفيديف للحكم، وفي نفـس الوقت زاد اهتمام روسيا بالقارة الأوروبية بشكل واضح، كما تحسنت علاقات موسـكو بحلـف الناتو كثيرا بعد قمة لشبونة الأخيرة، بينما تراجع اهتمامها بأميركا اللاتينية والـشرق الأوسـط بعض الشيء، وإن كان اهتمام موسكو بالهند ظل كما هو، نظرا للموروث التاريخي بين البلدين.

ويبدأ العقد الثاني من القرن مع تساؤل مهم عن توجهات السياسة الخارجيـة الروسـية، حيث يرى البعض أن توجهات الرئيس ميدفيديف تختلف كثيرا عن توجهات سلفه بـوتين علـى الساحتين الإقليمية والدولية، الأمر الذي يتوقع معه الكثيرون تغييرا في توجهات دفـة الـسياسة

---

(١) ليونيد ألكسندروفيتش، المرجع السابق: http://www.albayan.ae/opinions/articles

الخارجية الروسية قليلا، من الشرق والجنوب نحو الغرب، بينما يرى البعض أن موسكو لا تريد تكوين عداءات مع أحد، ولا تريد أن تخيف منها أحدا، وأنها ما زالت في مرحلة تحسين سمعتها الموروثة عن الحقبة السوفيتية والحرب الباردة.

تسربت وثيقة روسية من وثائق السياسة الخارجية، تجعل الكثيرين من مراقبـي الـشأن الروسي يتشككون في حقيقة أن الرئيس الروسي يحول بلاده إلى وجهة جديدة أكثر ميلاً للغرب. فالقراءة المتمعنة لهذه الوثيقة والتي تتكون من ـ ١٨٠٠٠ ـ كلمة لا تدعم مثـل هـذا التفكيـر الرغبوي. وعلى الرغم من أن وزارة الخارجية الروسية لم تجادل بشأن صحة هذه الوثيقة، فإنها والكريلمين أيضاً لم يصدراها بشكل رسمي حتى الآن على العكـس مـن الوثيقـة الخاصـة بـ"العقيدة العسكرية الروسية"، التي أُصدرت في شهر فبراير. وبخلاف وثيقة السياسة الخارجية المتسربة، لم تُقابل وثيقة "العقيدة العسكرية الروسية" بحرارة في الغرب بسبب نبرتهـا المناوئـة للغرب بشكل واضح. فوفقاً لهذه الوثيقة، فإن التهديدات الثلاثة الأساسية لروسيا هـي: توسـيع نطاق حلف "الناتو"، والجهد الذي يقوم به للاضطلاع بـ"الوظائف الكونيـة بالمخالفـة لقواعـد القانون الدولي"، ونشر قوات أجنبية "أي أميركية" في الدول المجاورة لروسيا، ونشر منظومـات الدفاع الصاروخي الاستراتيجي التي ستقوض الأمن الكوني، وتنتهك العلاقات المتبادلة القائمـة بين القوى المختلفة في مجال الصواريخ النووية.[١]

وثيقة السياسة الخارجية، على النقيض، أكثر تدقيقاً، وأكثـر تركيـزاً علـى النـواحي الاقتصادية، وتتجاهل إلى حدٍ كبيرٍ، ولكن ليس تماماً، الرطانة القتالية التي تتـسم بهـا الوثـائق العسكرية عادة. ولكننا مع ذلك نجد -مرة أخرى- أن القراءة المتمعنـة تكـشف بوضـوح أن

---

(١) ديفيد جيه كرامر، وثيقة السياسة الخارجية... وملامح التوجهات الروسية، ٢٠١٠/٧/٢٣، نقلاً عن موقع الاتحاد على الرابط التالي:

http://www.alittihad.ae/details.php

أهداف السياسة الخارجية الروسية، تتراصف بشكل يكاد يكون تاماً، مع تلك الواردة في وثيقـة العقيدة العسكرية. فعلى سبيل المثال تسعى وثيقة السياسة الخارجية إلى دفع الولايـات المتحـدة للتخلي عن الأفعال الهادفة لنشر عناصر من نظام دفاع صاروخي في أوروبا، تمتلك القدرة على تقويض قدرات الردع الروسية، والاتجاه بدلاً من ذلك لتشكيل "مجموعة دفاع صاروخي"، تتكون من الدول ذات الاهتمام.

تسعى تلك الوثيقة أيضاً إلى تأكيد التعاون مع الدول الأعضاء في الاتحـاد الأوروبـي، والتي تتبنى موقفاً إيجابياً تجاه الاتحاد الروسي، ويأتي على رأسها جمهورية ألمانيا الفيدراليـة، وفرنسا، وإيطاليا وإسبانيا -على النقيض من أعضاء الاتحاد الأحدث من دول شرق القارة.

بشكل عام، تدعم الورقة بوضوح، تأسيس مجال نفوذ روسي، مؤكدة الحاجـة لتعزيـز "كومنولث الدول المستقلة"، الذي أُسس في الحقبة ما بعد السوفييتية. والعمـل علـى المواجهـة الفاعلة للمحاولات التي تقوم بها القوى الواقعة خارج هذه المجموعة، للتدخل في علاقات روسيا مع ذلك الكيان، أوعرقلتها للجهود التي تبذلها من أجل الترويج للغة والثقافة الروسية فـي تلـك الدول.

تتحدث الوثيقة أيضاً عن تقديم دعم تكنولوجي متطور للمنطقة المطالبة باسـتقلالها فـي "أبخازيا" الواقعة داخل حدود جمهورية جورجيا -ولكنها لا تأتي على أي ذكر لجورجيا ذاتهـا، ودول لاتفيا، وليتوانيا، واستونيا - بشكل خاص -يجب أن تهتم بالخطط الروسية الرامية لتوسيع وجودها الاقتصادي في منطقة البلطيق نظراً -كما جاء بالوثيقة- لـ"الهبوط الحاد فـي معـدل جاذبية تلك الدول لاستثمارات دول الاتحاد الأوروبي، والتدهور الكبيـر فـي قيمـة أصـولها الوطنية"، ومن الموضوعات المتكررة في الوثيقة موضوع استخدام الأموال الروسية لشراء كـل

الأصول الحيوية في تلك البلاد في محاولة من موسكو لتعزيز سيطرتها عليها من خلال الاقتصاد.

تسعى الوثيقة أيضاً إلى اجتذاب أوكرانيا ورومانيا "إلى مدار التعاون الاقتصادي مع روسيا"، وتدفع في اتجاه تكوين "كونسورتيوم" لإدارة وتطوير نظام نقل الغاز في أوكرانيا وإلى "حصول المستثمرين الروس على حصص متحكمة في المشروعات الأوكرانية الكبرى"، أما بالنسبة للولايات المتحدة، فتسعى الوثيقة إلى الحصول على تصديق منها على "اتفاقية التعاون النووي" التي حولها أوباما مؤخراً للكونجرس، وإلى رفع العقوبات المفروضة على المشروعات الروسية، وعلى زيادة التعاون الثنائي بين الدولتين وإلى الحصول على وضعية الدولة الأكثر رعاية. (١)

والوثيقة لا تقدم شيئاً في المقابل. فعلى الرغم من أنها تثني على نهج أوباما "التعددي"، فإنها تحذر من "إضعاف" وضعه السياسي في الولايات المتحدة؛ لأن ذلك يمكن أن يفتح الباب لما تصفه الوثيقة بـ"إعادة عقارب الساعة إلى الوراء"، أي لاتخاذ مواقف وتبني سياسات أقل صداقة ووداً تجاه روسيا، في الوقت نفسه، تدعو الوثيقة إلى التعاون المستمر مع إيران في "طيف عريض من الموضوعات والقضايا" بما في ذلك التعاون في مجال الطاقة، وإلى تعزيز التعاون العسكري مع المجلس الثوري في ميانمار، وإلى زيادة مبيعات الأسلحة إلى دول أميركا اللاتينية ومنطقة الكاريبي.

نخلص من كل ما سبق إلى أن هذه الوثيقة الروسية الخاصة بالسياسة الخارجية ليست موالية للغرب على الإطلاق. فوثيقة العقيدة العسكرية المعلنة رسمياً، قد تكون تعبيراً فجاً عن النوايا الروسية، إلا أن وثيقة السياسة الخارجية -غير الرسمية- والأكثر تركيزاً على التفاصيل

---

(١) ديفيد جيه كرامر، المرجع السابق،: http://www.alittihad.ae/details.php

الدقيقة لا تختلف عنها كثيراً من حيث الجوهر. وخلال زيارة ميدفيديف يجب ألا يخطـئ أحـد فيفهم أن وثيقة السياسة الخارجية تمثل وجهاً أكثر وداً لروسيا، فروسيا تحت حكـم ميدفيـديف، تبقى دولة نستطيع أن نقوم ببعض العمل معها، ولكن الفوارق الكبيرة بـين مـصالحنا وقيمنـا ومصالحها وقيمها تبقى واسعة، وهذه حقيقة لا يجب أن نحاول إخفاءها أو التغطية عليها.

دعوة ميدفيديف إلى نظام مالي دولي عادل

أكد الرئيس الروسي ديميتري ميدفيديف أنه أصبح واضحاً للجميع أنه ليس بمقدور دولة واحدة أن تفرض قواعدها على الآخرين. واقترح الرئيس الروسي إقامة مراكز مالية مـشتركة بديلة وإصلاح المنظمة المالية العالمية بشكل عام ووضع قواعد عامة للجميع. ودعا الى ضرورة عقد معاهدة جديدة ملزمة قانونا بشأن الأمن الأوروبي بعد التغييرات الجوهرية التي طرات على الأمن الدولي. واكد ميدفيديف خلال مباحثاته في بطرسبورغ مع المستـشارة الألمانيـة انجـيلا ميركل أن روسيا تريد جعل هذه المعاهدة بمنزلة جزيرة متميزة للأمن فـي مجمـل المنطقـة الأوروبية وتستند الى أسس القانون الدولي وتوازن مصالح جميع الدول والمنظمات والتحالفـات القائمة في القارة الأوروبية مشيراً الى انه من المهم جداً بالنسبة لروسيا رأي ألمانيا فـي هـذا المجال بوصفها أحد أكثر شركاء روسيا احتراماً ومسؤولية. [١]

واعرب ميدفيديف عن الأمل في ألا تعمد الدول غير الإقليمية التي لاتملـك أي علاقـة بتمديد أنبوب لنقل الغاز من روسيا الى أوروبا في قاع بحر البلطيق أي مايسمى بمشروع السيل الشمالي إلى عرقلة تنفيذ هذا المشروع الذي يعود بالفائدة على جميع المشاركين فيه، كمـا أكـد الرئيس الروسي ديمتري ميدفيديف اليوم أن عهد الهيمنة الاقتصادية الأميركية مضى إلى غيـر

---

(١) ميدفيديف عهد الهيمنة الاقتصادية الأميركية ولى..والعالم بحاجة إلى نظام مالي أكثر عدلاً، ٢٠٠٨/١٠/٣، نقلاً عن وكالة الأنباء السورية سانا، على الرابط التالي: http://www.syriasteps.com/index.php

رجعة. وقال إن عهد هيمنة اقتصاد وعملة ولى من دون رجعة مشدداً على ضرورة العمل معـاً لإقامة نظام اقتصادي مالي جديد أكثر عدلاً. وأشار ميدفيديف أن أزمة القوقاز المرتبطة بعدوان جورجيا على اوسيتيا الجنوبية لم تسفر عن فترة برود في العلاقات الروسية الألمانية، وقال ان واجب الساسة ان يكونوا على اتصال دائم وان يناقشوا اكثر المسائل تعقيدا كالتي اصطدمت بها روسيا في آب الماضي بعد العدوان الجورجي. واضاف ميدفيديف ان سير الأحداث يشير الـى مقدرة روسيا وألمانيا على الاتفاق في أشد المسائل صعوبة حتى في الظروف التي أصبح فيهـا الوضع الدولي أكثر تعقيداً بعد أزمة القوقاز المعروفة. بدورها قالت ميركل انها لم تشعر ببرود في العلاقات الثنائية مع روسيا وانه من المبكر إعطاء أوكرانيا وجورجيا صفة المرشح الرسمي للانضمام إلى الحلف الأطلسي موضحة انه سيجري خلال اجتمـاع وزراء خارجيـة الحلـف الأطلسي المقرر في كانون الاول تقييم أولي باتجاه البدء بخطة العمل من أجل الانـضمام الـى الحلف الأطلسي لا أكثر ولا أقل. واشارت ميركل الى وجود رؤى مختلفة للأمور بين روسـيا وألمانيا في مسائل السياسة الخارجية ومسائل الأمن ولاسيما مايتصل بأزمة القوقـاز الأخيـرة مؤكدة في الوقت ذاته ان الاتصالات المستمرة والمباشرة بين البلدين أتاحت لهما عـدم اتخـاذ موقف الصمت حيث أسهمت ألمانيا بقسطها داخل الاتحاد الأوروبي عند وضع خطـة تـسوية الوضع في اوسيتيا الجنوبية.

أعلن ميدفيديف أنه لا عودة إلى الحرب الباردة ولن يكون بوسع أحد إعادة العـالم إلـى هذه الحرب. وقال ميدفيديف في كلمة له أمام المنتدى الحواري في بطرسبورغ إن العالم يواجـه وضعاً يحاول فيه البعض السيطرة على الرأي العام العـالمي بواسـطة الخـداع والمراوغـة والتعصب القومي العدواني. وأكد أهمية إدراك الترابط بين البلدان والشعوب في العـالم مـشيراً إلى أن هذا الترابط لا يقتصرعلى العلاقات بين المصدرين والمستوردين في مجال الطاقـة ولا

ينحصر في المجال الاقتصادي فحسب بل يشمل أيضاً مجالات العلـوم والتعلـيم والتكنولوجيـا والثقافة. وأشار ميدفيديف إلى أن العلاقات الروسية والالمانية تـشكل عـاملاً للاسـتقرار فـي المنطقة الأوروأطلسية ولا تتأثر بتقلبات الأهواء الجيوسياسية مؤكداً أن البلدين يتفهمان ويراعيان مصالح بعضهما البعض بغض النظر عن الاختلافات الناشئة بينهما. (١)

واعتبر مدفيديف أن الهدف الرقم واحد للرئيس الأميركي المقبل يجب أن يكون توضيح حالة اقتصاد بلاده مستبعداً احتمال العودة الى الحرب الباردة. وفي اشارة إلى الأزمة المالية التي تزعزع الاقتصاد العالمي منذ بضعة اسابيع، قال مدفيديف ايا يكن الرئيس المقبل، يجب ان يكون هدفه الاول توضيح حالة اقتصاد بلاده، وأضاف الرئيس الروسي في مؤتمر صحافي عقده فـي ختام محادثات مع رئيس الوزراء الإسباني خوسيه لويس ثاباتيرو في ستريلنا القريبة من سـان بطرسبورغ هذا ما يتعين عليه الاهتمام به. وأكد الرئيس الروسي من جهة اخرى أنه لا يـرى سبباً لاحتمال عودة الحرب الباردة فيما شهدت العلاقات بين موسكو وواشنطن توتراً واضحاً منذ إندلاع الأزمة الروسية الجورجية في آب، وقال اعتقد أنه لا تتوافر في الوقت الـراهن أسـباب للعودة إلى الحرب الباردة. وأضاف أن الحرب الباردة قامت كل شيء على خلافات ايديولوجيـة بين الاتحاد السوفياتي وبلدان المعسكر الاشتراكي من جهة وبلدان الحلف الاطلسي مـن جهـة ثانية، ولا نواجه في الوقت الراهن هذا النوع من الخلافات الايديولوجية. من جهته أكد ثاباتيرو أن الأولوية التي يتعين على الرئيس الأميركي المقبل الذي سينتخب في تشرين الثاني أن يضعها نصب عينيه هي إقامة علاقات جيدة مع روسيا.

إعادة صياغة العلاقات الأمريكية الروسية في عهد الرئيسين ديمتري ميدفيديف وباراك أوباما

---

(١) ميدفيديف عهد الهيمنة الاقتصادية الأميركية ولى..والعالم بحاجة إلى نظام مالي أكثر عدلاً:
http://www.syriasteps.com/index.php

شهدت الفترة الأخيرة إشارات متبادلة بين الولايات المتحدة وروسيا, خاصة بعد تولي إدارة الرئيس الجديد باراك أوباما مقاليد السلطة في ٢٠ يناير ٢٠٠٩, ربما تؤدي لفتح صفحة جديدة في العلاقات المعقدة بين واشنطن وموسكو, بعد مرحلة من الفتور اعترت العلاقات بينهما في عهد الإدارة الأمريكية السابقة. ففي سعي الإدارة الجديدة لتحسين صورة الولايات المتحدة عالميا والابتعاد عن سياسة الأحادية والغطرسة التي تميزت بها الإدارة السابقة, فإنها تبدي مرونة ملحوظة تجاه قوي دولية وإقليمية عديدة, علي رأسها روسيا التي تملك أوراقا كثيرة في تسوية ملفات وخلافات عديدة, ثنائية وإقليمية ودولية.

وقد تنشأ المنطلقات لتحسين العلاقات الثنائية علي أساس متكافئ, ولكن التطورات الإيجابية لا تبدو ممكنة إلا في حالة تخلي الولايات المتحدة عن نشر الدفاع الصاروخي في أوروبا, وعن قبول أوكرانيا وجورجيا في حلف الأطلسي, مقابل موافقة روسيا علي تشديد العقوبات علي إيران أو الضغط عليها من أجل وقف برنامجها النووي, فضلا عن مساعدة موسكو للناتو في حربه الضروس في أفغانستان, في إطار 'صفقة كبري' أو 'مقايضة' بين واشنطن وموسكو, بات الحديث عنها متواترا خلال الفترة الأخيرة. [1]

تمثل العلاقات مع روسيا عنصرا بالغ الأهمية والحساسية بالنسبة للإدارة الأمريكية الجديدة بقيادة باراك أوباما. فبرنامج السياسة الخارجية الأمريكي, الذي تم اعتماده منذ الأسابيع الأولي للحملة الانتخابية, يضع علي رأس أولوياته ملفات معقدة لا يمكن حلها بدون الاستعانة بمساعدة موسكو. صحيح أن الحاجة الأمريكية للتعاون مع روسيا من أجل التصدي لموضوعات شائكة, كالملف النووي الإيراني أو الوضع الداخلي الملتهب في أفغانستان أو حتي البرنامج النووي لكوريا الشمالية, ليست وليدة اللحظة, فالصعوبات نفسها سبق أن واجهت الإدارة

---

(١) أحمد دياب، أوباما وإعادة صياغة العلاقات الأمريكية الروسية، ٢٠٠٩/٤/٢٢، صحيفة الميثاق، ص ٥.

الأمريكية السابقة, لكنها فضلت التصدي لها باعتماد سياسة خارجية انفرادية اتسمت بالعنجيهـة والصلف, الأمر الذي دفع الجميع, سواء كانوا من الخصوم أو من الحلفاء، إلي التخلـي عنهـا وتركها تواصل حماقاتها, وهو ما أفضي إلي حدوث أكبر تراجع للنفوذ الأمريكي منـذ انهيـار جدار برلين, بل إن الهيبة الأمريكية, بوصفها تمثل الدولة العظمي في العـالم, أصـابها خـدش كبير. وقد تعاظم التخبط الأمريكي في عهد الإدارة السابقة مع بروز قوي إقليمية متعددة مثلت - ولا تزال - تحديا لحالة الأحادية القطبية الأمريكية, إلي مستوي الحد الذي أصبحت تلعب فيـه أدوارا تفوق حجمها الجيوسياسي والعسكري وحتي الاقتصادي. لقد سبق للرئيس أوباما أن عبر عن أمله في أن يتمكن الطرفان الأمريكي والروسي من إقامة علاقات بناءة في المجالات التـي يمكن لهما أن يتقدما فيها إلي الأمام في ظل الاحترام والمصلحة المتبادلة.

ويأتي هذا الموقف في ظل انتشار قناعة كبيرة لدي المعسكر الديمقراطي الأمريكي بـأن المرحلة السابقة عرفت تضييقا كبيرا علي الطرف الروسي, وتميزت بأحاديـة مفرطـة خـلال الولايتين الرئاسيتين لجورج بوش, وصلت إلي درجة أبدي فيها البعض تخوفهم من الرجوع إلي حقبة الحرب الباردة بكل ذكرياتها المريرة. وقد بدا واضحا في ظل الظروف الدولية السابقة أن الجانب الأمريكي حرص علي التركيز علي برنامج الدرع الصاروخية في بولندا وتشيكيا, مـن أجل صرف أنظار الطرف الروسي عن برنامج توسيع حلـف الأطلـسي, حتـي يـصل إلـي الاستقرار بصورة نهائية في خاصرة الدب الروسي. وقد شكلت الحرب الروسية ضد جورجيـا, في أغسطس ٢٠٠٨, إشارة قوية إلي واشنطن وحلفائها علي مدي ما يمكن أن تذهب إليه موسكو في الدفاع عن مصالحها الحيوية فيما تسميه 'الجوار القريب'. وعليه, فالأولوية الجديدة التي لدي الإدارة الأمريكية الجديدة تتجه نحو التركيز في المرحلة المقبلة علي فتح صـفحة جديـدة فـي

العلاقات بين الجانبين, من أجل احتواء ما يوصف بردود الفعل الروسية المتشنجة والناجمة عن إحساسها المتنامي بالعزلة والحصار[١].

من ناحية أخري, تؤيد معظم الدول الأوروبية (خصوصا ألمانيا وفرنسا), باستثناء بعض دول أوروبا الشرقية والوسطي التي كانت تدور في فلك الاتحاد السوفيتي السابق, فكرة التوجـه نحو الانفتاح علي روسيا, وليس حصارها أو احتواءها علي خلفية رغبة تاريخية دفينة, إضـافة إلي أن روسيا هي أحد مصادر إمدادات الطاقـة لأوروبـا. وبـرغم أن هنـاك العديـد مـن الاستراتيجيين الغربيين النافذين يصورون القيادة الروسية, خاصة رئـيس الـوزراء فلاديميـر بوتين, علي أنها معادية حتي النخاع للغرب والولايات المتحدة تحديدا, فإن هناك البعض الذي لا يتردد في تأكيد وجود تيار في القيادة الروسية يؤيد الانفتاح بقوة علي الغرب, وأن قائد هذا التيار ليس سوي الرئيس الروسي ديمتري ميدفيديف نفسه. ولم تتردد صحيفة 'الواشنطن بوست' في أن تشير إلي أن وجود 'نزاع' داخل النخبة الروسية الحاكمة يشكل سببا إضافيا لشروع إدارة أوباما في الحوار مع موسكو من أجل 'تعزيز معسكر ميدفيديف'[٢]. وقد أعلن نائب الرئيس الأمريكي, جون بايدن, خلال مؤتمر ميونيخ للأمن في أوروبا في فبراير ٢٠٠٩, أنه لا يمكن اعتبار قـوة روسيا ضعفا للناتو, داعيا إلي وقف التدهور في العلاقات الأمريكية - الروسية, والعمـل علـي تحسينها عبر إيجاد مجالات العمل المشترك, مما يكشف عن مـساعي إدارة أوبامـا لتقلـيص مساحات الخلاف مع روسيا. هذا المنهج يختلف كليا عن أسلوب إدارة بوش السابقة, التي لم تكن تجتهد في البحث عن المواقف المشتركة مع الآخرين, وإنما كانت تعمل علي فرض مواقفها علي بقية دول العالم بالقوة والترهيب غالبا, وبالإقناع والترغيب نادرا[٣].

---

(١) الحسين الزاوي, أوباما ومخالب الدب الروسي, صحيفة الخليج, ١٣ مارس ٢٠٠٩، ص ١٠.

(٢) د. محمد مخلوف, واشنطن وموسكو .. مقايضات أم لعبة جديدة?, صحيفة البيان, ١٢ مارس ٢٠٠٩.

(٣) د. جانا بوريسوفنا, علي أعتاب القمة الروسية - الأمريكية, صحيفة البيان, ٥ مارس ٢٠٠٩، ص ٢٢.

ويمكن القول إن اللقاء, الذي جمع هيلاري كلينتون ونظيرها الروسي سيرجي لافروف في جنيف في ٦ مارس ٢٠٠٩, رغم أنه لم يمكنهما من التوصل إلي نتائج إيجابية بصدد الملفات المتنازع عليها, إلا أنه سمح لهما بإذابة الجليد والتوتر اللذين كانا يحولان دون عودة الدفء والهدوء إلي العلاقة بين البلدين, وذلك قبل الانتقال في مرحلة مقبلة إلي معالجة الموضوعات الشائكة, مثل اتفاقية نزع الأسلحة النووية الاستراتيجية, وبرنامج الدرع الصاروخية, وآفاق توسيع حلف الأطلسي, إضافة إلي استئناف التشاور مع الحلف بصدد الملف الأفغاني والبرنامجين النوويين الإيراني والكوري الشمالي. واعتبرت كلينتون أن هذا اللقاء بداية جيدة ليس فقط لتطوير علاقات البلدين الثنائية, 'وإنما لقيادة العالم في القضايا المهمة', وعلي رأسها الأسلحة النووية والأمن النووي, لكنها قالت إن فتح صفحة جديدة في العلاقات الروسية - الأمريكية سيستغرق وقتا, وإن العلاقات تحتاج إلي مزيد من الثقة المتبادلة. وقد أشارت كلينتون إلي أنها تريد بداية جديدة للعلاقات مع روسيا, لكنها أوضحت أن الانقسامات لا تزال قائمة بشأن توسع حلف شمال الأطلسي وعلاقات روسيا مع جيرانها, في إشارة إلي التوغل الروسي في الأراضي الجورجية[١].

ويبدو أن لقاء لافروف - كلينتون لا يزال في مرحلة الاستطلاع للمواقف ووجهات النظر, حيث يسيطر اعتقاد علي الأوساط السياسية الروسية بأن السياسة الأمريكية تجاه روسيا لن تشهد تغييرات جذرية, باعتبار أن الولايات المتحدة لا تزال تحت تأثير بقايا الحرب الباردة, وأن أغلبية مؤسسات إنتاج السلاح وشركات النفط تجد في تصعيد التوتر بين البلدين مصالح مباشرة, بدءا من تسويق المنتجات العسكرية, وانتهاء بمحاولة السيطرة علي منابع الطاقة بهدف

---

(١) رائد جبر, صحيفة الحياة, ٨ مارس ٢٠٠٩، ص ٩.

التحكم في النمو الاقتصادي والصناعي لأغلبية الدول الأوروبية. كما لا يعتقد فـي موسـكو أن واشنطن ستتراجع عن نشر أسلحتها الاستراتيجية الهجومية خارج أراضيها.

ويراهن الكرملين علي أن تأثيرات الأزمة المالية العالمية, التي أوصلت أوباما إلي مقعد الرئاسة في الولايات المتحدة, والتي ستلقي بظلالها علي توجهات السياسة الخارجية الأمريكيـة والعلاقة مع روسيا - باعتبار أن مشروعات وخطط إدارة بوش حملـت الموازنـة الحكوميـة الأمريكية أعباء ثقيلة - بات من الضروري التخاص منها اليوم. وهو ما يفرض علـي الإدارة الجديدة إجراء تعديلات في توجهات سياساتها الخارجية, منها إعادة النظر فـي نـشر الـدرع الصاروخية الأمريكية, التي ستشكل عبئا علي الميزانية الأمريكية, باعتبار أن تكـاليف الخطـة زادت علي ١٨٠ مليار دولار, سيتم إنفاقها خلال خمس سنوات, في الوقت نفسه الذي يمكن فيه إنهاء ما يسمي بالخطر الإيراني بالتفاهم مع روسيا. كما أن واشنطن تدرك أن تقليص الخـسائر البشرية والتكاليف المادية في تسوية الملف الأفغاني يحتاج لمشاركة فعالة من جانب روسيا[١].

وإذا كانت الأزمة المالية العالمية قد شكلت محددا رئيسيا في توجهات إدارة أوباما تجـاه روسيا, فإن الأزمة نفسها هي التي جعلت موسكو تقابل واشنطن في منتصف الطريق. فالاقتصاد الروسي القائم أساسا علي الريع النفطي والغاز لا يتحمل أعباء الدخول في سباق تـسلح جديـد. لذا, رحبت موسكو بهذا النهج الجديد لإدارة أوباما, وأعرب الرئيس الروسي ديمتري ميدفيـديف عن تفاؤله بأن 'صفحة جديدة من العلاقات تفتح بين موسكو وواشنطن', قائلا إنه تلقي إشـارات 'إيجابية جدا' من نظيره الأمريكي باراك أوباما خلال الفترة الأخيرة. وجاء حـديث ميدفيـديف, خلال استقباله, في ١٠ مارس ٢٠٠٩, أعضاء اللجنة الأمريكية المستقلة لدراسة سياسة واشنطن تجاه روسيا. وأعرب ميدفيديف عن الأسف لانخفاض مستوي العلاقات بين موسكو وواشـنطن

---

(١) د. جانا بوريسوفنا, في انتظار اتفاق موسكو وواشنطن, صحيفة البيان, ١٣ مارس ٢٠٠٩، ص ٢٢.

في السنوات الأخيرة, مؤكدا أن كثيرا من الملفات الصعبة والمهمة في العالم مرتبط بهذه العلاقات, بما في ذلك علي صعيد مكافحة الإرهاب وتنمية الاقتصاد[(١)].

أهم قضايا العلاقات :

١- معاهدة الأسلحة النووية :

يأتي في مقدمة القضايا, التي أشاعت جوا من التفاؤل بشأن تطور العلاقات الروسية - الأمريكية, إعلان الرئيس باراك أوباما استعداده التفاوض مع روسيا حول اتفاق لنزع السلاح النووي, يتم بموجبه تحديد سقف للترسانة النووية للبلدين في حدود لا تتجاوز ألف رأس لكل واحد منهما. وبالمقارنة مع إدارة الرئيس بوش, تشكل الخطوة الحالية لفريق أوباما تغييرا جوهريا, قياسا علي السياسة السابقة التي اقتصرت جهودها في هذا المجال علي تصريحات ضد السلاح النووي دون مضمون محدد. بل إن عهد بوش شهد تقويض العديد من الاتفاقات والمعاهدات في هذا الشأن. ومنذ عام ٢٠٠٥, تعرض موسكو علي واشنطن بصورة دورية استئناف المفاوضات حول مصير المعاهدات والاتفاقيات السابقة بشأن السلاح النووي, لكنها لم تتلق أي شئ محدد باستثناء الوعود بالعودة لذلك[(٢)].

لذا، يأتي إعلان أوباما الأخير عن استعداد بلاده للتفاوض مع روسيا بهدف الحد من التسلح النووي كخطوة في الطريق الصحيح, ليس لإرضاء موسكو فحسب, بل لما ينطوي عليه الإعلان من مصلحة كبري للولايات المتحدة قبل غيرها, لا سيما أنها تدرك جيدا أنها في غني عن ترسانة نووية ضخمة تشجع الآخرين علي الاستزادة منها. إذ حتي بدون السلاح النووي, تبقي الولايات المتحدة متفوقة في مجال السلاح التقليدي ومتقدمة علي جميع بلدان العالم.

---

(١) رائد جبر, صحيفة صحيفة الحياة, ١١ مارس ٢٠٠٩، ص ١٩.

(٢) د. جانا بوريسوفنا, علي أعتاب القمة الروسية - الأمريكية, صحيفة البيان, ٥ مارس ٢٠٠٩، ص ٢٣.

وبالطبع, لم يخل الإعلان الأمريكي من لفتة موجهة إلي روسيا, مفادها أنها لا تنوي الانقـلاب علي التفاهمات السابقة التي تم التوصل إليها مع الاتحاد السوفيتي الـسابق, والمتعلقـة بتقنـين السلاح النووي, حتي لا تعتقد موسكو أن واشنطن تريد زيادة أسلحتها النوويـة علـي حـساب موسكو. ولا ننسي أيضا أن ما حرك أوباما في إعلانه هو هاجس الانتشار النووي الـذي يثقـل كاهل إدارته في التعاطي مع الملف النووي الإيراني, فضلا عن قرب انعقاد مـؤتمر لمراجعـة معاهدة حظر الانتشار النووي العام المقبل. فقد تعرضت المعاهدة لانتقادات شديدة من قبل الدول غير النووية, التي لاحظت تهرب الدول النووية من التزاماتها بشأن الحد من ترسانتها. لذا, تريد الولايات المتحدة تغيير نبرتها وإظهار تعاونها من أجل حشد التأييد الدولي للضغط علي إيـران, وربما إقناعها في ظل الترتيبات النووية الجديدة بأنها لن تستفيد من حيازة السلاح النووي بقـدر ما ستخسر[١].

وقد رحبت روسيا بمبادرة واشنطن التي تعتزم أن تقترحها علـي موسـكو, والخاصـة بتقليص الترسانات الاستراتيجية بنسبة تصل إلي ٨٠%. وقد قيم المسئولون الـروس والخبـراء إيجابيا هذه النوايا غير المعلنة رسميا بعد, ويرفقون تقييماتهم هذه بجملة من التحفظـات, لكـنهم يجمعون علي أن موسكو تري أن المسألة حول تقليص الترسانة النووية يجب أن ترتبط بمـسألة نشر عناصر المنظومة الأمريكية للدفاع الصاروخي في أوروبا, حيث تبقي هذه القضية العقبـة الكبري في طريق وضع اتفاقية جديدة, ولكن باراك أوباما يمكن أن يقـدم علـي تجميـد هـذا المشروع لأجل غير مسمي. وتشير تقارير إلي أن واشنطن علي استعداد لطرح مقترحاتها خلال المفاوضات التي ستبدأ مع موسكو في القريب العاجل حول الاتفاقية الجديدة الخاصـة بالرقابـة علي التسلح, التي يجب أن تحل محل معاهدة تقييد الأسلحة الاستراتيجية الهجومية الأولي التـي

---

(١) بونيفاس, سياسة أوباما النووية, (٢٠٠٩). صحيفة الاتحاد, ٢٨ فبراير ٢٠٠٩.

سينتهي مفعولها في ديسمبر ٢٠٠٩، وعلي الرغم من أن موسكو لم تتلـق بعـد أي مقترحـات رسمية من واشنطن حول نزع السلاح, إلا أنها - علي حد قول نائب رئيس الحكومة الروسـية سيرجي إيفانوف - علي استعداد لخوض المفاوضات, وتوقيع اتفاقية روسية - أمريكية جديـدة حول تقليص الترسانات النووية في غضون عام واحد. وسيتعين علي روسيا والولايات المتحدة, قبل معالجة هذه المهام الطموح, حل جملة من القضايا الخطيرة التي تعيق المفاوضـات حـول المعاهدة الجديدة في مجال نزع السلاح في السنوات الأخيرة. ولعل أهمها هـي المـسألة التـي تقضي بألا يشمل التقليص الرءوس النووية فقط, بل والصواريخ التي تحملها أيضا وهو ما تصر عليه روسيا, خاصة الرءوس غير المنشورة, فقد أصرت الولايات المتحدة في عهد جورج بوش علي أن أي اتفاق يجب ألا يخص إلا الرءوس النووية المنصوبة ميدانيا.

وما يثير قلق موسكو كثيرا هو وجود أسلحة غير نووية خارقة الدقة في حوزة الولايات المتحدة, وتريد روسيا شمولها بالتقليص أيضا بموجب المعاهدة الجديدة. ولكـن الأهـم هـو أن خطط واشنطن لنشر عناصر المنظومة الأمريكية للدفاع الصاروخي في أوروبا الشرقية تعترض الطريق إلي عقد معاهدة جديدة, بدلا من المعاهدة السابقة في مجـال نـزع الأسـلحة. ويؤكـد المندوب الروسي الدائم لدي الناتو, ديميتري روجوزين, أن المسألة حـول تقلـيص الـرءوس النووية يجب ألا تعالج إلا مع المسألة التي تخص الدفاع الصاروخي. وقال 'إنه من غير الجـائز اقتراح تقليص الرءوس النووية والعمل في الوقت ذاته علي بناء وحدات عند الحدود الروسـية قادرة علي تدمير هذه الرءوس'. وافترض أن ألف رأس نووي غير كافية للتغلب علي المنظومة الأمريكية الراهنة للدفاع الصاروخي, برغم أن التصريحات الأمريكية الجديدة تشير إلي أن إدارة أوباما تشكك في جدوي هذا المشروع الذي سعت الإدارة الأمريكية السابقة إلي تحقيقه. وإذا كان

من المستبعد أن يتخلي باراك أوباما عن المعاهدتين الموقعتين مع وارسو وبراغ, فإنه قد يقدم في غضون ذلك علي تجميدهما, متذرعا بالأزمة الاقتصادية. [(١)]

ويقيم الخبراء الروس بإيجابية مشوبة بالحذر آفاق التوصل إلي اتفـاق محتمـل علـي تقليص الترسانات النووية في البلدين. ويشدد علي هذا الأمر الرئيس السابق لهيئة أركان قـوات الصواريخ الاستراتيجية, فيكتور يسين, الذي يري ضرورة أن يتم العمل, في ظل هذا التقلـيص العميق للصواريخ الاستراتيجية والرءوس النووية, علي ضمان مستوي متكـافئ مـن الأمـن للولايات المتحدة وروسيا. فإن واشنطن ستحظي بأفضلية استراتيجية خطيـرة, مـا لـم تتعهـد بموجب التزامات قانونية مثبتة بتقليص برنامج الدفاع الصاروخي داخل الولايات المتحدة, إضافة إلي تخليها عن الموقع الثالث للمنظومة الأمريكية للدفاع الصاروخي. وبخلافه, فإن خللا خطيرا سينشب في ميزان ضمان الأمن بين الولايات المتحدة وروسيا.

ويري الروس أنه ينبغي تمديد مفعول المعاهدة حول تقييد الأسلحة الاستراتيجية الهجومية الأولي, أو توقيع وثيقة جديدة. وفي جميع الأحوال, فإن موسكو بحاجة إلي معاهدة أخري خاصة بالدفاع الصاروخي, وإن بوسع الأمريكيين أن يعدوا بتجميد نشر هذه المنظومات فـي أوروبـا الشرقية, مقابل تقليص الأسلحة النووية ليعودوا من ثم إلي استئنافها, ولهذا ينبغي أن يتم تثبيـت جميع الشروط بالتفصيل في نص المعاهدة. وفي الوقت الذي يعرب فيه بعـض الخبـراء عـن اعتقادهم بأن المعاهدة حول تقليص الأسلحة النووية ومسألة الدفاع الـصاروخي فـي أوروبـا الشرقية ستناقش ضمن جملة واحدة, وأن مثل هذا الاقتراح من جانب أوباما سيعد مربحا بالنسبة لروسيا, فإن البعض الآخر, كخبير معهد التحليل السياسي والعسكري فـي موسـكو الكـسندر

(١) طه عبد الواحد، هل ستتغير السياسة الخارجية الروسية بعد مغادرة بوتين وقبل عودته ، نقلاً عن الرابط الالكتروني :
http://forum.rtarabic.com/showthread

خرامتشيجين, يري أن عدد الرءوس النووية الذي تقترحه الولايات المتحدة لا يبدو كافيا بالنسبة لروسيا من أجل ممارسة سياسة الردع النـووي إزاء الولايـات المتحـدة. إذ سـيكون بوسـع الأمريكيين تدمير الترسانة الروسية المقلصة من دون اللجوء حتي إلي استخدام سلاحهم النووي. ويشددون علي أن بوسع الولايات المتحدة تدمير الصواريخ التي تطلق من تحت الأرض, والتي تشكل أساس القوات النووية الروسية بواسطة توجيه ضربات غير نووية بالغة الدقة. أمـا تلـك الصواريخ التي ستتمكن روسيا من إطلاقها, فإنها ستقع فريسة للمنظومـة الأمريكيـة للـدفاع الصاروخي.

ويحذر الكثيرون في روسيا من أن تقليص الترسانة النووية سيجعل روسيا تقف عزلاء ليس أمام الولايات المتحدة فقط, بل وأمام الصين أيضا. إذ إن ما يشكل أساس القـوات النوويـة الصينية هو الصواريخ المتوسطة والقريبة المدي 'دونج فيونج' التي لا يزيد مـداها علـي ٦٠٠ كيلومتر, وإنها لا تشكل خطرا علي الولايات المتحدة, ولكنها تصل إلي الأراضي الروسية وأنه عقب التقليص الذي يقترحه أوباما, ستفقد موسكو القدرة علي إلحاق ضرر لا يعوض بالـصين, وبالتالي فلن يمكنها الحديث عن أي ردع نووي لبكين. وتشدد موسكو علي ضـرورة انخـراط الدول الأخري في عملية تقليص الأسلحة النووية, وأن هذا يجب ألا يكـون موضـوعا خاصـا بالاتفاقات الروسية - الأمريكية فقط, بل يجب علي الجميع المضي في طريـق عقـد اتفاقيـات موازية ومتوافقة حول القدرات النووية الموجودة في حوزة كافة الدول النووية, ومـن ضـمنها الدول النووية التي لم توقع المعاهدة حول حظر الانتـشار, أي الهنـد, وباكـستان, وإسـرائيل, وكوريا الشمالية, وربما دول أخري[1].

---

(١) كريم المظفر, ربيع العلاقات بين الكريملين والبيت الأبيض .. هل يحل سريعا?, صحيفة الخليج, ١٩ فبراير ٢٠٠٩.

٢- أفغانستان والصراع على آسيا الوسطي :

ظهرت بوادر صراع روسي - أمريكي جديد علي النفوذ في منطقة آسيا الوسطي, بعدما نجحت موسكو في إقناع قيرغيزستان بإغلاق قاعدة 'ماناس' الجوية التـي تـستخدمها القـوات الأمريكية ممرا رئيسيا لنقل إمدادات الناتو إلي أفغانستان منذ أواخر عام ١٠٠٢, وذلك بعـد أن طالبت قيرغيزستان بزيادة إيجار القاعدة السنوي '١٠٠ مرة' من مليونين ونصف مليون سـنويا إلي ٢٥٠ مليون دولار, باعتبار أن الإيجار السابق كان رمزيا في إطار الحملة الدوليـة علـي الإرهاب. أما الآن, فإن الأمور تغيرت, والعلاقات بين قيزغيزستان والولايات المتحدة تغيـرت هي الأخري بعد عزل الرئيس السابق عسكر أكاييف, حليف واشنطن في عـام ٥٠٠٢. حيـث أصبح الرئيس الجديد كرمان باقييف مواليا بشكل ملحوظ لموسكو, وينشط فـي إطـار منظمـة شنغهاي للتعاون التي تقودها روسيا والصين, وهي المنظمة التي سبق أن اتخذت قرارا في قمتها عام ٢٠٠٥ بطرد القواعد العسكرية الأمريكية من وسط آسيا, وذلك بسبب اتهامها لهذه القواعـد بإثارة القلاقل والاضطرابات في دول المنطقة[1].

وأدركت الولايات المتحدة أن تدخلا روسيا قويا يكمـن وراء قـرار إغـلاق القاعـدة, خصوصا أن القرار أعلن من موسكو, وتزامن مع تقديم قرض لقيرغيزسـتان بقيمـة مليـاري دولار, إضافة إلي منحة مالية غير مستردة قيمتها ١٥٠ مليون دولار. لكن رد الفعـل الأولـي للولايات المتحدة علي قرار قيرغيزستان جاء خافتا. وقـال الجـيش الأمريكـي إنـه يواصـل المحادثات مع حكومة قيرغيزستان بشأن مبلغ التعويض عن استخدام القاعدة, مما يترك مـساحة للحلول الوسط. وتغازل واشنطن الآن قوة أخري بآسيا الوسطي هي أوزبكستان, حتي تتيح لهـا

(١) فلاديمير سادافوي, الصراع الأمريكي - الروسي في وسط آسيا, صحيفة البيان, ٨ أكتوبر ٢٠٠٩.

استخدام قاعدة 'كارشي' الجوية مجددا, وهي منشأة أكثر قوة ترجع إلي الحقبة السوفيتية, وكانت تستخدمها في بداية الحملة الأفغانية, وتم إغلاقها في عام ٢٠٠٥. ويوضح أندريه جروزين, الخبير في شئون آسيا الوسطي, أن إغلاق قاعدة 'ماناس' 'يشكل مكسبا جيوسياسيا لروسيا, ونفوذ روسيا في هذه المنطقة يتعزز', خصوصا أن محطة رادار حدثها الجيش الروسي وضعت, بالتزامن, في الخدمة في منطقة تشوي في قيرغيزستان[1]. وتحتل قيرغيزستان من بين شركاء روسيا في آسيا الوسطي مكانة خاصة. فعلي مسافة ٢٥ كيلو مترا من قاعدة 'ماناس' التابعة للناتو, تقع قاعدة 'قانت' التابعة لمنظمة الأمن الجماعي والتي تشغلها قوات روسية بالأساس. وحتي الآن, فإن عملية الناتو 'الحرية المستديمة' في أفغانستان لم تتكلل بالنجاح, وقاعدة 'ماناس' تحوم حولها الشبهات. فإلي جانب مهمتها الأساسية التي تكمن في تزويد قوات الناتو في أفغانستان بالوقود والمؤن, كانت تستخدم في القيام بمهمات استطلاعية ضد دول آسيا الوسطي والصين التي تحظي باهتمام رئيسي من جانب الناتو. وكان الرئيس القيرغيزي السابق, عسكر أكاييف, قد وقف ضد مساعي واشنطن الرامية إلي نشر طائرات 'أواكس' القادرة علي التجسس الإلكتروني عن بعد داخل الأراضي الصينية من قاعدة ماناس الجوية. ومن غير المستبعد أن يكون رفض أكاييف لهذا المطلب الأمريكي قد شكل سببا مباشرا لسقوط نظامه بأيدي المعارضة المدعومة من واشنطن في عام ٢٠٠٥. أما فيما يتعلق بالرئيس القيرغيزي الحالي, كرمان بك باقييف, فقد اعتمد لعبة التوازنات ومستمر فيها. ومع أن باقييف يعلن روسيا بصوت عال 'شريكا استراتيجيا', فهو لا يزال يمارس مناوراته الدبلوماسية بين موسكو وواشنطن وبكين[2].

ولا شك في أن إغلاق هذه القاعدة سيشكل انتصارا سياسيا لموسكو يؤكد إعادة إحياء دورها في الفضاء السوفيتي السابق. لكن البعض في موسكو شكك في صواب اختيار توقيت

---

(١) صحيفة الخليج, ٦ فبراير ٢٠٠٩

(٢) فلاديمير سادافوي, الصراع الأمريكي - الروسي في وسط آسيا, مصدر سابق.

المواجهة مع واشنطن حول 'ماناس' بعد خطوات عدة قامت بها الإدارة الأمريكية الجديدة لتوفير مناخ إيجابي للحوار في القضايا الاستراتيجية. في المقابل, اعتبر محللون أن إغلاق 'ماناس' في وجه الأمريكيين في هذا التوقيت بالذات يحمل 'عرضا من موسكو لأوباما لتغيير قواعد اللعبـة إقليميا', بحيث تكون موسكو قادرة علي التحدث بالنيابة عن حلفائها. ومعلوم أن موسكو قـدمت تسهيلات لنشاط قوات التحالف في أفغانستان منذ البداية, لكنها أعلنت صراحة معارضتها للتواجد العسكري الأمريكي في أي من جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق. واللافـت أن التطـورات الأخيرة تزامنت مع الإعلان عن تأسيس قوات مسلحة مشتركة لمنظمة الأمن والتعـاون التـي تضم سبع جمهوريات سوفيتية سابقة, من بينها قيرغيزستان واثنتان من الجمهوريات في آسـيا الوسطي, وأيضا مع الإعلان عن تأسيس صندوق خاص قيمته عشرة مليـارات دولار, تلتـزم موسكو بدفع الجزء الأعظم منها لمساعدة حلفائها السابقين(١). إذ دفعت الأزمة المالية العالميـة, التي تواجهها بلدان المجموعة الاقتصادية الأوراسية, إلي عقد اجتماع طارئ في موسكو فـي ٤ فبراير ٢٠٠٩, وبحث قادة روسيا وكازاخستان وبيلاروسيا وقيرغيزستان وطاجيكستان, خـلال القمة, تأسيس صندوق مشترك بقيمة ١٠ مليـارات دولار وتنـسيق المواقـف, والبحـث فـي مشروعات مشتركة لمواجهة انعكاسات الأزمة التي خفضت النمو في هـذه البلـدان, وجعلـت بعضها علي شفا الإفلاس, وانعكست علي الوضع الاجتماعي بعد انهيار قيمة العملات فيها بـين ٢٠ و٥٠%. وأكد مساعد الرئيس الروسي, سيرجي بريخودكو, أن الصندوق يهدف إلي مساعدة بلدان المجموعة علي تجاوز ظروف الأزمة. وذكر أن القمة تهدف إلي تنسيق المواقف في شأن أزمة المال العالمية قبل اجتماع مجموعة العشرين في لندن في أبريل ٢٠٠٩ . ولفت خبراء إلي أن موسكو ستقترح مشروعات مشتركة, وتضحي بمبالغ مهمة جـدا خـصوصا فـي ظـروف

(١) رائد جبر, صحيفة الحياة, ٦ فبراير ٢٠٠٩.

الأزمة, وعزوا ذلك إلي مخاوف حقيقية من هجرة كبيرة من بعض بلدان آسيا الوسطي باتجـاه موسكو, بحثا عن عمل في حال مواصلة سوء الأوضاع المعيشية في بلدان آسيا الوسطي. وكان الرئيسان: الروسي, ديمتري ميدفيديف, والقيرغيزي كرمان بيك باقييف, قد توصلا إلي اتفاقـات تقضي بمنح قيرغيزستان هبة مالية بنحو ١٥٠ مليون دولار, وشطب ١٨٠ مليون دولار ديونـا مستحقة لروسيا, مقابل حصول الأخيرة علي ٤٨% من أسهم مصنع عـسكري قـرب بـشكيك لإنتاج صواريخ للغواصات. كما وافقت روسيا علي منح قيرغيزستان قرضا ميـسرا, لأربعـين سنة بقيمة ٣٠٠ مليون دولار واستثمار نحو ١,٧ مليار دولار لإنشاء محطة كهرباء لتعـويض النقص الحاد في توليد الكهرباء, إثر رفع أوزبكستان ثمن الغاز المصدر إلي قيرغيزستان[١].

ويبدو الضغط الروسي علي قيرغيزستان لإغلاق قاعدة 'ماناس' غريبـا, حيـث يـري محللون أن جهود حلف الأطلسي لهزيمة طالبان هي أحد المجالات القليلة التي تلتقي فيها مصالح واشنطن مع مصالح موسكو إلي حد كبير. فروسيا, التي تخشي احتمال تدفق التطرف الإسلامي من أفغانستان إلي آسيا الوسطي المجاورة, تؤيد الحملة التي تقودهـا الولايـات المتحـدة فـي أفغانستان منذ بدئها عام ٢٠٠١. وقد أشارت موسكو إلي أنها يمكن أن تسمح بمرور الإمـدادات غير العسكرية لقوات حلف شمال الأطلسي في أفغانستان عبر أراضيها, وهي ملتزمة بالاقتراح الذي تم التوصل إليه مع الحلف في أبريل ٢٠٠٨, علي الرغم من تجميد علاقاتها مع الحلف بعد الحرب التي خاضتها في أغسطس ٢٠٠٨ ضد جورجيا. وجاءت هذه الخطوة المفاجئـة وسـط مبادرات أوباما لميدفيديف التي تهدف إلي رفع العلاقات الثنائية من الحضيض الذي وصلت إليه بعد الحرب الباردة, حيث ضعفت منذ أيام الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش[٢].

---

(١) سامر يوسف, صحيفة الحياة, ٥ فبراير ٢٠٠٩.

(٢) رائد جبر, صحيفة الحياة, ٦ فبراير ٢٠٠٩.

ويأتي قرار إغلاق القاعدة في وقت حرج بالنسبة للولايات المتحدة, حيث يعتزم رئيسها الجديد باراك أوباما إعطاء أولوية للحرب في أفغانستان بهدف توجيه ضربة لحركة طالبان وتنظيم القاعدة. كما أن قرار قيرغيزستان اتخذ علي خلفية تحركات روسية نشيطة تهدف إلي وقف توسع النفوذ الأمريكي في منطقة نفوذها التقليدية, وهي الجمهوريات السوفيتية السابقة. وينطوي هذا الصراع الروسي - الأمريكي علي مضامين استراتيجية بالغة الأهمية في منطقة آسيا الوسطي الغنية جدا بالثروات الطبيعية, وهو يعيد إلي الأذهان 'لعبة الأمم' أو 'اللعبة الكبري' التي كانت آسيا الوسطي مسرحها في الصراع[1].

في أوائل عام ٢٠٠٧, أعلنت الولايات المتحدة عن نيتها إقامة مشروع الدرع الصاروخية في شرق أوروبا, مبررة ذلك بدعوي رغبتها في التصدي لصواريخ يمكن أن تطلقها إيران أو كوريا الشمالية باتجاه أوروبا أو الولايات المتحدة نفسها. هذا التبرير لم يكن مقنعا لأي أحد, خاصة الروس, الذين رأوا في مشروع الدرع الصاروخية خطوة أمريكية متقدمة في سياسة تطويق بلادهم واحتوائها. وقد يكون ذلك هدفا استراتيجيا لواشنطن فعلا, لكن ربما لم يخطر ببال كثيرين, ومنهم الروس, أن لواشنطن هدفا تكتيكيا آخر, هو ابتزاز روسيا ومساومتها علي موقفها المعارض لتشديد العقوبات الدولية ضد إيران, تمهيدا لتوجيه ضربة عسكرية لمنشآتها النووية, أو, علي الأقل, حملها علي وقف تخصيب اليورانيوم. قد يتصور البعض أن هذا الرأي هو نوع من ادعاء الحكمة بأثر رجعي, إلا أن قراءة الأحداث والتطورات والمواقف والتصريحات الأمريكية طوال الفترة الماضية تكشف عن هذه النية الأمريكية. إذ لم يكن مصادفة أن تشرع واشنطن في تدشين مشروع الدرع الصاروخية بالتزامن مع تفجر أزمة الملف النووي الإيراني, ولا تكترث بالاعتراضات الروسية علي هذا المشروع, بل ورفضها اقتراحات ومبادرات موسكو

---

(١) لعبة أمم تحتدم في وسط آسيا, صحيفة الخليج, ٧ فبراير ٢٠٠٩.

للوصول إلي حل وسط بشأنه من قبيل تخلي واشنطن عن تنفيذ المـشروع, مقابـل مـشاركتها موسكو في محطة 'جابالا' الرادارية في روسيا وأذربيجان, بما يسمح بمواجهة أخطار محتملـة من جهة الجنوب.(١)

فضلا عن عدم اكتراث واشنطن بتهديد موسكو بالانسحاب من معاهدة الأسلحة التقليدية في أوروبا, أو نصب صواريخ اسكندر في جيب كالييننجراد الروسي الواقع بين بولندا وليتوانيا, العضوين في حلف الناتو، وكان عالم السياسة الأمريكي الشهير والأسـتاذ بجامعـة هارفـارد, 'جوزيف ناي', قد اقترح, عشية الزيارة العائلية التي قام بها الرئيس الروسي بوتين إلي نظيـره الأمريكي بوش في أوائل يوليو عام ٢٠٠٧, أن تعقد بلاده 'صفقة كبري' مـع روسـيا, تقـوم واشنطن بموجبها ب- 'تأجيل' خططها لنشر الدرع الصاروخية في شرق أوروبا, مقابل موافقـة موسكو علي 'تشديد' العقوبات الدولية ضد إيران لوقف مشروعها النووي. هذا الاقتراح/ الصفقة كان محور مواقف وتصريحات رسمية أمريكية متواترة منذ خريف عام ٢٠٠٧ علي أقل تقدير. ففي ختام اجتماع مجلس الناتو وروسيا في بروكسل في ١٧ أكتوبر ٢٠٠٧, صرح دانيال فرايد, مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية, قائلا 'إذا توقفت إيران عن تخصيب اليورانيوم, وعملت مـع المجتمع الدولي, وكانت لها مقاربة مختلفة, فيمكن أن نأخذ ذلك في الاعتبار'.

وفي ٢٣ من أكتوبر ٢٠٠٧, أعلن وزير الدفاع الأمريكي, روبرت جيـتس, اسـتعداد بلاده لتأجيل تشغيل الدرع, في حال قررت موسكو 'التعاون'. وفي منتصف نوفمبر ٢٠٠٧, أعلن دانيال فرايد, مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية, أنه إذا أوقفت إيران كـل الأعمـال المتعلقـة بتخصيب اليورانيوم, وبدأت التعاون مع المجتمع الدولي, فإن الولايـات المتحـدة ستـستخلص

(١) طه عبد الواحد، هل ستتغير السياسة الخارجية الروسية بعد مغادرة بوتين وقبل عودته ، نقلاً عن الرابط الالكتروني :
http://forum.rtarabic.com/showthread

الاستنتاجات الضرورية بشأن نشر منظومة الدفاع المضاد للصواريخ في أوروبا. وخلال فبراير ٢٠٠٩, صدرت عدة تصريحات أمريكية في هـذا الـصدد, إذ صـرحت وزيـرة الخارجيـة الأمريكية, هيلاري كلينتون, بالعاصمة التشيكية براغ في ١٠ فبرايـر ٢٠٠٩, بـأن الولايـات المتحدة 'قد تعيد النظر' في نشر منظومة الدفاع الجوي الأمريكي في بولندا وتـشيكيا إذا تخلـت إيران عن سعيها لامتلاك أسلحة نووية. وكانت كلينتون قد أعلنت في وقت سابق أن إدارة أوباما تريد العمل عن كثب مع روسيا بشأن التصدي لطموحات إيـران النوويـة. وفـي ١٣ فبرايـر ٢٠٠٩, صرح مسئول أمريكي كبير بأن بلاده ستراجع 'إيقاع التطور' في درعها الصاروخية في أوروبا, إذا وافقت روسيا علي التعاون في منع إيران من بناء قنبلة نووية. وفي اليوم التالي, قال مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية للشئون السياسية, وليام بيرنز, إن واشنطن مـستعدة لتعـديل خططها الدفاعية الصاروخية إذا ساعدتها روسيا في القضاء علي التهديدين القادمين من كوريـا الشمالية وإيران. وفي الثاني من مارس ٢٠٠٩, أفادت صحيفة نيويورك تـايمز بـأن الـرئيس الأمريكي باراك أوباما عرض التراجع عن نشر نظام جديد للدفاع الصاروخي في شرق أوروبا, إذا ساعدت روسيا في منع إيران من امتلاك أسلحة نووية. ونقلـت الـصحيفة عـن مـسئولين أمريكيين أن أوباما قدم هذا العرض في رسالة سرية سلمها باليد مسئولون كبار مـن الحكومـة الأمريكية إلي الرئيس الروسي ديمتري ميدفيدف قبل ثلاثة أسابيع. ويبدو الآن أن إدارة أوبامـا تعيد النظر في مسألة الدرع الصاروخية, رغم أنه ليس واضحا ما إذا كانت تريد أن تنشر جزءا منها علي الأراضي الروسية أم لا, حيث يمكن أن يشغله الروس ويطفئوه. وكان موقف أوبامـا فاترا حول الدرع, قائلا إنه يدعمها فقط إذا ثبتت فاعليتها تقنيا, وكانت تكلفتها معقولة, خاصة في ظروف الأزمة المالية العالمية. (١)

(١) أحمد دياب، مرجع سابق، ص ١٨.

وفي المقابل, تواترت التصريحات الروسية التي تربط بين الملف الإيراني وملـف الدرع الصاروخية. إذ ظهرت في روسيا أيضا تلميحات إلي خطة تهدف إلي الربط بين مشروع الدرع الصاروخية وتسوية أزمة الملف النووي الإيراني, باعتبار أن واشنطن تتـذرع لإنـشاء منظومتها بما يوصف ب- 'خطر الصواريخ الإيرانية'. ففي أواخر نوفمبر ٢٠٠٧, أكـد وزيـر الخارجية الروسي سيرجي لافروف, تعقيبا علي بيان إيران حول صنعها صاروخا بلـغ مـداه ٢٠٠٠ كلم, أن البرنامج الصاروخي الإيراني يقلق روسيا, وأن موسكو تقترح جعـل معاهـدة الصواريخ ذات المدي المتوسط وذات المدي الأقل معاهدة شاملة, وشدد علي أن ما يقلق روسيا هو أن تطور الأحداث قد يؤدي إلي الانتشار الصاروخي. وعقب توقيع اتفاق اليورانيـوم بـين الولايات المتحدة وروسيا أوائل فبراير ٢٠٠٨, صرح خبراء الطاقة النووية بروسيا بأن واشنطن ربطت ضمنيا بين توقيع الاتفاق وتخلي روسيا عن تعاونها النووي مع إيـران. كمـا أعربـت موسكو في ٦ فبراير ٢٠٠٨ عن قلقها إزاء 'محاولات إيران صناعة صواريخ بعيـدة المـدي'. ورأي خبراء روس أن تجارب إيران الصاروخية تحرج موسكو وتعزز ذرائع واشنطن لنـشر الدرع الصاروخية في أوروبا. وقال نائب وزير الخارجية الروسي, الكـسندر لوسـيوكوف, إن بلاده 'قلقة من محاولات الإيرانيين تطوير قدرات صاروخية يصل مداها إلي أكثر مـن أربعـة آلاف كيلومتر'. واعتبر أنه 'من الطبيعي أن أي خطوة تقوم بها طهران علي هذا الصعيد تقلقنـا كما تقلق الآخرين'. (١)

وبرغم ترحيب روسيا بالتصريحات الأمريكية الأخيرة بشأن إعادة النظر في خطط نشر الدرع الصاروخية في شرق أوروبا, فإنها ترفض في المقابل ربط هذا الملف بالبرنامج النـووي الإيراني, حسب تصريحات لوزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف لمجلـة ديـر شـبيجل

(١) طه عبد الواحد، هل ستتغير السياسة الخارجية الروسية بعد مغادرة بوتين وقبل عودته ، نقلاً عن الرابط الالكتروني :
http://forum.rtarabic.com/showthread

الألمانية في منتصف فبراير ٢٠٠٩ . لكن لافروف شدد في المقابلة علي أن بلاده منفتحة علـي الحوار مع الولايات المتحدة. وتحدثت صحف روسية في ١٧ فبراير ٢٠٠٩ عن 'صفقة دوليـة باتت متوقعة' في مجال الأمن, قائلة إن الولايات المتحدة وعدت روسيا بإعادة النظر في خططها لنشر منظومتها للدفاع الصاروخي في شرق أوروبا, في حال تمكنت روسيا من إقنـاع إيـران بالامتناع عن صنع سلاح ذري. وأشارت صحيفة 'فريميا نوفوستي' إلي أن هذا الاقتراح جاء من الإدارة الأمريكية الجديدة, وقالت إن الاقتراح يشير إلي استعداد واشنطن للتعاون مع روسيا فـي مسائل الدفاع الصاروخي. ويبدو أن موسكو تتعامل بجدية مع الفكرة التي طرحتها رسالة أوباما. وكانت صحيفة 'كومرسانت' الروسية قد اعتبرت في الثاني من فبراير ٢٠٠٩ رسـالة الـرئيس الأمريكي 'عرضا مثيرا'.

يدعم احتمال عقد هذه الصفقة اتفاق واشنطن وموسكو علي أن الأمن العـالمي سـيكون مهددا إذا حصلت إيران علي أسلحة نووية, لكنهما تختلفان بشأن ما إذا كانت طهـران تـسعي لحيازة أسلحة نووية أم لا. ورغم الثقة التي يبديها المسئولون الروس بسلمية المشروع النـووي الإيراني, فإن بعض الخبراء الروس يحذر من خطورة الاعتماد علي 'حليف متقلـب المـزاج'. ويشير البعض الآخر إلي مخاوف بشأن وجود 'سوق سوداء' للمواد النووية, حصلت إيران مـن خلالها علي معلومات سرية عن التكنولوجيا النووية, فضلا عن قلق روسيا المتزايد وإحـساسها بالحرج من ظهورها المستمر في المحافل الدولية وفي المباحثات الثنائية بين الدول, وكأنها تقف إلي جانب إيران في سعيها لامتلاك السلاح النووي. والأكثر من ذلك أنه في الوقت الذي تتطلع فيه الصناعة النووية الروسية إلي تأمين مزيد من العقود لبناء محطات نووية فـي إيـران بعـد انتهاء المشاكل الحالية, فهي تدرك أيضا أن البرنامج النووي الإيراني قد يهـدد تطلعاتهـا فـي التعاون مع الغرب لإنجاز مشاريع أكثر أهمية. وهناك أيضا المخـاوف التـي يثيرهـا بعـض

الخبراء والمحللين الروس, وهي المتعلقة بإمكانية امتلاك إيران للسلاح النووي, وخضوعه لسيطرة نظام إسلامي أصولي يتبني أفكارا ومبادئ تختلف تماما مع تلك التي يؤمن بها الروس, خصوصا عندما تكون دولة مجاورة مثل إيران, التي تشكل منافسا جيوسياسيا خطيرا بالنسبة للروس, في حال تحولت إلي قوة إقليمية مؤثرة, خصوصا أنها تلعب دورا نشيطا في منطقة القوقاز الحيوية لروسيا, وكذلك في الفناء الخلفي لروسيا, منطقة آسيا الوسطي. (١)

والمفارقة أن احتمالات عقد صفقة بين موسكو وواشنطن بشأن الدرع الصاروخية وملف إيران النووي ليست بعيدة عن الحسابات والتوقعات الإيرانية. إذ حذرت دراسة - أعدها مركز أبحاث مجلس الشوري الإيراني في أواخر ديسمبر ٢٠٠٧ - من حصول الولايات المتحدة علي امتيازات من الدول المجاورة تساعدها في تقييد التحركات الإيرانية, وذلك من خلال ضغوطها لتنفيذ مشروع الدفاع الصاروخي. وذهبت الدراسة الإيرانية إلي القول إن 'روسيا مستعدة لتقديم الاقتراحات الثمينة في مجال التعاون الأمني مع الولايات المتحدة لتخفف من وطأة المشروع'. ونبهت الدراسة إلي أن 'الروس مستعدون, من أجل الوصول إلي أهدافهم, للتضحية بمصالحهم الخاصة مع إيران', ودللت علي ذلك بتقديم روسيا اقتراحا للتعاون مع الولايات المتحدة في أذربيجان. وكان اجتماع دول بحر قزوين -الذي عقد في طهران في منتصف أكتوبر ٢٠٠٧- قد أعلن صراحة تحريم استخدام أي من أراضي بلدانه للهجوم علي البلدان الأخري. ولكن دراسة مجلس الشوري الإيراني تتوقع أن تحصل الولايات المتحدة أمام إصرارها علي تنفيذ مشروع 'الدفاع الصاروخي' علي امتيازات من الدول المجاورة, وتصب هذه الامتيازات في مسار تقييد تحركات الجمهورية الإسلامية. وقد دعت الدراسة الحكومة الإيرانية إلي زيادة

(١) أحمد دياب، المرجع السابق، ص ١٩.

برامج التعاون ورصد جوانب الترغيب والتهديد لمنع هذا الأمر, خاصة فيما يخص أذربيجـان وروسيا, وجعل تعاون هذين البلدين مع الولايات المتحدة مكلفا.

وبرغم التصريحات الأمريكية الأخيرة التي تشير إلي إمكانية فتح حـوار مباشـر مـع طهران بشأن ملفها النووي, فإن بعض المراقبين يستبعدون أن تنفرد واشـنطن بـالحوار مـع طهران لسببين: الأول: حاجتها لإظهار وحدة الأسرة الدولية كمؤشر قـوي لإفهـام المـسئولين الإيرانيين أنهم لا يستطيعون اللعب علي التناقضات داخل مجموعة الست التي تـضم الولايـات المتحدة, وفرنسا, وبريطانيا, وروسيا, والصين, وألمانيا, ومن ثم المحافظة علي ما تم بناؤه فـي السنوات الماضية للتعامل مع الملف النووي الإيراني, ممثلا في صدور ثلاثة قرارات من مجلس الأمن الدولي بفرض عقوبات اقتصادية علي إيران بتأييد روسيا والصين.

والثاني: إن واشنطن بحاجة إلي استنفاد كل الطرق الدبلوماسية مع إيران قبل اللجـوء إلي خيار الضربة العسكرية في وقت لاحق, ولذا فإنها في حاجة إلي أعـضاء مجلـس الأمـن, خاصة روسيا والصين. وهنا, سيكون الدور الروسي حاسما في مدي نجـاح إدارة أوبامـا فـي معالجة هذا الملف, سلما أو حربا.

وفي حال حصول صفقة 'تأجيل' واشنطن لمبادرة الدرع الصاروخية في أوروبا الشرقية, مقابل موافقة موسكو علي 'تشديد' العقوبات ضد إيران, فقد تؤدي إلي سيناريوهين:[(١)]

الأول: إجبار إيران علي القبول بالمبادرة التي طرحها الرئيس بوتين في ربيع ٢٠٠٦, والتي تدعو إلي إنشاء شبكة مراكز دولية لتخصيب اليورانيوم وإنتاج الوقود النووي, تعمل تحت إشراف مباشر من جانب الوكالة الدولية للطاقة الذرية. وقد شكلت الفكرة تطويرا أوسع لاقتراح تقدمت به موسكو إلي طهران, حمل صيغة الحل الوسط, ويقضي بإقامة مركز روسي - إيراني

---

(١) أحمد دياب، المرجع السابق، ص ٢٠.

مشترك لتخصيب اليورانيوم علي الأراضي الروسية بمشاركة خبراء إيرانيين. ويلبي الاقتـراح المطلب الدولي الذي يصر علي عدم حصول طهران علي قدرات لامتلاك دورة الوقود النـووي كاملة, وفي الوقت نفسه يستجيب لهاجس الإيرانيين الذين يطالبون بحقهم في تطـوير قـدراتهم النووية لأغراض سلمية.

الثاني: إفساح المجال لصدور قرار دولي آخر يتيح لواشنطن توجيه ضـربة عـسكرية لمنشآت إيران النووية, خاصة في ضوء حملة التحريض التي تشنها إسرائيل ضـد المـشروع النووي الإيراني. بيد أن هذه الضربة قد تتأخر إلي حين, علي خلفية التورط العسكري الأمريكي في أفغانستان والعراق, وتداعيات الأزمة المالية العالمية علي الاقتصاد الأمريكي.

وفيما يتعلق بالموضوع الليبي فقد قال الرئيس الروسي ديمتري ميدفيديف ان اسـتخدام تعبير حملة صليبية لوصف الوضع في ليبيا هو أمر "غير مقبول." جاء تصريح ميدفيديف بعـد ساعات من تشبيه رئيس الوزراء الروسي فلاديمير بوتين قرار مجلس الامن الذي يسمح بتدخل عسكري في ليبيا بأنه دعوات من العصور الوسطى لشن حملة صليبية.

وقال ميدفيديف "ليس من المقبول باي حال من الاحوال استخدام تعبيرات تفـضي فـي جوهرها الى صدام الحضارات مثل اصطلاح الصليبيين ومـا الـي ذلـك، انـه امـر غيـر مقبول."واضاف "والا ربما افضى كل شيء الى الاسوأ كثيراً، وأشار ميدفيديف الى أن روسـيا لن تشارك في أي تحالف في ليبيا ولكنها مستعدة للمشاركة في عمليات حفظ السلام. وفي بعض من اشد انتقاداته للولايات المتحدة منذ بدأ الرئيس الامريكي باراك اوباما حملة لتحسين العلاقات قارن بوتين ايضا هذا التدخل بغزو العراق في عهد بوش وقال انه اظهر ان روسيا محقة فـي تعزيز قدرتها العسكرية.

وقال بوتين - الذي آثرت بلاده الا تعرقل قرار الامم المتحدة الاسبوع الماضي مما مكن من توجيه الضربات - ان حكومة الزعيم الليبي معمر القذافي تفتقر الى الديمقراطية لكن هذا لا يبرر التدخل العسكري. وقال للعمال في مصنع روسي للصواريخ "القرار ناقص ومعيب... انـه يسمح بكل شيء. يشبه دعوات العصور الوسطى لحملات صليبية".

وامتنعت روسيا التي تملك حق النقض (الفيتو) في مجلس الامن عن التـصويت علـى القرار الذي صدر يوم الخميس وسمح بفرض حظر جـوي علـى ليبيـا "وكـل الاجـراءات الضرورية" لحماية المدنيين من قوات القذافي. وقال "ما يزعجني ليس حقيقة التدخل العـسكري نفسه - انا قلق من السهولة التي تتخذ بها قرارات استخدام القوة في الشؤون الدولية، واضـاف "خلال عهد كلينتون قصفوا بلجراد وبوش ارسل قوات الى افغانستان ثم في ظل ذريعة مختلقـة وزائفة ارسلوا قوات الى العراق وتم تصفية القيادة العراقية بأكملها - حتى الاطفال فـي اسـرة صدام حسين لقوا حتفهم".

وتابع بقوله" الان الدور على ليبيا بدعوى حماية الشعب المسالم. لكن فـي الـضربات الجوية السكان المدنيون هم تحديدا من يقتلون. أين المنطق والضمير". وقال بوتين ان "احـداث اليوم بما فيها (احداث) ليبيا اكدت ان قراراتنا الخاصة بتعزيز قدرات روسيا الدفاعيـة كانـت صحيحة"، وتعتزم روسيا انفاق نحو ٢٠ تريليون روبل (٧٠٧,٢ مليار دولار حتى عام ٢٠٢٠) لتحديث قواتها المسلحة. وعارضت روسيا مراراً التدخل الدولي فيما تصفها بالشؤون الداخليـة للدول وواجهت اتهامات بالتراجع عن الديمقراطية خلال رئاسة بوتين اثناء الفترة بـين عـامي ٢٠٠٠ و ٢٠٠٨[١].

(١) طه عبد الواحد، هل ستتغير السياسة الخارجية الروسية بعد مغادرة بوتين وقبل عودته ، نقلاً عن الرابط الالكتروني :
http://forum.rtarabic.com/showthread

وقال بوتين "النظام الليبي لا يفي بأي معيار من معايير الدولة الديمقراطية لكن ذلـك لا يعني ان شخصا ما يسمح له بالتدخل في الصراعات السياسية الداخلية للدفاع عن احد الطرفين".

وتحسنت العلاقات الروسية الامريكية في العامين الماضيين في ظل حملة اوباما "لاعادة تشكيل "العلاقات بين الجانبين والتي توجت باتفاقية (ستارت ٢) الخاصة بمعاهدة خفض الاسلحة النووية التي دخلت حيز التنفيذ الشهر الماضي. وخلال تلك الفترة خفف بوتين من حـدة لغتـة المناهضة للغرب التي كان يستخدمها كثيرا خلال رئاسته.

المبحث الثاني

المتغيرات الدولية

النظام الدولي يمكن وصفه بأنه نظام حركة نفسر في إطاره أحداث العلاقـات الدوليـة كافة، وتنتظم فيه وحدات كيانية تدخل معاً في عملية متصلة ومستمرة من التفاعلات تأخذ صيغة الفعل والاستجابة، فالنظام يجسد أولاً وقبل كل شيء نسقاً من التفـاعلات أو العلاقـات تتميـز بالوضوح والاستمرار بين عناصر عدة تكون بمجموعها النظام الدولي، وبما أن الحياة تعبر عن حركة انسيابية متدفقة ومتجددة على الدوام، لذلك يعد التغير قانوناً ثابتاً من قوانين الحياة بمعنـاه الواسع، وعلى هذا الأس وصف النظام الدولي بأنه كيان ذو طبيعة قابلة للتغيير.[1] .

وتأسيساً على ما تقدم، فإن النظام الدولي الذي حددت معالمه واستقرت أسسه تـدريجياً بعد الحرب العالمية الثانية شهد منذ منتصف الثمانينات – أي منذ عـام ١٩٨٥ الـذي اقتـرن بوصول ميخائيل جورباتشوف إلى قمة الهرم السياسي في الاتحاد الـسوفيتي الـسابق- تحـولاً عميقاً في هياكله السياسية والاقتصادية والاجتماعية، على نحو جعل السياسة الخارجية السوفيتية تكتسب سمات لم تكن تتميز بها سابقاً، ولا سيما الانسياق عملياً وراء الإسـتراتيجية الأمريكيـة العالمية، فنجم عن ذلك تفكك الاتحاد السوفيتي، وانتهاء الحرب الباردة.

وأصبحت بذلك الولايات المتحدة الأمريكية هي القطب الفاعل الأول في تحديد أنمـاط التفاعلات السلوكية بين وحدات النظام الدولي الجديد، وأصبحت الدولة الأولـى مـن الناحيـة العسكرية – الاستراتيجية، بينما غاب الاتحاد السوفيتي بوصفه قطباً موازنـاً ، وحلـت محلـه (الاتحادية) دولة تلي الولايات المتحدة من حيث قدراتها العسكرية، أما من الناحيـة الاقتـصادية

---

(١) زغلول، خالد سعد (٢٠٠٨). الأزمة في القوقاز.. تحدٍ جديد للإتحاد الأوروبي، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٧٤، المجلد ٤٣، تشرين الأول ٢٠٠٨.

فإن الوضع الجديد يضم أقطاباً متعددة ذات قدرات اقتصادية ، وفي مقدمتها أوروبـا واليابـان والصين ودول شرق آسيا، وبذلك يعد عالماً أقل أيديولوجية وأكثر واقعية[١].

وبالقدر الذي يتعلق بموضوع دراستنا، فإن أهم سمة يتصف بها النظام الدولي الجديد هو سقوط الماركسية من حيث أنه أيديولوجي ونظام حكم في دول الاتحاد السوفيتي الـسابق، وتـم تبني الأيديولوجية الليبرالية الغربية بشقيها السياسي (تعدديـة حزبيـة وانتخابـات برلمانيـة)، والاقتصادي (اقتصاد السوق وإلغاء سيطرة الدولة على الاقتصاد)، وتطور الامر إلى حد انخراط هذه الدول تدريجاً في الهياكل التنظيمية الغربية إلى درجة المطالبـة بالانـضمام إلـى الـسوق الأوروبية المشتركة وحلف الشمال الأطلسي، فالأمر لم يبق مقصوراً على سـقوط الحكومـات الماركسية بل تعداه إلى انحلال الهياكل التنظيمية للكتلة الشرقية حيث تم حـل منظمتـي حلـف وارسو العسكرية والكوميكون الاقتصادية، فضلاً عن التخلي عن الدول التي كانت تلاقي دعـم الاتحاد السوفيتي السابق، والالتقاء مع الولايات المتحدة الأمريكية والغرب، كما قـسمت الـدول العربية عامة ودول الخليج على وجه الخصوص إلى معسكرين أحدهما تقدمي والآخر رجعي لم يعد مطروحاً، ويمثل ذلك نتيجة طبيعية التغير الذي حدث في بنية النظـام الـدولي بعـد عـام ١٩٩١، فاستتبع تغييراً مماثلاً في سياسة الخارجية، وبهذا انتفى في ظل النظام الدولي الجديـد- ما بعد الحرب الباردة- أي تحد ايديولوجي طاغي، بل أي اصطدام جيوسـتراتيجي منفـرد، إن التحولات التي شهدتها الكتلة الشرقية إنما تعني إلغاء لجميع النتائج التي ترتبـت بعـد الحـرب العالمية الثانية. فالحرب الباردة قد انتهت والتوازن الدولي اختل لمصلحة القوى الغربية [٢].

(١) زلوبن، نيكولاي (٢٠٠٦). الخليج في سياقات السياسة الخارجية الروسية، مركز الإمارات للدارسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي.

(٢) الأصفهاني، نبيه، (٢٠٠٠). الرئاسة الروسية الجديدة بين التغيير والاستمرارية، السياسة الدولية، العدد (١٤١)، ص٥١.

رأت روسيا الاتحادية من خلال صانع القرار السياسي فيها أن التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية ولاسيما في الأمور التي تتعلق بالقضايا والمشكلات التي تثور في منطقة الخليج هي أفضل وسيلة لحماية مصالحها في هذه المنطقة، وهو الأمر الذي أدى إلى المزيد من التعاون البدلوماسي ما بين روسيا الاتحادية والولايات المتحدة الأمريكية خلال بداية عقد التسعينيات، فقد شاطرت روسيا الولايات المتحدة رغبتها المعلنة في الحد من التسلح في هذه المنطقة وبشكل أساسي مشكلة انتشار الأسلحة النووية ومن خلال تجنب إثارة أي مشكلات خارجية يمكن أن تعقد العلاقة بالولايات المتحدة الامريكية وبقية الدول الغربية، فضلاً عن القيام بتصفية الالتزامات الخارجية التي كان يقوم بها الاتحاد السوفيتي، والتي كانت تشكل عبئاً على موارده الداخلية، وإعادة رسم العلاقات الخارجية على أسس اقتصادية تمليها عوامل المصلحة الوطنية لا على أساس العوامل الأيديولوجية التي كانت سائدة أيام وجود الاتحاد السوفيتي[١].

تراجعت القضايا الخاصة بالصراع الأيديولوجي والصراع على مناطق النفوذ، وبهذا اتجهت روسيا إلى التقارب مع الولايات المتحدة الأمريكية، بيد أن هذا الوضع لا ينطلق من التكافؤ بين طرفين ولكن من منطلق القبول بالتفوق الأمريكي[٢]، فقد تلاشى ذلك التوازن ما بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية الذي كان قائماً منذ الصف الثاني من القرن العشرين، والسبب في ذلك حاجة روسيا الاتحادية إلى التكنولوجيا الغربية وإلى تمويل الاستثمارات الاقتصادية، وهو أمر حتم عليها الحد من المنافسة مع الولايات المتحدة الأمريكية خاصة في المناطق التي تعدها الولايات المتحدة مناطق نفوذ لها مثل منطقة الخليج العربي، وأبرز دليل على ذلك ما طالب به أندريه كويزريف من ضرورة إعادة تقويم موقف الدولة

---

(١) النجار، مصطفى عبد القادر (٢٠٠٣)، أطماع روسيا القيصرية والاتحاد السوفيتي في الخليج العربي والجزيرة العربية منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى أواخر القرن العشرين، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان.

(٢) شعيبي، عماد فوزي، مرجع سابق، ص٥٥.

الروسية من العالم الخارجي والاعتراف بأن الولايات المتحدة تستطيع أن تؤدي دوراً إيجابياً في العالم، وبأن الاحتفاظ بوجود عسكري أمريكي في عالم الجنوب يمكن أن يكون عاملاً للتوازن.

أدركت الإدارة الأمريكية ذلك، فطالبت روسيا بتنازلات لا حد لها في مجالات مختلفة أبرزها إدخال تعديلات جذرية على سياسة روسيا تجاه الصراعات الإقليمية في بلدان عالم الجنوب بشكل ترك للولايات المتحدة الأمريكية الانفراد بإدارة هذه الصراعات وتسويتها، بل الاستعانة بروسيا لخدمة أغراض السياسة الأمريكية في بعض المناطق من خلال ضغط موسكو على حلفائها ومطالبتهم بالاستجابة للشروط الأمريكية، وانتهاء بمجالات الحد من التسلح، وهو أمر بدا واضحاً في منطقة الخليج وما يحدث فيها من أحداث وأزمات[١].

ولكن مهما يكن من أمر في تطور حجم العلاقات الروسية – الأمريكية وانعكاس ذلك إيجابياً على علاقات روسيا الاتحادية ببقية دول العالم ومنها دول الخليج، فإن ما تقدم لا يعني مطلقاً أن مصالح روسيا ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية ستتطابق تماماً، وهو أمر أشار إليه أحد السياسيين بقوله: "على الرغم من مستوى التعاون الذي تم التوصل إليه بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، فإن سياسات البلدين ليست متطابقة ولا يمكن أن تكون كذلك"، فالشروط الأمريكية للتقارب مع روسيا لا تتفق مع الولايات المتحدة الامريكية وأصبحت السياسة الخارجية الروسية أكثر قومية وإثباتاً للذات، وأقل تعاوناً مع الغرب، وربما يعود ذلك إلى أسباب عدة منها[٢]:

١. الانتقادات الشديدة التي وجهت إلى سياسة الرئيس يلتسن ومواليه من ذوي التوجهات الغربية، خصوصاً بعد أن تأكد لروسيا أن المساعدات الغربية والأمريكية لها لم تتناسب

---

(١) بريماكوف يفغيني، روسيا من أركان أنابوليس، صحيفة الحياة، ٢٠٠٧/١١/٢٨.

(٢) الأصفهاني، نبيه، (٢٠٠٠). مرجع سابق، ص55.

وحجم التصريحات، ولم تكن بالقدر الذي يساعد على جعل مهمة الإصلاح السياسي والاقتصادي على النمط الليبرالي مهمة يسيرة أو ذات نفقة اقتصادية واجتماعية في مقدور غالبية الشعب الروسي تحملها [١].

٢. ممارسة الولايات المتحدة الأمريكية ضغوطاً على روسيا لوقف تعاونها الفني والعسكري والتكنولوجي مع دول مثل إيران، فأثر ذلك على مبيعات الأسلحة والتكنولوجيا الروسية لهذه الدول، وفي المقابل، لم تعوض الولايات المتحدة الأمريكية روسيا مالياً عن التزامها بالتوجيهات الأمريكية في هذه الصدد [٢].

٣. توسيع حلف الشمال الأطلسي شرقاً ليضم الدول التي كانت ضمن الاتحاد السوفيتي السابق، وهو أمر يثير غضب روسيا كونه يؤثر في المصالح الروسية ولاسيما في المجال الأمني.

٤. اكتشاف الروس قيام الولايات المتحدة الأمريكية بالتجسس عليهم وجمع المعلومات بكل الطرائق عن أدق ما تبقى من الأسرار السوفيتية.

٥. إعلان الرئيس الأمريكي جورج بوش انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية من معاهدة الصواريخ البالستية، التي وقعتها الدولتان منذ عام ١٩٧٢، وهو أمر عارضته روسيا وأكدت أنه سيضر بالتوازن العسكري العالمي وسيزيد سباق التسلح، وأكدت روسيا أن المعاهدة ضرورية لحفظ الأمن الدولي، وبالرغم من إعلان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أن بإمكان بلاده إنتاج المزيد من النظام الصاروخي المتعدد الرؤوس للرد على

---

(١) بن صقر، عبد العزيز عثمان (٢٠٠٧)، زيارة الرئيس بوتين: ترسيخ لأواصر العلاقات الروسية-الخليجية، صحيفة الحياة، ٢٠٠٧/٢/٣١.

(٢) الدبابنة، تراث (٢٠٠٢)، السياسة الخارجية الروسية إتجاه الوطن العربي بعد إنتهاء الحرب الباردة (١٩٩١-٢٠٠١)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.

الدرع الصاروخي الأمريكي وأن التكلفة ستكون قليلة وهي ضمن القدرة الروسية، فإنـه بقي يقاوم محاولات نظيره الامريكي لإقناعه بانسحاب متبادل للبلدين من المعاهدة، كما أكد النائب الأول لرئيس الأركان العامة الروسية الجنرال يوري بالويفسكي ان روسيا لن تقدم تنازلات حول معاهدة الحد مـن انتـشار الـصواريخ، وأن مـشكلة الاسـتقرار الاستراتيجي لا يمكن حلها بمصافحة، وأن مسوغات واشنطن للخروج من المعاهدة غير سليمة، مشيراً إلى أن خروج الولايات المتحدة الامريكية من جانب واحد لن يكون أمراً مأساوياً بالنسبة إلى روسيا، وأن هذا الخروج "سيطلق مجدداً سباق التسلح في العـالم ، ولاسيما في برامج إنتاج الصواريخ وتطويرها"، وأكد أن العالم لن يصبح عندها أكثـر استقراراً[١].

٦. استياء العسكريين الروس لإرسال مستشارين عسكريين أمريكيين إلى جورجيا في إطار حملة مكافحة الإرهاب، إذ رأوا أن الجمهورية السوفيتية السابقة ينبغي أن تبقى ضـمن منطقة نفوذ موسكو، هذا فضلاً عن تأثير ما نشر من تقارير بعد أحداث ١١ أيلول٢٠٠١ أفادت قيام البنتاغون بإعداد خطة طوارئ لشن هجمات نووية محتملة على سبع دول من ضمنها روسيا.

٧. الموقف المتضارب بين كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية بشأن قضية العراق، التي مارست فيها الولايات المتحدة ضغوطاً على روسـيا للموافقـة علـى مقترحاتهـا بضرورة تحجيم قدرات العراق من خلال توجيه ضربة عسكرية إجهاضـية لقدراتـه، والتي رأت فيها روسيا تعسفاً وسوء استخدام لسلطات مجلس الأمن، وأكـدت ضـرورة

---

(١) التركي، ماجد بن عبد العزيز (٢٠٠٦)، العلاقات السعودية الروسية " في ضوء المتغيرات الإقليمية ١٤٢٦-٢٠٠٤"، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

تبني الوسائل السلمية في إنهاء الأزمة العراقية مع أجهزة التفتيش الدولية، وهو ما أكـده بفجيني بريماكوف رئيس الوزراء الروسي آنذاك بأن الولايات المتحدة لا تملك حقاً يجيز لها استخدام القوة العسكرية ضد العراق، وأن روسيا ترفض محاولات إمـلاء معـايير النظام الدولي الجديد على الطريقة الأمريكية مع أن هذا الموقف قد ظل لفظياً فقط، ومما لا شك فيه ان أحد الدوافع المهمة وراء مواقف كهذه صون الاعتقاد بأن روسيا ما تزال تملك من القوة ما يجعلها دولة يعتد بها على الساحة الدولية وحفظ هذا الاعتقاد، فروسيا تبحث لنفسها مكاناً يؤكد من جديد دورها كدولة كبرى وإن لم تعد قوة عظمى[1].

أدت هذه الأمور إلى تزايد القلق الأمريكي من الدور الروسي الذي يسعى لإثبات أن لروسيا دوراً ما زال يحسب له حساب وأنها تسعى لحماية مصالحها الوطنية وعلى الغرب أن يتعامـل معها بوصفها شريكاً كاملاً لا مجرد شريك صغير، هذه النزعة الاستقلالية تنبه لهـا المحللـون السياسيون الأمريكيون وحذروا منها فهذا " زبيجنيو برجنسكي" يقول: "للأسف ما زال النـبض الإمبراطوري قوياً في روسيا بل إنه يزداد قوة، فيوماً بعد يوم يزداد الدور الروسي في التعبيـر عن نفسه بقوة أكثر محاولاً التخاص من الهيمنة الغربية التي قيدته خلال السنوات الثلاث الأولى من ظهوره، وهو ما أكده الرئيس السابق يلتسن بأن بلاده ستنتهج سياسة مغايرة للسابق.

ففي تصريح له – بمناسبة الاحتفال بيوم النصر على النازية يوم التاسع من أيـار ١٩٩٤/ ذكر "أن روسيا أصغت في العامين الماضيين إلى نصائح الآخرين في كيفية بناء حياتها الجديدة، ولكنها اليوم ستمضي في دربها الخاص بعد أن تكدست لديها التجربة الكافية، فطريـق روسـيا على مدى التاريخ متميزة من دور الدول الأخرى" وهو مـا يعنـي أن العلاقـات الروسـية- الأمريكية مهما بلغت درجة تطورها فإنها لم تكن على النحو الذي يعطـي للولايـات المتحـدة

---

(١) تيرتيروف، مارات (٢٠٠٧). توقعات السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الخليج، آراء حول الخليج، العدد ٣٨.

الأمريكية تأثيراً مطلقاً في عملية صنع القرار السياسي في روسيا، فما زالت روسيا تبدي درجة يعتد بها من الاستقلالية في صنع قراراتها [1]، ولاسيما إذا تعلق الأمر بتأمين مصالحها الاقتصادية او أمنها القومي، وهو ما أكده أحد مسؤولي وزارة الخارجية الروسية عندما أعلن: "إذا ما تعارض مصالح روسيا مع مصالح الولايات المتحدة الأمريكية فعلينا أن نسعى للتوصل إلى قرار مشترك، أما في الحالات الأخرى فيجب ألا تشغلنا مصالح الولايات المتحدة عن تحقيق مصالحنا"[٢].

وهنا يتبادر إلى أذهاننا تساؤل ، هل ستتجه روسيا نحو مزيد من الاستقلالية عن الغرب والولايات المتحدة الأمريكية؟ الحقيقة أننا نجد الجواب في القول، إن روسيا تسعى جاهدة لتجد لنفسها مكانة في العالم، فعلى الرغم من تفكك المعسكر الاشتراكي ومواجهة روسيا لمصاعب اقتصادية وسياسية ضخمة، فإنها ما تزال تملك قوات عسكرية تقليدية ونووية يعتد بها، فضلاً عن تفكك الاتحاد السوفيتي، وبعد ذلك النظام الدولي الذي كان قائماً ولم ينجم عنه إملاء الشروط على روسيا التي "استخلفته" في "شخصيتها القانونية والدولية" ، كما حصل إزاء القوى الكبرى التي خسرت في حروب عالمية، كفرنسا مثلاً في أثناء الحروب النابليونية، وألمانيا في الحربين العالميتين، أو اليابان إثر الحرب العالمية الثانية، فلم تحدث أي هزيمة عسكرية بمعنى الكلمة تدعو إلى المرارة، وهذا يعني أن تفكك الاتحاد السوفيتي، وظهور نظام دولي جديد لم يصاحبه فرض تسوية على روسيا أو على مصالحها أو على حرية حركتها أو عناصر قوتها، فوضعها الجديد لم يجعلها مجبرة على الانصياع إلى مواقف الدول الكبرى سواء داخل مجلس الأمن ضمن منظمة الأمم المتحدة أو خارجه ضمن توجهات النظام الدولي الجديد، وهذا الأمر أعطى

---

(١) عابدين، صدقي (٢٠٠٧). السياسة الروسية في آسيا: الأهداف والتحديات، السياسة الدولية، السنة ٤٤، العدد ١٧٠، تشرين الأول، القاهرة.

(٢) عبد الحميد، عاطف (٢٠٠٩)، روسيا والعالم العربي في ظل التحولات الدولية، مركز الجزيرة للدراسات، قطر.

لها قدرة على التحرك والتحدي والمعارضة لأي نمط جديد في العلاقات الدولية بما يتفـق مـع مصالحها[١].

إذاً فالدور الروسي يبحث الآن عن مرتبة لشريك في جميع المناطق التـي يـرى فيهـا مصالح إستراتيجية لها، وما يؤكد هذا الكلام توجهات يفجيني بريماكوف عنـدما عـين وزيـراً للخارجية الروسية ليحل محل أندريه كوزيريف على رأس الدبلوماسية الروسية حيث قـال: "إن الموقف الدولي لا يتطلب أن تكون روسيا فحسب قوة كبرى تاريخياً، ولكن قوة كبرى حقيقـة"، ويضيف قائلاً: "إن القابليات الروسية المحدودة لم تعد عقبة في قيامنا بـدور فاعـل، فالـسياسة الروسية لا تستمد قوتها على أساس الظروف الآنية بل على أساس المصادر الروسـية الكامنـة والضخمة فروسيا ترفض هيمنة القطب الواحد تحت قيادة الولايات المتحدة في النظـام الـدولي الجديد"، وهو أمر أكده البيان الروسي- الصيني المشترك في ٢٣ نيـسان١٩٩٧، فقـد أعلـن الجانبان عن تأييدهما الصريح لمفهوم تعدد الأقطاب[٢]، وهو أمر أكده الجانبان في كل اللقـاءات التي تتم ما بين مسؤولي البلدين، وهو ما أكده المارشال إيجور سيرجييف وزير الدفاع الروسي السابق، عندما قال: "عند تقويمنا الموقف الجيواستراتيجي في العالم أجمع والمجتمع الإنساني من حمل ثقيل، وهو المواجهة الكونية بين منظمتين سياسيتين متضادتين، وقـد حـل محـل حالـة الاستقطاب الثنائي مرحلة الكونية بين منظومتين سياسيتين متضادتين، وقد حـل محـل حالـة الاستقطاب الثنائي مرحلة انتقالية باتجاه ناظم عالمي متعدد الأقطاب يتألف من عناصر مختلفـة سياسية واقتصادية وثقافية سواء في الدول أو الأمم، وستقود هذه العمليـة إلـى ربـط أقـرب للمصالح، وهذا سيؤدي بدوره إلى أن تعود علاقات الشراكة فيما بين الدول ، فروسيا بمواردها

(١) الأصفهاني، نبيه، (٢٠٠٠). مرجع سابق، ص55.

(٢) الشيخ، نورهان (٢٠٠٨)، روسيا وأزمة أوسيتيا الجنوبية.. توازن جديد للقوى الدولية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٧٤، المجلد ٤٣، القاهرة.

وطاقاتها سوف تظل على نحو أو آخر عاملاً ضاغطاً على بدايات القرن الحادي والعشرين، لكن في الوقت نفسه يجب ألا يغيب عنا بأن الدور الذي ستؤديه روسيا على الصعيد الدولي لن يكون كالدور الذي كان يؤديه الاتحاد السوفيتي السابق بأي شكل من الأشكال، سواء على صعيد مناهضة الدور الأمريكي أو على صعيد دعم الدول العربية(١).

إن من الطبيعي أن يعكس التطور الذي حصل في توجهات السياسة الخارجية الروسية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة على علاقة روسيا بدول الخليج، فمع اختفاء مظاهر الحرب الباردة تدريجياً قلت ضغوط الولايات المتحدة الأمريكية على الدول الحليفة لها في المنطقة لكي لا تقترب من روسيا الاتحادية أكثر من اللازم، ولاسيما أن سياسة روسيا في العالم ككل وفي منطقة الخليج العربي بصفة خاصة تؤكد تسليم روسيا بالمصالح الأمريكية والغربية فيها، كما أن تخلي روسيا عن النهج الأيديولوجي شجع دول الخليج على التوجه نحو روسيا وإقامة علاقات سياسية واقتصادية معها، ولاسيما أن كلا الطرفين له مصالح مع الآخر، فروسيا تهدف من تطوير علاقاتها بدول الخليج للحصول على الدعم المالي لحل الأزمة الاقتصادية التي تمر بها من خلال تشجيع هذه الدول على الاستثمار في روسيا، بينما تهدف دول الخليج إلى كسب روسيا سياسياً إلى جانبها، ولاسيما أنها قد ورثت المقعد الدائم للاتحاد السوفيتي في مجلس الأمن، فضلاً عن رغبة دول الخليج في تنويع مصادر السلاح (٢).

التقييم الحالي للسياسة الخارجية لروسيا الاتحادية مع الولايات المتحدة وأوروبا ودول العالم الثالث

---

(١) طه، ممدوح (٢٠٠٧). تحت ظلال الحرية الدينية الجديدة في روسيا، المسلمون قادمون، آراء حول الخليج، العدد ٢٨، شباط، البحرين.

(٢) العريدي، خيري (٢٠٠٩)، العلاقات العربية الروسية تاريخ وحاضر ومستقبل، مركز الجزيرة للدراسات، قطر.

هناك مجموعة من العوامل المهمة التي تؤثر في تشكيل السياسة الخارجية الروسية المعاصرة. ويبدو متعذراً أن نفهم مظاهر السلوك الروسي في الساحة السياسية وسياساتها إزاء الدول الأعضاء في مجلس التعاون لدول الخليج العربية إذا لم نحلل هذه العوامل، واحداً تلو الآخر. وتشكل هذه العوامل مزيجاً دقيقاً من التركة الشيوعية، والنزعة القومية المتنامية، والسوفيتية، والإمبريالية الإقليمية المحتملة، فضلاً عن محاولات متفرقة لاتباع منهجية ديمقراطية جديدة.

ولا تزال النخبة الروسية، تبني أيديولوجيتها على فهما للعالم وما تشكل لديها خلال الحرب الباردة، وبالرغم من أن الرئيس بوتين يتحدث بين حين وآخر حول المصالح الاقتصادية العالمية، غير أن هيئات ومؤسسات السياسة الخارجية في روسيا لا تزال تصب جل اهتمامها على الأمن القومي وحماية وحدة الأراضي الروسية بالمعنى العسكري لذلك. فإن الغالبية العظمى من الدبلوماسيين والسياسيين الروس ينظرون إلى العالم المعاصر من حولهم بهذه الطريقة. وعلى سبيل المثال، كتب أحد خبراء السياسة الخارجية الروس قائلاً: "ما يشغل روسيا حقاً هو القضية الأمنية بأوجهها وأبعادها كافة: العالمية والإقليمية والوطنية، إضافةً إلى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية والمعلوماتية. أما المهمة الاستراتيجية الرئيسية لمؤسسات السياسة الخارجية الروسية فهي ضمان بيئة آمنة ومستقرة"[١].

وما ورد آنفاً مثال حقيقي للرؤية السائدة. وإن مثل هذه الرؤية، التي هي أقرب إلى وزارة الدفاع منها إلى وزارة الخارجية، تخلق فجوة مفاهيمية بين موسكو والعديد من دول العالم، وهي مثال على التناقضات في مظاهر سلوك السياسة الخارجية الروسية. ويبدو واضحاً تماماً في مثل هذه المنظومة غياب المبتكرين والمبادرين ممن يرفضون مثل هذه الصور النمطية القديمة.

---

(١) مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية،(٢٠٠٦). المصالح الدولية في منطقة الخليج.

وإن الشعور بالتهديدات الخارجية المتواصلة هو أحد أعمق المشاعر الراسخة في العقليـة السياسية الروسية منذ عهد بعيد. فروسيا تمتد على مساحة واسعة، كما أنها تملك موارد طبيعيـة لا مثيل لها بين دول العالم.

غير أن عدد سكانها كان محدوداً وأقل بكثير من أن يغطوا مساحتها الواسعة، والأهم من ذلك أنهم أقل بكثير من أن يدافعوا عنها. لقد كانت الأراضي الروسية الغنية، غير الكثيفة سكانياً، محط أطماع الغزاة الأجانب الذين دخلوا روسيا من آسيا وأوروبا. غير أن روسيا ظلت طـوال قرون مضت تقاتل وتضم أراضي جديدة إليها، وهذا ما ضاعف مشكلة دفاعها عن نفـسها فـي وجه أعدائها، وإضفاء الصبغة العسكرية على حياتها وثقافتها السياسية.

وفي الأعوام الأخيرة أضحت هذه المشكلة أكثر حدة من ذي قبـل فـي ضـوء الأزمـة الديمغرافية العميقة التي تمر بها روسيا. ووفقاً لبيانات رسمية، فمنذ العام ١٩٩٣م بلغ معدل الفقد السكاني السنوي (٩٠٠) ألف نسمة سنوياً. ولعل من أهم مسببات ذلك ارتفاع معـدل الوفيـات، وتراجع متوسط عمر الإنسان في روسيا الذي وصل اليوم إلى (٦٥,٩) سنة؛ أي بتراجع قـدره ثلاثة أعوام عن متوسط عمر الإنسان في روسيا في العام ١٩٩٢م. ووفقـاً لتقـديرات اللجنـة الحكومية للإحصاءات فإنه بحلول العام ٢٠١٦م سيتراجع عدد سكان روسـيا بنـسبة (٧,٢%)، وهو ما يمثل (١٠,٤) ملايين نسمة، أي أن عدد سكان روسيا سيصبح (١٣٤,٤) مليون نـسمة، في حين أن عدد الأشخاص الذين تخطوا سن العمل سيكون ضعف عدد الأشخاص الذين تزيـد أعمارهم على (١٦) عاماً. بل إن خبراء ديمغرافيين آخرين يقدمون توقعات أكثـر سـوداوية بشأن سكان روسيا. وفي الواقع، يمكننا أن نفسر معظم تاريخ روسيا وبنيتها السياسية وثقافتهـا

وسلوكها في الساحة الدولية اليوم انطلاقاً من حيثيات هذه الأزمـة، أي العلاقـة بـين الـسكان والأراضي التي يتعين على الدولة أن تحميها[1].

وفي القرون القليلة الماضية، جاءت غالبية الهجمات على روسيا، من نـابليون وحتـى هتلر، من الغرب. كما أن الديمقراطية الاجتماعيـة، والـشيوعية، وبروسـتريكا جورباتـشوف الليبرالية قد جاءت من الغرب أيضاً. لذا، فقد طور المجتمع الروسي ارتياباً دائماً نحـو الغـرب واشتباهاً بنياته، فيما ترسخ اعتقاد بأن القارة القديمة (أي أوروبا) لن تكون مصدر خير لروسـيا وشعبها على الإطلاق، وهذا يفسر توجيهاً جيو سياسياً بين حين وآخر نحو الـشرق أيـضاً، أي نحو آسيا والصين. بيد أن الوعي الروسي يخالجه شيء من الريبة إزاء الشرق والعالمين العربي والإسلامي، كما أنه لا يعرف الكثير عن ثقافتيهما.

فروسيا الممتدة في قارتين لم تقرر جوهرياً على الإطلاق إلى أي الحضارتين في القارتين عليها أن تنتمي. هذا الانقسام ظل واضحاً في ثقافتها ومنهجيتها السياسية، وقد كان من شأن ذلك أن عزز الطبيعة المتعرجة للسياسة الخارجية الروسية. وهذا يفسر بحثها، بشكل متواصل، عـن طريق أوراسية "ثالثة" خاصة بها، لا تشبه الطريقين الأوربي والآسيوي. ولا يزال العديـد مـن الشخصيات المرموقة في مؤسسة السياسة الخارجية الروسية يؤمن بهذا الرأي اليـوم، إذ كتـب سيرجي روجوف على سبيل المثال: "إن المكانة الوسطى على الخريطة الجيوسياسية الأوراسـية هي الوحيدة التي من شأنها أن تحفظ روسيا. إننا بحاجة إلى استراتيجية أوراسية متناغمة".

وبالرغم من أن المكانة الاقتصادية والعسكرية – السياسية لروسيا قد ضـعفت، فإنهـا لا تزال تنظر إلى نفسها كقوة عظمى وتتجه نحو داخلها من أن تتجـه نحـو أي تكتـل ثقـافي أو جيوسياسي مهم. وبالرغم من رفض المؤسسة السياسية الروسية – في الوقت الراهن على الأقل

---

(١) عبد الحميد، عاطف (٢٠٠٩)، روسيا والعالم العربي في ظل التحولات الدولية، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، ص١٢.

– فكرة "طريق روسية فريدة" في بناء المنظومة الاجتماعية – الاقتصادية في البلاد، فإن هذه المؤسسة لا تزال تؤمن بدور روسي ذي طبيعةٍ مستقلة واستثنائية وفريدة في المشهد الدولي.

تأثير العلاقة بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية على السياسة الخارجية الروسية:

لم تتخذ روسيا حتى هذه اللحظة موقفاً متسقاً نحو القوة العظمى في العالم اليوم، أي الولايات المتحدة الأمريكية، أو حتى نحو الغرب بأكمله. لأنها أقيمت في الأصل في ظل حقائق سياسية ودولية مختلفة، وهذا يجعلها، في جوهرها، "غير قابلة للتطوير". وبدلاً من السعي لتطوير العلاقات الحالية، يتعين على البلدين أن يقيما علاقات ثنائية جديدة تماماً، تستند إلى أسس استراتيجية ومفاهيمية مختلفة نوعياً. ولم يسع أي من الطرفين لاتخاذ قفزة مهمة في هذا الاتجاه؛ فقد ضيعا عشرة أعوام وهما يحاولان أن يطورا علاقاتهما القائمة، وهذا ما جعلهما الآن لا يملك أحدهما نحو الآخر سياسة محددة. وإذا ما أخذنا حجم وقوة هاتين الدولتين في الحسبان فإن الحالة الراهنة ستترك آثاراً سلبية على التطورات العالمية(١).

ولو عدنا إلى أزمة الحرب على العراق (٢٠٠٢-٢٠٠٣) لرأينا أن روسيا قد خسرت أكثر مما تحتمل في علاقاتها بالولايات المتحدة الأمريكية. فقد كان موقفها بعيداً كل البعد عن البراجماتية، وهذا ما جعله مخالفاً تماماً لمبادئ السياسة الخارجية الأساسية التي أعلنها الرئيس بوتين. فحينما أعلن دعمه الكامل وغير المشروط للولايات المتحدة في أحداث الحادي عشر من سبتمبر لعام ٢٠٠١م نُظر إلى هذه الخطوة باعتبارها خياراً استراتيجياً من القيادة الروسية، وقد كانت هذه الخطوة متوافقة مع مصالح الدولتين. غير أن العلاقات الروسية – الأمريكية ساءت مرة أخرى في غضون أشهر معدودة. ودون أن نعفي الولايات المتحدة من اللوم عن أغلاطها

---

(١) المصري، شفيق، (١٩٩٢). النظام العالمي الجديد: ملامح ومخاطر، بيروت: دار العلم للملايين.

وحساباتها الخاطئة في سياستها الخارجية، فإن علينا أن نعترف أن من يقع عليـه اللـوم لعـدم تطبيق هذا "الخيار الاستراتيجي" إنما هو موسكو [(١)].

وفي الأعوام الثلاثة الماضية، كان الخيار الاستراتيجي الروسي إزاء الغرب غير واضح، وذلك لتبرير هذا الخيار للمجتمع الروسي والنخبة السياسية الروسية، أو ربما لاتخـاذ خطـوات نحو تحقيق هذه الخيار. كما أن الرئيس بوتين لم يسبق له أن فسر علانية، وبشكل مفصل، رؤيته للعلاقات الروسية- الأمريكية. وإذا كان للرئيس بوتين العديد من التصريحات الموجزة العامـة، غير أنه ليس لدينا حتى هذه اللحظة تفسير استراتيجي رئيسي لموقف بوتين. وفي ضوء ذلـك، فإنه لم يرسل إشارة واضحة إلى النخبة الروسية حول هذه القضية، تاركاً الجميع، بمـن فـيهم النخبة الروسية على غير دراسة بموقفه من هذه القضية.

لقد أظهر الصراع بشأن العراق الضحالة المفاهيمية لنموذج العلاقات الروسية- الأمريكية في الأعوام العشرة الماضية، خصوصاً بعد أحداث الحادي عشر من سـبتمبر. فـي حـين أن الانتقادات الموجهة إلى السياسة الخارجية لإدارة الرئيس بوش مبررة، فإن علينـا أن نقـول إن التوتر الروسي – الأمريكي بشأن العراق لا يمكن رده فقط إلى الأحادية الأمريكية إزاء العلاقات الدولية، أو إلى سلسلة الخطوات غير الودية إزاء موسكو، والتي تتفاوت بين السياسة الحمائيـة وتعديل جاكسون – فانيك، لدفع روسيا خارج أفغانستان وجورجيا ومولدافيا. وقد بات واضـحاً أنه في حال عدم وجود أسس راسخة للعلاقة بين الطرفين وفهم تام لإستراتيجية العلاقـة فـإن صراعات مثل تلك التي نشبت بشأن العراق ستؤثر تأثيراً خطيراً في ديناميات هذه العلاقة.

والأمر نفسه ينطبق على الاتحاد الأوربي. ففي كلمة الرئيس بوتين أمام مجلس الاتحـاد في العام ٢٠٠٣م أشار إلى أن الأولوية القصوى أمام روسيا اليوم هي أن تندمج اندماجاً حقيقيـاً

---

(١) عبد الحميد، عاطف (٢٠٠٩)، مرجع سابق، ص١٣.

في أوروبا مؤكداً أن "هذا خيار تاريخي". وبالرغم من ذلك، فقد تعذر حتى الآن إنشاء منظومـة مشتركة من القيم وتحقيق تقدم حقيقي، ولعل ذلك دليل آخر على حقيقة أن الـسياسة الخارجيـة الروسية لا تملك الموارد الاقتصادية الكافية، بل إنها لا تملك الإرادة السياسية لذلك.

وقد أشار ديمتري ترينين إلى أنه بات واضحاً أن "روسيا المعاصرة لا يمكنها، بل إنها لا تريد، أن تندمج في هيكليات أوروبا الموسعة". وتبين أن العلاقات الروسـية – الأمريكيـة قـد انحصرت في ثلاثة مسارات ضيقة، هي: الأمن الدولي، وعدم انتشار أسلحة الـدمار الـشامل، والتعاون في أسواق الطاقة. وعلاوة على ذلك، فإن إمكانية بناء العلاقات بين المجتمعـين فـي الدولتين قد تراجعت إلى الوراء[1].

الأمن القومي مقابل الاستقرار العالمي

حاولت النخبة الروسية، في العقد الماضي، أن تحقق أهدافاً استراتيجية فمن ناحية، حاولت هذه النخبة أن تضمن الأمن القومي الروسي ووحدة الأراضي الروسية، ومن ناحية ثانية أرادت أن تسترد نفوذ الاتحاد السوفيتي السابق بوصفه إحدى القوتين العظميين فـي العـالم. وتـؤمن المؤسسة الروسية إيماناً قوياً بأن "روسيا لا يمكنها إلا أن تكون قوة عظمى لأنها ببساطة تحتـل مكانة فريدة في البنية الجيوسياسية العالمية". وفي الوقت نفسه، تسعى روسـيا إلـى أن تجعـل سياستها الخارجية معقولة اقتصادياً؛ إذ ينظر إلى الغرب إضافة إلى دول معدودة فـي منطقتـي الخليج العربي وجنوب شرق آسيا، بوصفها مصدراً خارجياً للتحديث الاقتصادي في البلاد.

غير أن هذه الأهداف يناقض بعضها بعضاً إلى حد بعيد؛ ذلك أن روسيا اليوم غير قادرة على أن تضمن أمنها بشكل مستقل في الوقت الذي تسهم فيه في الاستقرار العالمي. وفي هـذا

(١) جبر، رائد (٢٠٠٧)، روسيا تواجه تجاهل الغرب مصالحها بإستراتيجية دفاعية شاملة، صحيفة الحياة، العدد ١٦٠٦٥، بيروت ، ص١٦.

الإطار، فإن روسيا بحاجة إلى علاقات شراكة مع الولايات المتحـدة الأمريكيـة إضـافة إلـى المساعدات الاقتصادية والعسكرية من الغرب، وإن قضاء الولايات المتحدة على حركة طالبـان بسرعة بالغة في أفغانستان- وهو الأمر الذي حاولت روسيا عبثاً ولفترة طويلـة أن تحققـه – أعطى نخبة السياسة الخارجية الروسية مثالاً جلياً على أن الأهداف يمكن تحقيقها بشكل فعال إذا تعاونت الولايات المتحدة وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر أولت الولايات المتحـدة أمنهـا القومي وحماية مصالحها وأراضيها الأولوية القصوى، ويبدو أن روسيا حـصلت علـى أقـوى الحلفاء. وقد انبهرت النخبة الروسية بالسرعة الخارقة التي استطاعت الولايات المتحدة أن تدمر بها نظام صدام حسين[١].

غير أن التقارب مع الولايات المتحدة الأمريكية وسياستها يمثل هو بعينه العقبة أمام سير روسيا في سياسة خارجية مستقلة. وبتعبير آخر، فإن موسكو تحاول أن تسترد سلطتها الدوليـة المفقودة، لكنها حققت ذلك تقليدياً بمعارضة واشنطن. بيد أن متابعة سياسة مستقلة في معارضـة الولايات المتحدة من شأنها، بطبيعة الحال، أن تدمر إمكانية قيام شراكة استراتيجية، وتحد مـن الأمن القومي الروسي وقدرتها على حماية مصالحها القومية ووحدة أراضيها. وقد أشار بوتين، مع نهاية التسعينيات، إلى أن روسيا قد بدأت تفقد المظاهر الرئيسية للدولة الموحدة. وينظر فـي موسكو إلى إحتمالية أن تفقد روسيا وحدة أراضيها يوماً بوصفها تهديداً مهماً ومشكلة خطيرة[٢].

ويبدو أن هناك استهانة بتأثير مثل هذا العامل في السياسة الخارجية والداخلية الروسـية. غير أن هذا العامل هو ما يحدد معظم السياسة الخارجية الروسية، بما في ذلك على سبيل المثال، النزعة الحربية، وأحياناً الإجرامية، إزاء الشيشان. وعلينا أن نشير هنا إلى أنـه فـي الخمـسة

---

(١) الدبابنة، تراث (٢٠٠٢)، السياسة الخارجية الروسية إتجاه الوطن العربي بعد إنتهاء الحرب الباردة (١٩٩١-٢٠٠١)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، ص ٢٣.

(٢) كانتور، روبرت، (١٩٨٩). السياسية الدولية المعاصرة، ترجمة: أحمد ظاهر، عمان: مركز الكتب.

والعشرين عاماً الماضية شنت روسيا، وبصورة حصرية، حملات عسكرية ضد قوات مسلمة في أفغانستان (١٩٧٩-١٩٨٧)، وفي طاجاكستان (١٩٩٢-١٩٩٣)، وفـي داغـستان فـي العـام ١٩٩٩م، إضافة إلى الحملتين الشياشانيتين الأولـى (١٩٩٤-١٩٩٦) والثانيـة (١٩٩٩ حتـى اليوم).

وفي أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر كانت روسيا من أوائل الدول التي انـضمت إلى التحالف المناهض للإرهاب الذي تشكل لمحاربة الراديكاليين والمقالتين المسلحين من العـالم الإسلامي. وشاركت موسكو في العمليات التي جرت في أفغانستان. وإذا ما أضـفنا الـسياسات الروسية إزاء صربيا والبوسنة في نهاية تسعينيات القرن العشرين، فإن للمرء منا، إذا مـا أراد، أن يتهم موسكو بأنها تنتهج سياسة متواصلة ضد المسلمين. وفي حين أن مثل هذا الاتهام غيـر صحيح في أساسه، فهو يدل على عدم وجود استراتيجية متسقة في السياسة الخارجية الروسـية، إضافةً إلى استهانة بقية العالم بأهمية وحدة الأراضي الروسية بالنسبة إلى موسكو.

ومنذ تولي الرئيس بوتين مقاليد الحكم في الكرملين في العام ٢٠٠٠م بدأ يولي مزيداً مـن الاهتمام بالجوانب الاقتصادية للسياسة الخارجية. وفي العام ٢٠٠٣م أسند إلى حكومتـه مهمـة مضاعفة الناتج المحلي الإجمالي في الأعوام العشرة المقبلة، وجعل الروبل الروسي عملة قابلـة للتحويل. وبدأ يتحدث عن "الاندماج الروسي الحقيقي في الاقتـصاد العـالمي". ويعـود النمـو الاقتصادي الذي حققته روسيا في الأعوام القليلة الماضية في معظمه إلـى الأوضـاع العالميـة المواتية، اقتصادياً وتجارياً، إضافة إلى التحسن غير المسبوق في أوضاع التجـارة الخارجيـة الروسية وأسعار النفط أولاً وقبل كل شيء. غير أن هذه الأحوال لا يمكن أن تتواصل إلى ما لا نهاية، فالاقتصاد الروسي – كما اعترف بوتين نفسه – "يتكل إلى حد بعيد على المواد الخام".

إن ما تحتاجه روسيا فعلياً هو سياسة خارجية ذات فاعلية اقتصادية؛ إذ إنها بحاجة إلى استثمارات أجنبية، وهذا ما يقتضي بناء شراكة مع الغرب عامة، والولايات المتحدة الأمريكية خاصة. ولكن، في واقع الحال، وكما أظهر الخلاف بشأن العراق فإن شراكة مع الولايات المتحدة تعني ضمناً تنازلاً عن مكانة روسيا وخسارتها لاستقلاليتها في سياستها الخارجية؛ إذ إن الصراع مع الولايات المتحدة بشأن العراق قد أدى إلى استبعاد الشركات الروسية من العقود العراقية. وتبقى الاستثمارات الأمريكية في الصناعة الروسية في أضيق حدودها، كما أن فكرة قيام شراكة سياسية أو تعاون في قطاع الطاقة قد تعطلت ولم تعد أمراً وارداً في المستقبل المنظور[1].

والأمر نفسه ينطبق على علاقات روسيا بالاتحاد الأوروبي، ويعتقد الكرملين أن ربط روسيا بمنظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو) من شانه أن يجبر روسيا على التخلي عن استقلاليتها الاستراتيجية ويخضعها، في المحصلة، للمصلحة الأمريكية، وقد يحول دون أن تكون روسيا طرفاً مهماً ومؤثراً في الساحة العالمية. وكما أشار ديمتري ترينيين، فإنه [2]:

"بالرغم من "حالة عدم التوافق المؤقتة" بين الاتحاد الروسي ومكانته الرسمية، فإن الكرملين يؤمن بأن روسيا ستكون قادرة على أن تتولى دوراً نشطاً غير إدارة شؤون العالم في المستقبل"، بيد أن هذه الطموحات التي يصعب إخفاؤها لدى النخبة الروسية إنما تعقد عملية تدفق الاستثمارات والمساعدات التقنية من الخارج، كما أنها تخيف الدول الأخرى.

---

(١) عبد الحميد، عاطف (٢٠٠٩)، مرجع سابق، ص١٤.

(٢) جبر، رائد (٢٠٠٧)، مرجع سابق، ص١٧.

الدفاع عن الأمم المتحدة

تضمن المنظمات الدولية التي شاركت روسيا مشاركة مباشرة في إقامتهـا بعـد الحـرب العالمية الثانية لروسيا دورٌ مهمٌ في العلاقات الدولية، كما تضمن لها مكانة مؤثرة في المنظومـات الدولية الرئيسية كافة. وقد ضمن المقعد الدائم في مجلس الأمن مقروناً بالترسانة النووية الروسـية لموسكو مكانةً مضاهيةً لواشنطن في النصف الثاني من القرن العشرين، وهذا ما جعل العاصـمة الروسية إحدى العاصمتين العالميتين الرئيسيتين اللتين لا يمكن أن تستقيم العلاقات الدوليـة التـي تتيح لروسيا أن تؤكد تأثيرها ونفوذها في العالم، ولولا هذا المقعد لانتهى الحال بروسيا دولة ثانوية من الناحية السياسية، وهو الاحتمال الذي ترفضه النخبة الروسية رفضاً قاطعاً.

ويبدي الكرملين حذراً شديداً من أية محاولة لمراجعة أسس "نظام يالطا" للعلاقات الدولية؛ إذ اعتادت روسيا أن تتحدث علانية عن "الدور الرائد لهيئة الأمم المتحدة"، غير أنها تتجنب تماماً أن تشير إلى مشكلة عدم فعالية المنظمة الدولية. ولهذا السبب، وفي أثناء الأزمة العراقية، أبدت روسيا دعماً راسخاً لفكرة أن تبقى الأمم المتحدة المنظمة الرائدة عالمياً لاقتناعها أنها لن تضطلع بدور مساوٍ لدور الولايات المتحدة الأمريكية في حال قيام أية منظمة دولية جديدة.

وأن روسيا تدرك أن الحرب على الإرهاب الدولي والحرب في العراق قد تكونان بدايـة اضمحلال هيئة الأمم المتحدة في بنيتها الحالية، وهذا ما يتفق مع منطق التاريخ، وما يتفق، مـع رغبة القيادة الأمريكية أيضاً. وإن أية إصلاحيات تطرأ على منظومة الأمم المتحـدة سـتحدث تراجعاً في مكانة روسيا، وهو الأمر الذي تحاول روسيا أن تحول دون وقوعه. فعندما طالبـت روسيا بأن تحال أية قضايا تتعلق بالعراق إلى هيئة الأمم المتحدة، فإنها لم تكن تحاول أن تـدول

هذه القضايا، عن طريق تقليص دور المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية حسب، وإنما سعت من ذلك إلى تعزيز دور المنظمة الدولية التي تحتل فيها مكانة الريادة أيضاً[1].

ولم يكن عبثاً أن قال الرئيس بوتين إن أية إصلاحات في الأمم المتحدة يجب أن تنفذ "ليس ضمن منظومة الأمم المتحدة نفسها حسب، وإنما مع الاستعانة بالإجراءات المتضمنة في مبادئ القانون الدولي التي تقرها هيئة الأمم المتحدة" أيضاً، أي بمشاركة روسية حاسمة. غير أن معارضة موسكو وباريس وبرلين للإجراءات الأمريكية في العراق في ربيع ٢٠٠٣م هي التي ضاعفت أزمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي وأدت إلى تراجع مكانة هاتين الهيئتين. وعلى سبيل المثال، لو أن الولايات المتحدة والمملكة المتحدة قررتا أن تغادرا المجلس أو أن تتوقفا عن المشاركة في أنشطته، أو لو أن عضويته تم توسيعها إلى حد بعيد وتم تعديل نظام حق النقض (الفيتو) لكانت روسيا أكثر الخاسرين[2].

لذا، فقد سعت موسكو إلى تعزيز مكانتها ونفوذها في العالم كماً لا كيفاً، إذ إنها عمدت إلى دخول الهيئات العديدة غير التابعة لهيئة الأمم المتحدة والمنظمات الدولية التي لم تكن في السابق عضواً فيها، بل إنها أخذت تبادر إلى إنشاء مؤسسات دولية جديدة. وهذا ما يفسر الحركة النشطة التي أبدتها روسيا مؤخراً في المنظومات غير التابعة لهيئة الأمم المتحدة، ومنها "المحادثات السداسية" التي تشكلت لمتابعة الملف النووي لكوريا الشمالية، وكذلك مجموعة الثماني (G٨). وعلى النمط نفسه، جاء إعلان الرئيس بوتين في كوالالمبور في آب لعام ٢٠٠٣م، وهو الإعلان الذي لم يكن متوقعاً، بأن روسيا ستسعى إلى الحصول على عضوية المراقب في منظمة المؤتمر الإسلامي، وهي الخطوة التي لقيت دعماً من المملكة العربية

---

(١) ماكنمارا، روبرت، (١٩٩١). ما بعد الحرب الباردة، (ترجمة: محمد حسين يونس)، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ص٦٦.

(٢) جبر، رائد، مرجع سابق، ص.

السعودية. وهذا يفسر الزخم لإنشاء منظمات دولية تضم جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق أيضاً؛ منها اتفاقية الأمن الجماعي لسنة ٢٠٠٢م التي ضمت أرمينيا وبيلاروسيا وكازاخستان وقرغيزيا وروسيا وطاجاكستان، وكذلك الجماعة الاقتصادية الأوراسية التي تألفت عضويتها من بيلاروسيا وكازاخستان وقرغيزيا وروسيا وطاجاكستان.

الخاتمة:

أن روسيا عندما تريد القيام بأداء أدوار في المنطقة تسعفها في الارتقاء لوضعها في سلم الهرمية الدولية، فإن عليها تذكر بديهيات السياسة الدولية، وأولها التباين في امتلاك القوى المختلفة لعناصر القوة، وهو الذي يسمح ببروز علاقات القوة بين تلك القوى، حيث لا تستوي الدول موضوعياً في قدراتها ومن ثم نوعية تأثيرها، والمرونة السياسية التي قد تتمتع بها الدولة التي تقود إليها شمولية عناصر القوة التي تمتلكها، وما تؤسسه من مجالات للحركة، فكلما اتسعت الشمولية لتضم كافة عناصر القوة اتسعت في المقابل مجالات الحركة السياسية الدولية وتزداد مع ما تهيئه البيئة الخارجية من فرص للحركة.

ويبنى نوع السلوك الدولي لدولة ما في الغالب على واقع المتغير السابق بدرجة مهمة، فما تملكه دولة ما من عناصر قوة، فإنها تضعها في مركز معين في هرم القطبية الدولية، ومن ثم فإن عليها اعتماد أنماط محددة من السلوك في السياسة الدولية، لاسيما وأن دونها أو أكثر منها قد يحملها كلفة غير مرغوبة، بمعنى أن يكون السلوك السياسي الخارجي متوافقاً مع ما تملكه الدولة من إمكانات.

أما أن تلجأ الدولة إلى إكراه غيرها أو إيقاع التأثير فيه أو إقناعه وترغيبه، فهذا شيء يرجع إلى قوة تأثير دوافع السلوك السياسي الخارجي وآليات صنع القرار فيها، ومن المسائل المدركة، أنه لا يوجد قياس مطلق للقوة كونها دائماً نسبية، واليوم حيث يقترب العالم من أن يكون وحدة واحدة تقريباً، تؤدي دبلوماسية القوة أدواراً مجدية، ولإتساع علاقات القوة على المستوى الدولي، فمن الضروري أن تكون للدولة إستراتيجية لسياستها الخارجية وإلا أصبحت حركتها الدولية مجردة إلى حد كبير من متغيرات الفاعلية، والخلل في العلاقة بين قوة الدولة الشاملة وحركتها الدولية يؤدي - غالباً- إلى نتيجتين: الأولى، أن تكون السياسة الخارجية

مجردة من الفاعلية إلى حد كبير والثانية، أن تكون قوة الدولة غير مستغلة تماماً، وإذا لم تكـن هناك إستراتيجية توائم بين القوة والسياسة الخارجية، وتترك التصرفات للواقعية والظروف لأدى الأمر إلى معالجة كل قضية معالجة منفصلة وفقاً لما يمليه الموقف.

وبذلك تصبح كل مسألة قضية مستقلة بذاتها، وإتباع مثل هذه السياسات يحتـاج إلـى طاقات كبيرة، كما سيصعب التنسيق بينها في النهاية هذا من جهة، في حين أن قلـة الإمكانـات (عناصر القوة) يفقد الدولة القدرة على المساومة، أي تغيب حرية الاختيار وهذا ما يؤدي إلـى الوقوع تحت ضغط الواقع القائم، وبدلاً من التحكم في مسار الموقف ،يصبح الموقف هو الـذي يتحكم في مسار التفاعل ومن ضمنه عملية اتخاذ القرار.

النتائج :

إن هناك درجة من الاستقلالية في صنع القرار السياسي الروسي، وإن سلاح المساعدات والمعونات له حدود في التأثير في عملية صنع القرار في روسيا وبخاصة إذا ما تعلق الأمر بمصلحة اقتصادية مباشرة أو بالأمن القومي الروسي، ولقد سبقت الإشارة بالتفصيل إلى عدد من الأمثلة الدالة على ذلك، منها الإصرار الروسي على إتمام الصفقة الخاصة ببيع محطات الطاقة النووية إلى إيران على الرغم من الضغوط الأمريكية للحيلولة دون ذلك، ومنها ايضاً موقف روسيا إزاء توسيع عضوية حلف شمال الأطلسي ليضم دول وسط وشرق أوروبا، ومنها موقف روسيا من الحرب في الشيشان، رغم المعارضة الألمانية الصريحة والمعلنة لاستمرار الحرب، بل التهديد بوقف المساعدات المقدمة لروسيا في حالة استمرارها في القتال، ومن ثم فإن صانع القرار العربي يمكنه إستغلال هذه الدرجة من الاستقلالية في جذب التأييد الروسي للمواقف العربية، وهو ما وضح بالفعل في تأييد روسيا للموقف العربي في إطار الأزمة التي تمر بها التسوية السلمية في الشرق الأوسط منذ تولي "نتنياهو" رئاسة الوزراء في إسرائيل، وكذلك تأييد روسيا لإعادة انتخاب" د. بطرس غالي" سكرتيراً عاماً للأمم المتحدة على رغم المعارضة الأمريكية، بل واستخدام حق الفيتو للحيلولة دون ذلك.

انه على الرغم من تركيز السلطات والصلاحيات المختلفة في يد رئيس الجمهورية والضعف النسبي للقوى السياسية الأخرى- بما فيها البرلمان- إلا أن هذه القوى لها تأثيرها في بعض القضايا الحساسة مثل قضية جزر الكوريل، والتي أدى إلى ضغط الداخلي من أجل عدم التنازل عنها، بل وفتح باب التفاوض حولها إلى إلغاء زيارة يلتسين إلى اليابان مرتين.

العمل على بناء القوة الذاتية الروسية بشكل مستقل عن النماذج الغربية الجاهزة، والنظر إلى تلك القوة وحدها على أنها المحدد لوضع روسيا في السياسة الدولية، بخلاف الافتراض

الفلسفي التقليدي للتوجه الأورو- الأطلنطي. وقد عبر الرئيس بوتين عن ذلك في خطابه أمام البرلمان الروسي في مايو سنة ٢٠٠٥م بقوله إن روسيا دولة تصون قيمها الخاصة وتحميها، وتلتزم بميراثها وطريقها الخاص للديمقراطية، وأضاف أنه "لن يتحدد وضعنا في العالم الحديث إلا بمقدار نجاحنا وقوتنا". وكما أن روسيا لن تتسامح مع أية محاولة لتغيير الحكم بالصورة التي حدثت في جمهوريات سوفيتية أخرى (مثل جورجيا وأوكرانيا). وفي خطابه في ٢٦ يوليو سنة ٢٠٠٧م، أكد الرئيس بوتين أن مهمة روسيا هي أن تتصدر ترتيب دول العالم في مجال التكنولوجيا المعلوماتية بحلول سنة ٢٠١٥م. وفي هذا الإطار، بدأت روسيا في تحجيم نفوذ المافيا الرأسمالية الروسية الجديدة، وتمثل ذلك في محاكمة المليونير خوردوكوفسكي، الذي كان أحد حلفاء الرئيس السابق يلتسين. وفي هذا السياق، رفضت روسيا التعليقات الأمريكية على التطور الديمقراطي في روسيا، وجاء ذلك بمناسبة إشارة نائب الرئيس الأمريكي تشيني إلى تراجع الديمقراطية في روسيا في أثناء زيارته إلى ليتوانيا في مايو سنة ٢٠٠٦م. فقد رد الرئيس بوتين بقوله "إن الولايات المتحدة مثل الرفيق الذئب يأكل ولا يسمع لأحد، وليس لديه نية للاستماع إلى أحد. كيف يختفي كل الكلام المبالغ فيه عن الدفاع عن حقوق الإنسان والديمقراطية حين يتعلق الأمر بالدفاع عن مصالحه الخاصة، حينها يصبح كل شيء ممكناً، ولا تعود هناك حدود".

إنتقد الرئيس الرئيس بوتين السياسة الأمريكية الأحادية والإنفرادية، وطالب بإنشاء نظام عالمي ديمقراطي أي متعدد الأقطاب، وبتقوية دور القانون الدولي، وذلك في مقابلة صحيفة له في يناير سنة ٢٠٠٧م. وفي خطابه أمام مؤتمر ميونخ للسياسات الأمنية في فبراير سنة ٢٠٠٧م إنتقد "الهيمنة الإحتكارية" الأمريكية على السياسة الدولية وميل الولايات المتحدة إلى الإستعمال المفرط للقوة العسكرية في تلك السياسة. وأضاف أنه في ظل تلك الظروف، فإن أحداً لا يشعر

بالأمن، مما يغذي من سباق التسلح. وقدم الرئيس بوتين مبادرات لحظر نـشر أسـلحة الـدمار الشامل في الفضاء الخارجي، وإنشاء مراكز دولية لتخصيب اليورانيوم. وفي مناسبة الانتصار السوفيتي في ستالينجراد على النازية أشار الرئيس بوتين إلى أن الأخطار التي شكلتها النازية لم تختف، وإنما اتخذت أشكالاً جديدة. "فأفكار الرايخ الثالث التي تتسم باحتقـار البـشر، والـسعي للهيمنة على العالم ما زالت قائمة"، مما كان يعد إشارة إلى أن الخطر الأمريكي يعادل الخطـر النازي. وفي خطابه أمام البرلمان الروسي في مايو سنة ٢٠٠٦م، أشار إلى أن ميزانية التـسلح الأمريكية تفوق ميزانية التسلح الروسية بخمسة وعشرين مثلاً، وبالتالي فإنه على روسيا أن تبني حصنها، وأشار إلى أن سباق التسلح وصل إلى مستوى تكنولوجي جديد.

عارض الرئيس بوتين إنشاء الولايات المتحدة للدرع الصاروخية والمحطة الرادارية في بولندا وجمهورية التشيك، حيث إعتبر أن الدرع والمحطة ليستا موجهتين ضد إيران، وإنما ضد روسيا ذاتها. وردا على المشروع الأمريكي، أعلن في خطابه السنوي أمام الجمعيـة الإتحاديـة الروسية في ٢٦ أبريل سنة ٢٠٠٧م عزم روسيا تجميد عضويتها في معاهدة الأسلحة التقليديـة في أوروبا سنة ١٩٩٩م (وكان يلتسين قد فعل ذلك بالنسبة لإتفاقية ١٩٩٠ وتراجع عنه)، حتـى تقوم دول حلف الأطلنطي بالتصديق عليها وتطبيقها، مشيراً إلى أن روسيا تفعل ذلك من طرف واحد. كما أن الدول الجديدة في حلف الأطلنطي لم توقع الإتفاقية، مما يهـدد الأمـن القـومي الروسي. وفي ١٣ يوليو سنة ٢٠٠٧م، وقع الرئيس بوتين قانوناً ينص على أن ظروفاً استثنائية تحتم تجميد تطبيق الإتفاقية. ومما تجدر الإشارة إليه أن دول حلف الأطلنطي لم تـصدق علـى الإتفاقية، واشترطت أن تسحب روسيا قواتها الموجودة فـي ابخازيـا (جورجيـا)، والدنيـستر (مولدوفيا) للتصديق على المعاهدة. وفي الوقت الراهن، تعد الـدرع الـصاروخية الأمريكيـة، وإتفاقية القوات التقليدية في أوروبا أهم معضلتين في علاقات روسيا بحلف الأطلنطـي. وفـي

تطور مفاجئ، اقترح الرئيس بوتين في ٧ يونيو سنة ٢٠٠٧م على الولايات المتحدة المشاركة في إستعمال الرادار الروسي الموجود حاليا في أذربيجان منذ العهد السوفيتي، مما يعني أن الولايات المتحدة لن تكون بحاجة إلى بناء صواريخ أخرى في المشروع والهدف الأمريكي هو رصد وإعتراض الصواريخ الإيرانية، فإن ذلك سيتم بشكل مشترك من أذربيجان. أما إذا كانت روسيا ذاتها مستهدفة، فإن الولايات المتحدة سترفض الإقتراح. وقد رد بوش على الإقتراح الروسي بما يشبه الرفض، حينما قال إن إقتراح "واقعي ومبتكر وإستراتيجي، ولكن بولندا وجمهورية التشيك هما جزء لا يتجزأ من المنظومة الصاروخية".

دخلت روسيا في منافسة مع الولايات المتحدة لتأكيد حقوق السيادة على الموارد النفطية في أقصى شمالي المحيط المتجمد الشمالي. أرسلت الولايات المتحدة بعثة علمية إلى تلك المنطقة لبحث ما سمته الفوهات المائية الحرارية" في المنطقة. وقد شككت روسيا في هذا الهدف وأرسلت بعثة أكبر إلى المنطقة بدعوى تعيين حدود الجرف القاري الروسي وإثبات أنه يتصل بالأراضي الروسية. وقامت البعثة الروسية بوضع العلم الروسي في أماكن متعددة من المنطقة لإثبات سيادة روسيا عليها، وهو ما أدى إلى احتجاج أمريكي. وإذا تبين وجود حقول نفط وغاز طبيعي في تلك المنطقة، فإنه من المؤكد أن يؤدي إلى تصعيد في التوتر بين روسيا والولايات المتحدة.

سعت روسيا إلى تقليص النفوذ الأمريكي في آسيا الوسطى، وطالبت الولايات المتحدة بسحب قواعدها العسكرية في أوزبكستان وقيرغيزستان، وبالفعل نجحت من علاقاتها الجديدة مع أوزبكستان في إنهاء الوجود العسكري الأمريكي في تلك الدولة، سعت روسيا إلى بناء مشاركة إستراتيجية مؤسسية مع الصين في إطار منظمة شنغهاي للتعاون، التي تضم دول آسيا الوسطى، عدا تركمانستان، وشمل ذلك مشاركة نفطية لمد خطوط نقل النفط الروسي مع سيبيريا إلى

الصين، مع السعي إلى إعطاء المنظمة بعداً عسكرياً. ففي آب سـنة ٢٠٠٧م، أعلـن الجنـرال بالويفسكي، رئيس الأركان الروسي، ضرورة أن يتم إستكمال التعاون الإقتصادي بـين الـدول الأعضاء في منظمة شنغهاي للتعاون بتنسيق عسكري يشمل بلورة عقيدة عسكرية مشتركة، وهو الأمر الذي تتحفظ عليه الصين.

سعت روسيا إلى إعادة تقوية علاقاتها مع دول الكومنولث (رابطة الـدول المـستقلة)، بعدة أساليب، بما فيها الدبلوماسية "القسرية"، خصوصاً لدى الدول ذات التوجه الأمريكـي فـي سياستها الخارجية، وعلى الأخص جورجيا. فقد نجحت في إعادة دول آسيا الوسطى إلى حظيرة النفوذ الروسي بدعم نظمها ضد الحركات السياسية الإسلامية المحلية المعارضة، وضغطت على جورجيا تحت حكم ساكاشفيلي ذي التوجه الأمريكي، بدعم الحركة الإنفـصالية فـي أبخازيـا، وطرد الجورجيين المقيمين في روسيا، ووقف الواردات من جورجيا، والأقلال من مد جورجيـا بالنفط والغاز الطبيعي، إضافة إلى مشروع التكامل مع بعض دول الكومنولث مثل بيلاروسـيا. ومن ناحية أخرى، قامت روسيا بتقوية علاقاتها المؤسسية الأمنية والإقتصادية بدول الكومنولث. ففي ٧ يوليو سنة ٢٠٠٣م، تم إنشاء منظمة معاهدة الأمن الجماعي بموجب "ميثـاق كيـشناو"، وتضم روسيا، ومولوفيا، وأوزبكستان، وأرمينيا، وكازاخستان، وقيرغيزستان، وطاجيكـستات، وأذربيجان. وكان قد تم إنشاء الجماعة الإقتصادية الأوراسية فـي ١٠ أكتـوبر سـنة ٢٠٠٠م، وتضم روسيا، وبيلاروسيا، وكازاخستان، وطاجيكستان، وأوزبكستان، وقيرغيزستان، ولكل من المنظمة والجماعة أمانة عامة في موسكو. بيد أن تجارة روسيا مع دول الكومنولـث تتراجـع باطراد ووصلت إلى نحو ٢٠% فقط من التجارة الخارجية الروسية، مقابل ٥٢% مـع الـدول الغربية .

سعت روسيا إلى الاضطلاع بدور أقوى في منطقة الشرق الأوسط، وتحـول الـرئيس بوتين من سياسة الحياد السلبي إزاء قضايا المنطقة إلى سياسة المبادرات. وتمثل ذلك في زيارة الرئيس بوتين للشرق الأوسط في فبراير سنة ٢٠٠٧م، زار فيها الـسعودية، وقطـر، والأردن، وأعلن فيها أن غزو العراق هو "نموذج للتصرفات الأمريكية الفردية التي تزيد الأمور سـوءاً. ودعا إلى عقد مؤتمر أقليمي موسع للشرق الأوسط في إشارة إلى اشتراك سوريا وإيران في حل مشكلات المنطقة.

المصادر والمراجع:

المراجع العربية :

الكتب :

١. زهران، جمال (١٩٩١). **أزمة الخليج في مواجهة النظام العـالمي الجديـد،** الـسياسة الدولية.

٢. نعمة، كاظم هاشم (١٩٨٧). **العلاقات الدولية،** جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، بغداد.

٣. محمد السيد سعيد ،(١٩٧٨) **الشركات متعددة الجنسيات :وآثارها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ،**(القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب).

٤. محمد السيد سليم ، (٢٠٠٠)، **تحليل السياسة الخارجية** ،(القاهرة).

٥. هنري كيسنجر،(١٩٩٢)، **القضية الروسية الجديدة،** ترجمة: علياء حسين، مجلـة آفـاق عربية، السنة الرابعة عشرة، العدد 5 (بغداد)

٦. حسين، عدنان السيد (٢٠٠٣)، **نظرية العلاقات الدولية،** الطبعة الأولى، دار أمواد للنـشر والتوزيع، بيروت.

٧. الإمارة، لمى مضر (٢٠٠٩)، **الإستراتيجية الروسية بعد الحرب البـاردة وانعكاسـاتها على المنطقة العربية،** ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت

٨. مقلد، إسماعيل صبري (١٩٧٩). **العلاقات السياسية الدوليـة**: دراسـة فـي الأصـول والنظريات، جامعة الكويت، الطبعة الثانية.

٩. هيكل، محمد حسنين (١٩٩٩). العرب على أعتاب القرن الواحد والعشرين. **في العـرب وتحديات النظام العالمي**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

١٠. عمر، مجدي (١٩٩٩). **التغييرات في النظام الدولي وأثرها على الشرق الأوسط**، عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط.

١١. ميخائيل جورباتشوف ،(١٩٨٨). **البيريسترويكا:تفكير جديد لبلادنـا وللعـالم** ، ترجمـة :حمدي عبد الجواد ، (القاهرة :دار الشروق :الطبعة الأولى)

١٢. بدوي، محمد طه ،(١٩٧١)، **مدخل إلى علم العلاقات الدولية** ، بيروت، الدار المـصرية للطباعة والنشر.

١٣. دورتي، جيمس، وبالنسغراف، روبرت (١٩٩٥). **النظريات المتـضاربة فـي العلاقـات الدولية**، ترجمة وليد عبد الحي، بيروت: كاظمة للنشر والتوزيع.

١٤. مصطفى، ممدوح (١٩٩٨). **مفهوم النظام الدولي بين العملية النمطية**، الإمارات: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

١٥. مقلد، إسماعيل صبري ،(١٩٨٠). قضايا دولية معاصرة ، السياسة الدولية مـن الحـرب الباردة إلى الوفاق ،(الكويت :مؤسسة الصباح).

١٦. بكري، مصطفى (١٩٩١). **جريمة أمريكا في الخليج**، القاهرة: دار النفائس.

١٧. السعدون، حميد حمد (٢٠٠١). **فوضوية النظام العالمي الجديد وآثـاره علـى النظـام الإقليمي العربي**، عمان: دار الطليعة للنشر والتوزيع.

١٨. أبو عامر، علاء (٢٠٠٤)، **العلاقات الدولية الظاهرة والعلم.الدبلوماسية والاسـتراتيجة،** الطبعة الأولى، عمان: دار الشروق للنشر.

١٩. أبوعيشة، محمد (١٩٩٩). **التكامل والتنازع في العلاقات الدولية الراهنة** (دراسة المفاهيم والنظريات)، ط١، بيروت، دار الجيل.

٢٠. أبو غزالة، محمد محمود سليمان، (١٩٩٧). هيكل **النظام السياسي الدولي: القوة تحكم العالم**، عمان.

٢١. كارل دويتش ،(١٩٨٦). **تحليل العلاقات الدولية** ،ترجمة :محمود نافعة ،(بيروت،دار المستقبل العربي ،الطبعة الأولى).

٢٢. مارسيل ميرل ، (١٩٩٢). **حرب الخليج والنظام العالمي الجديد** ،ترجمة حسن نافعة،(القاهرة :دار سعاد الصباح).

٢٣. مايكل تانزر وآخرون ، (١٩٨١)، من الاقتصاد القومي إلى الاقتصاد الكوني:**دور الشركات المتعددة الجنسيات ،** ترجمة :عفيف الرزاز ،(بيروت :مرسسة الابحاث العربية).

٢٤. النجار، مصطفى عبد القادر (٢٠٠٣)، **أطماع روسيا القيصرية والاتحاد السوفيتي في الخليج العربي والجزيرة العربية منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى أواخر القرن العشرين**، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان.

الدوريات :

٢٥. نافعة، حسن، وعبد الفتاح سيف،(٢٠٠٠).(إشراف وتحرير)،**العولمة :قضايا ومفاهيم** ،سلسلة محاضرات الموسم الثقافي (٢)، (القاهرة :قسم العلوم السياسية بجامعة القاهرة).

٢٦. سمير امين ، (١٩٨٠).**التطور اللامتكافئ** :دراسة في التشكيلات الاجتماعية للرأسمالية المحيطة ،ترجمة :برهان غليون (بيروت :دار الطليعة للطباعة والنشر،الطبعة الثالثة).

٢٧. متكيس، هدى (١٩٩٦). **النظام الدولي الجديد والواقع العربي**، مجلة شؤون عربية، عدد ٨٨، كانون الأول.

٢٨. إبراهيم، حسين توفيق (١٩٩٢). *الفكر العربي وإشكالية النظام العالمي الجديد*، دراسة تحليلية نقدية، شؤون عربية، ص٤٩.

٢٩. خليفة، محمد (١٩٩٢). **النظام الدولي بين المقصود والمنشود**، مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي.

٣٠. أبو لبده، نظمي عيسى (١٩٩٩). **أثر التغيرات في النظام الدولي على الأمن القومي العربي في الفترة من ١٩٨٥م إلى ١٩٩٥م**، رسالة جامعية غير منشورة، جامعة آل البيت، عمان، الأردن

٣١. كريب، إيان (١٩٩٩). **النظرية الاجتماعية**، من بارسونز إلى هابرماس، العدد: ٢٤٤ــ نيسان، عالم المعرفة.

٣٢. السيد ساسين،(١٩٩٨)،"**العولمة وانعكاساتها على الوطن العربي** ، قضايا استراتيجية، سلسلة دراسات شهرية ، السنة الثالثة ، العدد ١٧).

٣٣. عبد الرحمن، محمد ابراهيم، "**سطوة الشركات متعددة الجنسيات على اقتصاد العالم**" ، الأهرامن الاقتصادي ، العدد ٨٠.

٣٤. المهذبي، ميلود (١٩٩٢). **قراءة مغايرة لمصطلحات معاصرة النظام العالمي الجديد والشيوعية الدولية وقضية لوكربي**، مجلة المستقبل العربي، العدد، ١٦١، تموز.

٣٥. السعيد، عبد المنعم (١٩٩٦). **حرب الخليج والنظام العالمي الجديد**، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد الأول، ربيع/ خريف.

٣٦. العليكم، حسن حمدان (١٩٩٣). **العرب وأمريكا والنظام العالمي الجديد**، المجلة العربية للدراسات الدولية، العدد،٣، خريف.

٣٧. ميرفي، إيمان (١٩٩٧). **أمن الخليج العربي في ظل النظام الدولي الجديد**، عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط.

٣٨. السعيد، عبد المنعم، (١٩٩٤). ما **بعد الحرب الباردة: النظام الدولي بين الفوضى والاستقرار**، في: مصطفى الحمارنة (محرر)، العرب في الاستراتيجيات العالمية، عمان: مركز الدراسات الاستراتيجية (الجامعة الأردنية).

٣٩. محمد ابراهيم عبد الرحمن،(١٩٨٤). "**سطوة الشركات متعددة الجنسيات على اقتصاد العالم**" **،** الأهرام، الاقتصادي ، العدد ٨٠.

٤٠. نبيه الأصفهاني،(١٩٩٦). "**انتخابات الدوما وحركة التحول الديمقراطي في روسيا الاتحادية**" مجلة السياسة الدولية، العدد ١٢٣ (القاهرة:).

٤١. مخيمر، أسامة (٢٠٠٧). **الطاقة والعلاقات الروسية مع آسيا**، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٧٠، المجلد ٤٢، تشرين الأول، القاهرة.

٤٢. مظلوم، غسان (٢٠٠١). **الحروب الاقتصادية، مجلة السياسة الدولية**، العدد ١٤٥، حزيران، القاهرة

٤٣. البدراوي، مغازي (٢٠٠٧**). فوريس ومليارديرات روسيا القادمون من المجهول**، صحيفة الوقت البحرينية، العدد ٤٠٢،

٤٤. بريماكوف يفغيني، **روسيا من أركـان أنـابوليس**، صـحيفة الحيـاة، ٢٠٠٧/١١/٢٨. تيرتيروف، مارات (٢٠٠٧). **توقعات السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الخليج**، آراء حول الخليج، العدد ٣٨.

٤٥. جبر، رائد (٢٠٠٧)، **روسيا تواجه تجاهل الغرب مصالحها بإستراتيجية دفاعية شاملة**، صحيفة الحياة، العدد ١٦٠٦٥، بيروت.

٤٦. جبنون، نور الدين (٢٠٠٧)، **صراع الإستراتيجيات في آسيا الوسـطى**، مجلـة الأيـام، ٢٠٠٧/٤/١٢، فلسطين.

٤٧. الجبور، بشار (٢٠٠٨)، **الدور الروسي في النظام العـالمي الجديـد ٢٠٠٠-٢٠٠٦**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.

٤٨. جودمان، ملفين (١٩٩٦)، **موسكو والشرق الأوسط خلال التسعينات**، في امتطاء النمـر، تحدي الشرق الأوسط بعد الحرب الباردة، تحليل نيسمار وولم لويس، ترجمة عبـد ا جمعـة الحاج، مركز الإمارات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي.

٤٩. صالح الخثلان، "**المحدد الثقافي لعلاقات الوطن العربي بجمهوريات الاتحـاد الـسوفيتي السابق:** بحث في تأثير الثقافة السياسية على العلاقات بـين الـدول العربيـة والجمهوريـات الإسلامية وروسيا"، في: مصطفى علوي(محرر)، ندوة الـوطن العربـي وكومنولـث الـدول المستقلة، مرجع سابق، ص١٢٧.

٥٠. زلوبن، نيكولاي (٢٠٠٦). **الخليج في سياقات السياسة الخارجيـة الروسـية**، مركـز الإمارات للدارسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي..

٥١. سليم، محمد السيد (٢٠٠٧). **التحولات الكبرى في السياسة الخارجية الروسية**، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٧٠، المجلد ٤٢، تشرين الأول ٢٠٠٧، القاهرة.

٥٢. شلهوب، فكتور (٢٠٠٧). بعد الصحوة الروسية: **مداخل سياسة موسكو الخارجية في الشرق الأوسط،** مجلة آراء حول الخليج، العدد ٣٨، نيسان ٢٠٠٧.

٥٣. الشناق، فاروق (٢٠٠٧). **مستقبل الدور الروسي في منطقة الشرق الأوسط**، آراء حول الخليج، العدد٣٨، آذار، البحرين.

٥٤. الشيخ، نورهان (٢٠٠٦). **روسيا والإتحاد الأوروبي**. صراع الطاقة والمكانة، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٦٤، المجلد ٤١، نيسان، القاهرة

٥٥. غنام، إنجي، (٢٠٠١)، المحكمة الجنائية، مجلة السياسة الدولية، العدد (١٤٤).

٥٦. نومكن، فيتالي (٢٠٠٦). **العلاقات الروسية مع أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية: انعكاسات على الأمن العالمي**، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبو ظبي.

٥٧. نصار، سليم (٢٠٠٧)، **الرئيس الروسي السابق بوتين يعيد روسيا إلى عهد ستالين**، صحيفة الحياة ٢٠٠٧/١٠/٦، لندن.

٥٨. النعيمي، عبد الجليل (٢٠٠٧). **التعاون التجاري الإقتصادي بين روسيا ودول الخليج**، مجلة آراء حول الخليج، العدد ٣٨، آذار، البحرين.

٥٩. طه، ممدوح (٢٠٠٧). **تحت ظلال الحرية الدينية الجديدة في روسيا**، المسلمون قادمون، آراء حول الخليج، العدد ٢٨، شباط، البحرين.

٦٠. مظلوم، غسان (٢٠٠١). **الحروب الاقتصادية**، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٤٥، حزيران، القاهرة.

٦١. مبيضين، مخلد، (٢٠٠٧)، **الموقف الأمريكي تجاه البرنامج النووي الإيراني**، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، عمان.

٦٢. كايل. شانون ن. وكريستنسنو هانس م (٢٠٠٥). **القوى النووية العالمية ٢٠٠٥**، التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي: الكتاب السنوي، فريق الترجمة حسن حسن وعمر الأيوبي بإشراف سمير كرم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

٦٣. السيد ساسين ،"**العولمة وانعكاساتها على الوطن العربي** ، "قضايا استراتيجية ، سلسلة دراسات شهرية ، السنة الثالثة ، العدد ١٧ ، ١٩٩٨)

٦٤. لافروف، سيرغي (٢٠٠٧)، **روسيا والشرق الأوسط: مصائر مشتركة**، صحيفة الحياة، ٢٠٠٧/٤/٢٧، لندن

٦٥. يوسف، أيمن طلال (٢٠٠٨)، **روسيا البوتينية بين الأوتوقراطية الداخلية والأولويات الجيوبوليتيكية الخارجية**، ٢٠٠٠ – ٢٠٠٨، الجامعة العربية الأمريكية، جنين.

٦٦. محمود، أحمد إبراهيم (٢٠٠٨). **الصناعات العسكرية الروسية.** تدعيم الاقتصاد والمكانة الدولية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٧٠، المجلد ٤٢، تشرين الأول، القاهرة.

٦٧. أحمد، ذياب (٢٠٠٧). **روسيا واللعبة الكبرى في اسيا**، مجلة السياسة الدولية، عدد (١٦٧) يناير.

٦٨. العريدي، خيري (٢٠٠٩)، **العلاقات العربية الروسية تاريخ وحاضر ومستقبل**، مركز الجزيرة للدراسات، قطر.

٦٩. علو، احمد (٢٠٠٧). **السياسة الخارجية الروسية في علاقاتها الدولية**، مجلة الجيش، العدد ٢٦٣، مايو، ص٤٠.

٧٠. جورج حداد، "**بوتين يحقق نقلة نوعية في النفوذ الروسي"،** الحياة، ٢٠٠٨/١/٣٠،

٧١. عدنان محمد هياجنة،(٢٠٠٧). "**أثر القوة الروسية في الـدور الروسـي فـي الـشرق الأوسط**"، آراء حول الخليج، العدد ٣٨ .

٧٢. ممدوح طه، "**تحت ظلال الحرية الدينية الجديدة في روسيا...المسلمون قـادمون**"، آراء حول الخليج، العدد ٣٨ (تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٧)، ص ٧٣-٧٤.

٧٣. محمود، أحمد إبراهيم (٢٠٠٨). **الصناعات العسكرية الروسية. تدعيم الاقتصاد والمكانة الدولية،** مجلة السياسة الدولية، العدد ١٧٠، المجلد ٤٢، تشرين الأول، القاهرة.

٧٤. اللاوندي، سعيد،(٢٠٠١). **مجلة السياسة،** مؤسسة الأهـرام، الدوليـة، العـدد (١٤٢)، القاهرة.

٧٥. ليتوفكين، فيكتور (٢٠٠٧)، الدفاع **الروسي المضاد للصواريخ ينتظـر إنتهـاء مفعـول "سالات -٢"**، صحيفة الحياة، ٢٠٠٧/٢/٢٨، لندن.

٧٦. مبيضين، مخلد، **(٢٠٠٧)، الموقف الأمريكي تجاه البرنامج النـووي الإيرانـي**، مجلـة دراسات، الجامعة الأردنية، عمان.

٧٧. عابدين، صدقي (٢٠٠٧). **السياسة الروسية في آسيا: الأهداف والتحـديات، الـسياسة الدولية،** السنة ٤٤، العدد ١٧٠، تشرين الأول، القاهرة.

٧٨. عبد الحميد، عاطف (٢٠٠٩)، **روسيا والعالم العربي في ظل التحولات الدولية**، مركـز الجزيرة للدراسات، قطر.

٧٩. الأصفهاني، نبيه (٢٠٠١)، **مستقبل التعاون الروسي الإيراني في ضوء التقارب الأخير،** السياسة الدولية، العدد (١٤٤)، القاهرة.

٨٠. الإمارة، لمى مضر (٢٠٠٥)، **المتغيرات الداخلية والخارجية في روسيا الإتحادية**، ط١، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبو ظبي.)

٨١. زغلول، خالد سعد (٢٠٠٨). **الأزمة في القوقاز.. تحدٍ جديد للإتحاد الأوروبي**، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٧٤، المجلد ٤٣

٨٢. زلوبين، نيكولاي (٢٠٠٦). **الخليج في سياقات السياسة الخارجية الروسية**، مركز الإمارات للدارسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي.

٨٣. بريماكوف يفغيني، **روسيا من أركان أنابوليس**، صحيفة الحياة، ٢٠٠٧/١١/٢٨.

٨٤. بن صقر، عبد العزيز عثمان (٢٠٠٧)، **زيارة الرئيس بوتين**: ترسيخ لأواصر العلاقات الروسية-الخليجية، صحيفة الحياة.

٨٥. التركي، ماجد بن عبد العزيز (٢٠٠٦)، **العلاقات السعودية الروسية " في ضوء المتغيرات الإقليمية ١٤٢٦-٢٠٠٤"**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

٨٦. تيرتيروف، مارات (٢٠٠٧). **توقعات السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الخليج**، آراء حول الخليج، العدد ٣٨.

٨٧. عابدين، صدقي (٢٠٠٧). **السياسة الروسية في آسيا: الأهداف والتحديات، السياسة الدولية**، السنة ٤٤، العدد ١٧٠، تشرين الأول، القاهرة.

٨٨. عبد الحميد، عاطف (٢٠٠٩)، **روسيا والعالم العربي في ظل التحولات الدولية**، مركز الجزيرة للدراسات، قطر.

الرسائل الجامعية

١. الدبابنة، تراث (٢٠٠٢)، **السياسة الخارجية الروسية إتجاه الوطن العربي بعد إنتهاء الحرب الباردة (١٩٩١-٢٠٠١)**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.

٢. العتوم، محمد انور (١٩٩٨), **سياسة الإتحاد السوفيتي تجاه عملية السلام في الشرق الاوسط**. رسالة ماجستير غير منشورة , الجامعة الاردنية، عمان.

٣. أبو لبده، نظمي عيسى (١٩٩٩). **أثر التغيرات في النظام الدولي على الأمن القومي العربي في الفترة من ١٩٨٥م إلى ١٩٩٥م**، رسالة جامعية غير منشورة، جامعة آل البيت، عمان، الأردن.

المواقع الالكترونية :

١. http://www.duma.gov.ru/deputants/list١.htm.

٢. http://www.rusiavotes.org/٢٠٠٣result.htum.

٣. http://www.edin.ru/user/index.cfm?open=٦٥٨&tpc-id=٦٥٨&msg-id=٢٥١٤.

٤. htpp:www.edin.ru/user/index.cfm?tpc-id=٣٦&msg-id=٣١٢٤&open=٣٧.

٥. http://www.ot.netclub.ru/deputats/fraction.thm.

٦. www.Pinrcom-reportphpac=iewrepo

٧. http://www.daralhayat.com/culture/media/٠١-٢٠٠٧،

٨. RIA NOvosti.(٢٠٠٩), "Russia Freezes Warplane Contract with Syria", May٢٠.www.En.rian.ru

٩. http://www.cia.Gov/cia/publications/factbook/geos/rs.html.

١٠. ميدفيديف عهد الهيمنة الاقتصادية الأميركية ولى..والعالم بحاجة إلى نظام مالي أكثر عدلاً، ٢٠٠٨/١٠/٣، نقلاً عن وكالة الأنباء السورية سانا، على الرابط التالي:

١١. http://www.syriasteps.com/index.php

١٢. ليونيد ألكسندروفيتش، موسكو وتغيير سياسة الدفة الخارجيـة، ٢٠١١/١/١٣، نقلاً عن موقع آراء

١٣. وأفكار على الرابط التالي: http://www.albayan.ae/opinions/articles

١٤. مغازي البدراوي، ميدفيديف والعلاقات الروسية الإيرانيـة، ٢٠٠٨/٧/٢، نقـلاً عن صحيفة الوقت الالكترونية، العدد ٨٣٣، نقلاً عن الرابط الالكتروني التالي:

١٥. http://www.alwaqt.com/blog_art.php

١٦. طه عبد الواحد، هل ستتغير السياسة الخارجية الروسية بعد مغادرة بوتين وقبل عودته، ٢٠٠٩/٧/٩، نقـلاً عـن منتـديات روسـيا اليـوم علـى الـرابط التـالي: http://forum.rtarabic.com/showthread

١٧. طه عبد الواحد، ميدفيديف وبوتين معاً لتوطيد أسس السياسة الخارجية الروسية، ٢٠٠٨/٥/٢٨، نقلاً عن صحيفة النور الالكترونية، العـدد ٣٤٣، نقـلاً عـن الـرابط الالكتروني التالي: http://an-nour.com/index.php.

١٨. الــرئيس الروســي الجديــد ديمتــري ميدفيــديف، المرجــع الــسابق: http://lalipost.jeeran.com/archive/٢٠٠٨/٣/٤٨٨٣٩٧html.

١٩. ديمتري ميدفيديف الرئيس الثالث لروسيا الاتحادية، ٢٠٠٩/٨/١٤، نقلاً عن موقع روسيا اليوم على الرابط التالي:

٣٣٢٣٤http://arabic.rt.com/news_all_info/

٢٠. ديفيد جيه كرامر، وثيقة السياسة الخارجية... وملامح التوجهات الروسية، ٢٠١٠/٧/٢٣، نقلاً عن موقع الاتحاد على الرابط التالي:

http://www.alittihad.ae/details.php

٢١. أوين ماثيوز وآنا نيمتسوفا، صحيفة نيوزويك، عقيدة ميدفيديف، ٢٠٠٨/١١/٢٩، نقلاً عن موقع المركز الإعلامي على الرابط التالي:

http://www.shebacss.com/ar/media-center

المراجع الأجنبية :

١. Ekaterina Grigoreva, (٢٠٠٣). **Putin Goes off to Strengthen Positions in the Muslim world, Izvestia**, October ١٤.

٢. Duchaccek,(١٩٨٦),**Iv Dthe territorial Dimension pf politics withen amongand across nation** (boulder CO westview press.

٣. Morgenthau ,(١٩٩٦),**Hans and Thowpson**, Kennethw.politics among Nathion (New york, printer)

٤. Rosenau ,Games N.,(١٩٩٠)**Trublence in World politics Atheory of hange and continuity** (prrinceton ,New jerky :princetonUnivercity press)

٥. Gomart, Thomas (٢٠٠٧), **France's Russia Policy**: Balancing Interests and Values, Washington Quarterly, vol.٣٠, No٢.

٦. Hirst ,paul and Thompson .(١٩٩٦**), Globalization in Qusition the international Economy and possibilities of Governance** ,(Cambridge polity press ,second Edition

٧. Dunne Andrew(١٩٩٧). **p.Dunne International theory to the Drink and Beyond** (Westport ,conn Green wood press

٨. Nicholson Micheal Causes and cousquences(١٩٩٦). **In International relation** :acconceepetual study ,((New york, printer)

٩. Kingeson Topgorn,(١٩٩٠), **History of International and Nationalizm socity comb side** ,(New york ,Cambridge polity press)

١٠. Baylis ,(١٩٩٧),**john and smith ,steve (eds) the Globalization of World politics** (New york : oxford press inc).

١١. S.k.Signgh "**Security Enviroment of south asia "strategic analysis** ,vol .xv-ll,no.٢(new Delhi ,sabri House ,May,١٩٩٤.

١٢. Thomas A.metzger(١٩٩٥), and ROMAN H .Myes**,”chinees National and American Policy** ,”Orps,

١٣. Trenin Demitrii (٢٠٠٧), **Russia Redefines Itself and Its Relations with the West**, Whashington Quarterly, Vol.٣٠, No٢.

١٤. Dmitrii Trenin,(٢٠٠٧), "**Russia Redfines Itself and Its Relations with the West**", Washington Quarterly, vol.٣٠,no.٢

١٥. Reviving Russia's navy(٢٠٠٠), **putin's new doctrinal, IISS strategic comments,** vol.٦, issue٦.

THE IMPACT OF INTERNATIONAL VARIABLES ON THE SHIFTS OF RUSSIAS FOREIQN POLICY AND THE RISE OF RUSSIA AS A QLOBAL POWER ٢٠٠٣-٢٠٠٨

by

Ali Mazen Abd- Alatif AL-Haded

Supervisior

Mohammed Hamdan AL-Msalha

Abstract

This study attempts to analyze the impact of environmental data on regional and international orientation of Russian foreign policy and its position in the international system at the current stage, and analyze the impact of international environmental data on Russia's position as influential actor in the new international system, and study and analyze the elements of power that influential in Russia's foreign policy under the new international system.

The regional environment contributed to give opportunities for Russia to play a key role in international relations at the present stage, and the international changes affected on the possibilities to Russia of playing an influential role in international policy at the present stage.

There is a degree of autonomy in making the Russia’s political decision,
And the aid and the subsidies weapon has limits in influencing to the process of decision-making in Russia, especially when it comes to a direct economic

interest or national Russian security, and we have already mentioned in detail to a number of examples of this. Such as the Russian insistence on the completion of the deal to sell nuclear power plants to Iran despite of the American pressure to prevent it, also the Russia's position about the enlargement of NATO to include countries of Central and Eastern Europe, and the Russia's position on the war in Chechnya, In spite of German opposition to the explicit and declared the war continued, but also the threat of withholding aid to Russia if it persists in fighting.

The restoration of Russia's economic strength and use the oil and gas weapon, has become Constitutes threat, and raising fears of the European Union and the United States of America from Russia's return to play strongly on the stage of the conflict in the Alohoracia region, and turned to a major strategic player On the world stage,

From here, Russia whose returning to the world stage with a dream of the state will not forget it carries the legacy of the former Soviet Union, and it want itself to be a superpower state, has a respected and an important place in the world, It has no aspirations of world supremacy or to dispute the United States this position, but it want a balanced and multipolar world, and works fairly to resolve its problems.